موسوعة

سيرة أهل البيت عليهم السلام

الجزء التاسع عشر

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق
مهدي باقر القرشي

مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام
لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام

شبكة الفكر
alfeker.net

موسوعة
سيرة أهل البيت عليهم السلام
الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

موسوعة

سيرة أهل البيت عليهم السلام

الجزء التاسع عشر

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

نشأته و مناظراته و وصاياه عليه السلام

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق
مهدي باقر القرشي

موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام

تأليف : باقر شريف القرشي

تحقيق : مهدي باقر القرشي

الناشر : .... دار المعروف ـ مؤسّسة الإمام الحسن عليه السلام

المطبعة : .... ستار

الطبعة الثانية : .... ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

عدد النسخ : .... ١٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلّف

ردمك الـــــدورة : ١ ـ ٤٢ ـ ٨٢٧٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

ردمك الجـزء (١٩) : ٢ ـ ٦١ ـ ٨٢٧٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

عنوان الناشر : النجف الأشرف ـ شارع الرسول صلى الله عليه وآله

مكتبة الإمام الحسن عليه السلام ـ هاتف ٠٠٩٦٤٧٨٠٥٦٩٤٩٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

آل عمران ٣: ٣٣ و ٣٤

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾

الأحزاب ٣٣: ٣٣

﴿ قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ
وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

الشورى ٤٢: ٢٣

الإهداء

إلى العقل الملهم والمبدع في العالم الإسلامي

إلى ضمير الإنسانيّة ورائد عدالتـها الاجـتماعيّة

إلى وصيّ رسـول الله ﷺ وبـاب مـدينة عـلمه

علي بن أبي طالب عليه السلام

أُقدّم هذه البحوث عن حياة حفيده

الإمام الصّادق عليه السلام

الذي ملأ الدنيا بعلومه

راجياً التفضّل علَيَّ بالقبول ليكون ذخراً لي يوم ألقى الله تعالى

المؤلّف

تقديم

١ الإمام الصادق عليه السلام أثرى شخصيّة علميّة عرفها التاريخ البشري في مواهبه وعبقريّاته التي لا حدّ لأبعادها، ولا نهاية لآفاقها، فقد فجّر هذا الإمام الملهم ينابيع العلم والحكمة في الأرض، وملأ الدنيا بمعارفه وعلومه ـ على حدّ تعبير الجاحظ ـ ومن فيض علومه انتهل أئمّة المذاهب الإسلاميّة، وتغذّوا من موائده التشريعيّة، ولا تزال ثرواته العلميّة الهائلة نديّة تزخر بالعطاء، خصوصاً فيما يتعلّق منها بالأحكام الشرعيّة من عبادات ومعاملات، فإليها يرجع فقهاء الإماميّة في استنباطهم للأحكام الشرعيّة، كما يقتبس من أصالتها وعمقها علماء القانون فيما يؤسّسون من أحكام.

٢ وساهم هذا العملاق العظيم مساهمة إيجابيّة وفعّالة في بناء الحضارة الإنسانيّة، وتطوير الحياة العامّة، وتنمية الفكر البشري، وذلك بما اكتشفه واخترعه من وسائل التكنولوجيا المتطوّرة التي دفعت الإنسان إلى التقدّم في جميع وسائل الحياة، فكان ممّا اكتشفه الأوكسجين، ونصّ على خصائصه ومركّباته، كما أعلن أنّ الهواء ليس عنصراً بسيطاً، وإنّما هو مركّب من عناصر مختلفة[١]، واكتشف كثيراً من أسرار الكون نصّ عليها علماء الغرب الذين درسوا آراءه من خلال دراستهم لمؤلّفات تلميذه العالم الكيماوي جابر بن حيّان مفخرة الشرق، فقد حفلت مكتبات

---

(١) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ١٢٠ ـ ١٣٠.

الغرب بالكثير من مؤلّفاته[١].

لقد اعتبر علماء الغرب الإمام الصادق عليه السلام العقل المفكّر والمبدع في الإنسانيّة، ومن الطريف جدّاً أنّ بعض المستشرقين زعم أنّ الإمام الصادق عليه السلام من الغرب ونزح إلى الشرق؛ لأنّ الشرقيّين لا يملكون مثل ما يملكه الإمام من الطاقات العلميّة الهائلة، وقد خفي عليه أنّه من الأُسرة النبويّة التي فجّرت النور والوعي في الأرض.

٣ واعتنى الإمام الصادق عليه السلام كأشدّ ما يكون الاعتناء بإشاعة العلم ونشر الثقافة، وبلورة الفكر الإسلامي بشتّى أنواع العلوم، فأقام جامعته الكبرى التي تعتبر من الأحداث المهمّة في ذلك العصر، فقد رفعت منار العلم، وبسطت الوعي الثقافي، وأوجدت عوامل الارتقاء والنهوض للأُمّة، وذلك بما بثّه من موجات علميّة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وأقاليمه.

وتعتبر النهضة العلميّة في العصر العبّاسي من معطيات جامعة الإمام عليه السلام، كما يعتبر بعض البحاثين والمحقّقين أنّ التقدّم التكنولوجي والتطوّر الهائل في عالم الصناعة، الذي أحرزته الدول المتقدّمة في هذه العصور، يستند بعضه إلى ما خلّفه جابر بن حيّان، تلميذ الإمام عليه السلام من تراث مشرق في علمي الكيمياء والفيزياء، اللذين هما الأساس في النهضة العلميّة الحديثة.

وعلى أي حال، فيعرض هذا الكتاب بصورة موضوعيّة وشاملة لجامعة الإمام عليه السلام، وبيان برامجها العلميّة والثقافيّة، وعدد طلّابها وفروعها، وغير ذلك ممّا يرتبط بالموضوع.

٤ وتناول الإمام عليه السلام في محاضراته القيّمة، وبحوثه المشرقة قضايا التوحيد التي هي في طليعة الفكر الإسلامي، وقد أثار حولها الشبه والشكوك الحاقدون

---

(١) راجع الجزء السادس من موسوعتنا هذه، حيث عرضنا مؤلّفاته بصورة مفصّلة.

على الإسلام لإفساد عقائد المسلمين ، وقد تصدّى لهم الإمام بحزم ، ففنّد مزاعمهم ، وأبطل شبههم ، وقد عالج قضايا التوحيد على ضوء البحوث الفلسفيّة ، وأرجع الكثير منها إلى الناحية الحسّيّة التي ترجع إلى القضايا البديهيّة التي لا تقبل الجدل ، وقد أبطل ببالغ الحجّة ، وواضح البرهان ، كلّ وهم وشبهة أُثيرت حول التوحيد ، ودلّل بذلك على أصالة العقيدة الإسلاميّة من جميع جوانبها ، وسلامتها من كلّ شبهة أو إشكال ، ويعرض هذا الكتاب بصورة مفصّلة ومستوعبة إلى بيان ذلك ، للتدليل على مدى جهاد الإمام عليه‌السلام وسعة علومه ومعارفه .

٥ وأغنى الإمام الصادق عليه‌السلام الفكر الإسلامي بما نشره بين النّاس من جوامع الكلم ، وغرر الحكم ، الحافلة بكلّ مقوّمات الحياة ، والتي هي برنامج كامل ، ودستور شامل لجميع قضايا الإنسان ، وبالإضافة لذلك فإنّ معظمها قد بلغ أقصى مراتب البلاغة والفصاحة ، من حيث جمال الديباجة ، ودقّة الأُسلوب ، وروعة البيان ، وهي ـ من دون شكّ ـ من مناجم الأدب العربي ، ومن ذخائر التراث الإسلامي ، ونظراً لكثرتها وأهمّيتها فقد أفردنا لها جزءاً خاصّاً من هذه الموسوعة .

٦ ومن بين الثروات الفكريّة المشرقة للإمام الصادق عليه‌السلام أدعيته الشريفة التي تضارع الصحيفة السجّاديّة لجدّه الإمام زين العابدين عليه‌السلام التي هي إنجيل آل محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله ، وهي تحكي مدى انقطاعه إلى الله تعالى ، واعتصامه به ، وبالإضافة لجوانبها الروحيّة فإنّ كثيراً منها كان ذا محتوى أخلاقي واجتماعي وسياسي ، فقد حكى ما ألمّ بالنّاس في عصره من ضروب المحن والبلوى من جرّاء الحكم القائم الذي جهد في ظلم النّاس ، وإرغامهم على ما يكرهون .

إنّ أدعية الإمام الصادق عليه‌السلام كأدعية الأئمّة العظام من آبائه وأبنائه عليهم‌السلام ، وهي تهدف إلى غرس النزعات الكريمة في نفوس المسلمين ، وتهذيب سلوكهم ، وإشاعة التقوى والصلاح في مجتمعهم ، ونظراً لأهمّيتها البالغة ، فقد أفردناها مستقلّة

وأسميناها بـ« الصحيفة الصادقيّة » وقدّمناها للطبع قبل طبع أجزاء هذه الموسوعة .

٧ وأقام الإمام الصادق عليه السلام لشيعته منهجاً رائعاً ، مستقلّاً وكاملاً ، من الفقه المتطوّر الذي يساير الزمن في جميع مراحل التاريخ ، وقد أغناهم به من أن يكونوا عالة على أي مذهب من المذاهب الإسلاميّة أو الاجتماعيّة ، فقد كان فقههم من أروع وأسمى ما قنّن في عالم الفقه والقانون .

يقول الدكتور عبدالرحمن البدوي : « الإمام الصادق هو الذي نظّم الشيعة ، وأوجد لها الكيان الفقهي ، ممّا جعلها من أبرز الفِرق الإسلاميّة ، وأغناها آثاراً وتفكيراً ، وأكثرها جهاداً في سبيل الله وخير الإنسانيّة »(١) .

وقد دوّن الرواة أحاديث الإمام الصادق عليه السلام في الأُصول الأربعمائة ، والتي جُمعت في الكتب الأربعة التي هي من أُمّهات كتب الأحاديث ، وإليها يرجع فقهاء الإماميّة في استنباطهم للأحكام الشرعيّة .

وعلى أي حال ، فإنّ هذه الموسوعة تعرض إلى فقهه الشريف بصورة كاملة ومستوعبة .

٨ وحفلت مصادر الحديث ـ من موسوعات وغيرها ـ بجمهرة مشرقة من روايات الإمام الصادق عليه السلام ، روى بعضها عن جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، وروى بعضها الآخر عن آبائه الأئمّة الطاهرين عليهم السلام ، كما روى طائفة أُخرى عن سنن الأنبياء وأخلاقهم ووصاياهم ، ومجموع تلك الروايات تتعلّق بآداب السلوك ، ومكارم الأخلاق ، ومحاسن الصفات ، وهي تحثّ المسلمين على التحلّي بها ليكونوا سادة البشر وهداة العالم .

وقد أفردنا لتلك الكوكبة من الأحاديث باباً مستقلّاً في بعض أجزاء هذه الموسوعة .

---

(١) مجلّة دراسات إسلاميّة ٤٥.

٩ وكان من بين ما أُثر عن هذا العملاق العظيم كوكبة من التعاليم الطبّيّة والوصفات الصحّيّة ، كان يلقيها على تلاميذه السادة الأطباء ، وهي تدلّ على تخصّصه في هذا العلم ، وتضلّعه فيه . وألّف المرحوم الشيخ محمّد الخليلي كتاباً ذكر فيه ما أُثر عن الإمام عليه السلام من البحوث الطبّيّة ، سوف نذكره في بنود هذا الكتاب .

ومن الجدير بالذكر ، أنّ الرواة قد نقلوا عنه مجموعة من الأحاديث تناول فيها الفوائد الصحّيّة في الخضروات ، سنعرض لها عند البحث عن هذا الموضوع .

١٠ ولا تكاد تقرأ كتاباً في تفسير القرآن إلّا ويطالعك رأي أصيل للإمام الصادق عليه السلام في تفسير بعض الآيات الكريمة . ومن المؤكّد أنّ الإمام الصادق عليه السلام قد عنى عناية خاصّة في تفسير القرآن الكريم ، فأولاه المزيد من اهتمامه ، وجعله من جملة المناهج في دروسه التي كان يلقيها على السادة العلماء من تلاميذه ، ولو جمع ما أُثر عنه في هذا الموضوع لكان كتاباً مستقلّاً وقائماً بذاته ، ونعرض في بعض بنود هذه الموسوعة إلى جملة من الآيات الكريمة التي أدلى بتفسيرها .

١١ ومن متمّمات البحث عن حياة الإمام الصادق عليه السلام ، الوقوف على تراجم تلاميذه ، والتعرّف على هويّاتهم ، وقدراتهم الثقافيّة ، فإنّ في ذلك ضرورة يقتضيها البحث ـ حسب الدراسات الحديثة ـ فإنّه يكشف عن الحياة العلميّة والثقافيّة في عصره ، كما يلقي الأضواء على مدى جهاد الإمام عليه السلام في نشر العلم وإذاعته بين النّاس .

لقد هرعت إلى يثرب أفواج من طلاب العلوم للانتهال من نمير علوم الإمام ، كان عددهم يربو على أربعة آلاف طالب ، وهذا العدد الضخم يصوّر مدى سعة علوم الإمام عليه السلام ، التي أمدّت الطلاب بما يحتاجونه من أنواع المعارف والعلوم .

وقد ازدهرت يثرب بهذه الهيئة العلميّة ، وعاد لها مجدها الذهبي الذي بناه لها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، فقد أخذت تمدّ العالم الإسلامي بالعلماء والمرشدين الذين

يتخرّجون من جامعة الإمام عليه السلام ، وقد نشروا الوعي الثقافي والعلمي بين المسلمين ، وفجّروا بذلك النهضة العلميّة التي كانت من أهمّ الأهداف التي كان ينشدها الإمام عليه السلام .

وعلى أي حال ، فقد ترجمنا في هذه الموسوعة ثلاثة آلاف وستمائة واثنين وستّين شخصاً من طلاب الإمام عليه السلام . ومن الجدير بالذكر أنّ معظمهم كانوا من أهل الكوفة ، وقد عاد أكثرهم إليها بعد تخرّجهم من جامعة الإمام ، فرفعوا منار الفضل والعلم ، فعقدوا حلقات في جامع الكوفة ، وهم ينشرون علوم الإمام ومعارفه ، وقد احتفت بهم الناشئة ، وأصبحت الكوفة أهمّ مركز ثقافي في الإسلام .

١٢ ودلّل الإمام الصادق عليه السلام بمواهبه وعبقريّاته على أصالة ما تذهب إليه الشيعة من أنّ الإمام لا بدّ أن يكون أفضل وأعلم أهل عصره ، بحيث لا يدانيه أحد في ملكاته وسعة معارفه .

لقد كان الإمام الصادق عليه السلام وحيد الدنيا على امتداد التاريخ في قدراته العلميّة ، في حين أنّه لم يدخل مدرسة ، ولم يتتلمذ عند أحد ، فمن أين جاءته هذه العلوم التي أنارت العقل البشري ، ودفعت الإنسان إلى التطوّر والتقدّم؟! إنّه لا بدّ من الالتزام حرفيّاً بما تذهب إليه الشيعة في أئمّة أهل البيت عليهم السلام من أنّ الله تعالى منحهم الحكمة وفصل الخطاب كما منح رسله وأنبياءه . ومن الطبيعي أنّه ليس في هذا القول غلوّ ولا انحراف عن موازين الحقّ بعدما توفّرت على أصالته أوثق الأدلّة ، كما يوضّحه هذا الكتاب .

١٣ أمّا نزعات الإمام الصادق عليه السلام وعناصره النفسيّة ، فإنّها تحكي كلّ ما يسمو به الإنسان من الصفات الكريمة والمثل العليا من الحلم والكرم ، والرأفة والرحمة ، ونكران الذات ، ومن بين صفاته مكارم الأخلاق ، فقد ضارع بهذه الظاهرة جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي امتاز على سائر النبيّين بمعالي أخلاقه .

إنّ محاسن صفات الإمام عليه السلام نفحة من رحمات الله ، وهبها تعالى لهذا الإمام العظيم ليكون الموجّه والقائد لهذه الأُمّة في سيرتها ونهضتها الفكريّة والحضاريّة .

إنّ الزخم الهائل من الصفات الكريمة التي اتّصف بها سليل النبوّة هي التي جعلته في طليعة أئمّة المسلمين منزلة ومكانة على امتداد التاريخ .

لقد منح الله هذا الإمام رقّة القلب ، ودقّة الشعور ، وكمال الخلق ، ما لا عهد للناس بمثله ، فكأنّه مَلك هبط إلى الأرض ليملأها برّاً وإحساناً وخيراً .

ويعرض هذا الكتاب إلى إعطاء صورة حيّة ومتميّزة من نزعات الإمام عليه السلام وعناصره النفسيّة .

١٤ ومن بين المظاهر الفذّة لشخصيّة الإمام الصادق عليه السلام إقباله على العبادة وانقطاعه إلى الله ، فكان في أوقات فراغه يلهج بذكر الله تعالى ، يسبّحه .. يكبّره .. يتلو كتابه ، وقد بهر مالك بن أنس بعبادة الإمام عليه السلام ، وراح يقول بإكبار وإعجاب : « اختلفت إلى جعفر بن محمّد زماناً ، فما كنت أراه إلّا على إحدى ثلاث خصال : إمّا مصلّياً ، وإمّا صائماً ، وإمّا يقرأ القرآن » .

لقد اعتصم الإمام بالله ، وانقطع إليه ، فعبده بإخلاص ، وعمل كلّ ما يقرّبه إليه زلفى .. ويعرض هذا الكتاب إلى بعض شؤون عبادته .

١٥ ومن بحوث هذا الكتاب دراسة العصر الذي نشأ فيه الإمام الصادق عليه السلام ، ومن الضروري أن تكون الدراسة مستوعبة وشاملة للأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة ، فقد أصبحت دراسة العصر من البحوث المنهجيّة التي لا غنى للباحث عنها في دراسته لحياة الشخص وسيرته . أمّا عصر الإمام فقد كان حافلاً بالأحداث الجسام ، فقد اضطربت فيه الحياة السياسيّة كأشدّ ما يكون الاضطراب ، وتلبّدت في آفاق العالم الإسلامي آفات مروّعة من المحن والخطوب ، كانت من نتائج صراع الأحزاب على الظفر بالحكم والفوز بالسلطة ، ومن جرّاء ذلك شاعت الفتن بين المسلمين وتباعدوا عن دينهم .

ووقف الإمام الصادق عليه السلام أمام الأحداث السياسيّة موقف الحازم اليقظ ، فتجنّب

الدخول في المعترك السياسي، واتّجه صوب العلم يذيعه وينشره بين النّاس..، ويعرض هذا الكتاب بصورة مفصّلة إلى موقف الإمام عليه السلام من الأحداث السياسيّة في عصره.

١٦ وظاهرة أُخرى في عصر الإمام الصادق عليه السلام وهي انتشار الفِرق الإسلاميّة، كالمعتزلة والأشاعرة والخوارج والكيسانيّة والزيديّة وغيرها، وقد اشتدّ الصراع فيما بينها كأشدّ وأعنف ما يكون الصراع، وكان لكلّ واحدة منها حلقات وحوزات علميّة، تقيم الأدلّة على ما تذهب إليه، وتدعو الجماهير إلى اعتناق مبادئها، وقد تبنّت الدولة آراء بعض الفِرق، وألزمت الناس باعتناق أفكارها، كما عهدت إلى القضاة بالقضاء على وفق فقهها؛ لأنّها كانت تدعو لمساندة الدولة.

وتصدّى الإمام الصادق عليه السلام مع السادة العلماء من تلاميذه للردّ على تلك الفِرق، وإبطال ما تذهب إليه من آراء لا تتّفق مع الواقع الإسلامي.. ويوضّح هذا الكتاب ذلك كلّه بمزيد من البيان والتفصيل.

١٧ ويعنى هذا الكتاب بدراسة أحوال الملوك والولاة الذين عاصرهم الإمام الصادق عليه السلام، وما جرى لهم معه من أحداث، من دون أن نتحيّز أو نميل لأية جهة، فإنّ رائدنا هو الإخلاص للحقّ غير مشفوع بتقليد أو هوى طائفي، وعلينا أن نسلّط الأضواء على الوثائق التاريخيّة، فإنّها العمود الفقري لدراسة التاريخ، وعلينا أن نبذل أقصى الحيطة في دراستها، واستنتاج الحقائق المترتّبة عليها حتّى لا نقع في الخطأ، فقد خلط التاريخ بكثير من الموضوعات أوجبت خفاء الحقّ على كثير من المؤلّفين والباحثين.

١٨ وبعد هذا التقديم الموجز لبعض بحوث هذا الكتاب أودّ أن أُبيّن أنّ هذه الموسوعة على ما فيها من استيعاب وشمول لا تحكي -بصورة جازمة-

المعالم التامّة لشخصيّة الإمام الصادق عليه السلام ، كما لا تلمّ بجميع ما أُثر عنه من المعارف والعلوم ، وإنّما تلقي أضواءً خافتة ومؤشّرات على بعض معالم هذه الشخصيّة التي هي ملء فم الدنيا في فضائلها وكمالها ، والتي هي كنز من الكنوز الفكريّة والعلميّة التي لا حدود لأبعادها ، وعسى أن أكون قد أدّيت خدمة متواضعة في هذه الموسوعة للإمام الصادق عليه السلام الذي وهبه الله من زخم الفكر ، وسموّ الشعور ، وطهارة النفس ، واستقامة الخلق ، ممّا جعله من أعظم أئمّة المسلمين ، وأوفاهم لدينه ، وأحرصهم على إحياء كتاب الله ، وسنّة نبيّه ، علماً وعملاً ، وفعلاً وقولاً ، سائلين منه تعالى أن يمدّنا بالتوفيق ، ويكتب لنا المزيد من الأجر .

إنّه تعالى وليّ ذلك والقادر عليه .

مكتبة الإمام الحسن العامة
النجف الأشرف

باقر شريف القرشي

مَشرِقُ النُّور

وقبل الحديث عن ولادة الإمام الصادق عليه‌السلام وما رافقها من السنن الشرعيّة وغيرها ، نعرض ـ بإيجاز ـ إلى أُسرته الكريمة ، وإلى الأُصول المشرقة التي تفرّع منها ، وفيما يلي ذلك :

الأُسرة الكريمة

الإمام الصادق عليه‌السلام من أُسرة كريمة ، هي أجلّ وأسمى أُسرة في دنيا العرب والإسلام ، تلك الأُسرة التي أنجبت خاتم النبيّين ، وسيّد المرسلين ، محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله ، وأنجبت عظماء الأئمّة ، وأعلام العلماء ، وهي على امتداد التاريخ لا تزال مهوى أفئدة المسلمين ، ومهبط الوحي والإلهام ، ومبعث صوت الحقّ الذي تماوج في بطاح البيداء ، وأودية الجبال ، وسفوح الروابي ، فكان نوراً على كلّ شاطئ وخليج من مطلع الشمس حتّى مغربها ، تلك الأُسرة التي يقول سيّد العرب عبدالمطّلب :

لَا يَـنْزِلُ الْـمَجدُ إلّا فـي مَـنازِلنا　　　كالنَومِ ليسَ لَهُ مأوى سِوى الْمُقَلِ

ويقول شاعر العرب الفرزدق في رائعته التي مدح بها إمام المتّقين وسيّد العابدين الإمام زين العابدين عليه‌السلام :

مَنْ يَعرفِ اللهَ يَـعرِفْ أَوَّليـةَ ذا　　　فَالْمَجْدُ مِنْ بَيْتِ هذا نالَهُ الأُمَمُ

من هذه الأُسرة التي أغناها الله بفضله ، والقائمة في قلوب المسلمين وعواطفهم

تفرّع عملاق هذه الأمّة ، ومؤسّس نهضتها الفكريّة والعلميّة الإمام الصادق عليه السلام ، وقد ورث من عظماء أسرته جميع خصالهم العظيمة ، فكان ملء فم الدنيا في نزعاته وصفاته .

الأب

أمّا أبو الإمام الصادق عليه السلام فهو الإمام محمّد الباقر عليه السلام سيّد الناس لا في عصره ، وإنّما في جميع العصور على امتداد التاريخ علماً وفضلاً وتقوى ، ولم يظهر من أحد في ولد الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام من علم الدين والسنن ، وعلم القرآن والسير ، وفنون الأدب والبلاغة مثل ما ظهر منه[١] .

لقد فجّر هذا الإمام العظيم ينابيع العلم والحكمة في الأرض ، وساهم مساهمة إيجابيّة في تطوير العقل البشري ، وذلك بما نشره من مختلف العلوم ، وسنتحدّث عن بعض شؤونه في غضون هذا الكتاب .

لقد زهرت الدنيا بهذا المولود العظيم الذي تفرّع من شجرة النبوّة ودوحة الإمامة . يقول الشاعر :

إذا وُلدَ المولودُ مِنْهُمْ تَهَلَّلتْ ... لَهُ الأَرْضُ واهتَزَّتْ إليهِ الْمنابرُ

إنّه من معدن الحكمة والعلم ، ومن بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

لَو كانَ يوجدُ عُرفُ قبلِهِمْ ... لوجَدتَهُ منهُمْ على أميالِ
إنْ جِئتَهُمْ أَبْصَرتَ بين بيوتِهِمْ ... كَرَماً يقيكَ مواقِفَ التَّسْآلِ
نورُ النُّبوَّةِ وَالمكارمُ فيهِمُ ... متوقّدٌ في الشَّيبِ وَالأَطفالِ[٢]

---

(١) الفصول المهمّة : ١٩٢ .

(٢) زهر الآداب : ١ : ٥٨ .

الأُمّ

أمّا أُمّ الإمام الصادق عليه السلام فهي السيّدة المهذّبة الزكيّة (أُمّ فروة) بنت الفقيه القاسم بن محمّد بن أبي بكر[١] ، وكانت من سيّدات النساء عفّة وشرفاً وفضلاً ، فقد تربّت في بيت أبيها ، وهو من الفضلاء اللامعين في عصره ، كما تلقّت الفقه والمعارف الإسلاميّة من زوجها الإمام الأعظم محمّد الباقر عليه السلام ، وكانت على جانب كبير من الفضل ، فقد كانت مرجعاً للسيّدات من نساء بلدها وغيره في مهام أُمورهنّ الدينيّة ، وحسبها فخراً وشرفاً أنّها صارت أُمّاً لأعظم إمام من أئمّة المسلمين ، وكانت تعامل في بيتها بإجلال واحترام من قِبل زوجها وباقي أفراد العائلة النبويّة .

مشرق النور

ولم تمضِ فترة طويلة من زواج السيّدة (أُمّ فروة) بالإمام محمّد الباقر عليه السلام حتّى حملت ، وعمّت البشرى أفراد الأُسرة العلويّة ، وتطلّعوا إلى المولود العظيم تطلّعهم لمشرق الشمس ، ولمّا أشرقت الأرض بولادة المولود المبارك سارعت القابلة لتزفّ البشرى إلى أبيه فلم تجده في البيت ، وإنّما وجدت جدّه الإمام زين العابدين عليه السلام ، فهنّأته بالمولود الجديد ، وغمرت الإمام موجات من الفرح والسرور لأنّه علم أنّ هذا

---

(١) القاسم بن محمّد بن أبي بكر من الفقهاء الأجلاء ، وكان عمر بن عبدالعزيز يجلّه كثيراً ، وقد قال : « لو كان لي من الأمر شيء لولّيت القاسم بن محمّد الخلافة » ، وقد عمّر طويلاً ، وذهب بصره في آخر عمره .

ولمّا احتضر قال لابنه : « سنّ عليَّ التراب سنّاً ـ أي ضعه عليَّ سهلاً ـ وسوّي عليَّ قبري ، والحق بأهلك ، وإيّاك أن تقول : كان أبي » ، وكانت وفاته بمكان يقال له قديد ، وهم اسم موضع يقع ما بين مكّة والمدينة ـ يراجع في ترجمته صفة الصفوة : ٢ : ٤٩ و ٥٠ . المعارف : ٥٤ . معجم البلدان : ٧ : ٣٨ . وفيات الأعيان : ٣ : ٢٢٤ . تهذيب التهذيب : ٨ : ٢٩٩ .

الوليد سيجدّد معالم الدين، ويحيي سنّة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله، وأخبرته القابلة بأنّ له عينين زرقاوين جميلتين، فتبسّم الإمام عليه السلام وقال: «**إِنَّهُ يَشْبَهُ عَيْنَي وَالِدَتي**»[١].

وبادر الإمام زين العابدين عليه السلام إلى الحجرة فتناول حفيده فقبّله، وأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعيّة، فأذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى.

لقد كانت البداية المشرقة للإمام الصادق عليه السلام أن يستقبله جدّه الذي هو خير أهل الأرض، وهمس في أُذنه نشيد الإسلام الخالد:

«الله أكبر».

«لا إلـه إلّا اللهُ».

وقد غذّاه بهذه الكلمات التي هي سرّ الوجود لتكون أُنشودته في مستقبل حياته.

تسميته عليه السلام

أمّا اسمه الشريف فهو (جعفر)، ونصّ كثير من المؤرّخين أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو الذي سمّاه بهذا الاسم، ولقّبه بالصادق.

ألقابه عليه السلام

أمّا ألقابه فهي تلقي الأضواء على سموّ شخصيّته العظيمة، وما يتمتّع به من محاسن الصفات، وهي:

١ ـ **الصادق**: لقّبه بذلك جدّه الرسول صلى الله عليه وآله لأنّه أصدق إنسان في حديثه وكلامه[٢].

---

(١) الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب: ٧٢.

(٢) الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة عليهم السلام / يوسف بن حاتم الشامي، من مصوّرات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الورقة ١٨٥.

⇦

وقيل : انّ المنصور الدوانيقي الذي هو من ألدّ أعدائه ، هو الذي أضفى عليه هذا اللقب ، والسبب في ذلك ـ حسبما يقول الرواة ـ أنّ أبا مسلم الخراساني طلب من الإمام الصادق عليه السلام أن يدلّه على قبر جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فامتنع ، وأخبره أنّه إنّما يظهر القبر الشريف في أيّام رجل هاشمي يقال له أبو جعفر المنصور ، وأخبر أبومسلم المنصور بذلك في أيّام حكومته ، وهو في الرصافة ببغداد ، ففرح بذلك وقال : « هذا هو الصادق »(١) .

٢ ـ **الصابر**(٢) : ولقّب بذلك لأنّه صبر على المحن الشاقّة والخطوب المريرة التي تجرّعها من خصومه الأمويّين والعبّاسيّين .

٣ ـ **الفاضل**(٣) : لقّب بذلك لأنّه كان أفضل أهل زمانه وأعلمهم ، لا في شؤون الشريعة وإنّما في جميع العلوم .

٤ ـ **الطاهر**(٤) : لأنّه أطهر إنسان في عمله وسلوكه واتّجاهاته .

٥ ـ **عمود الشرف**(٥) : لقد كان الإمام عليه السلام عمود الشرف ، وعنوان الفخر والمجد لجميع المسلمين .

٦ ـ **القائم**(٦) : من ألقابه الشريفة ، وفيما أحسب أنّه إنّما لقّب بذلك لأنّه كان قائماً بإحياء دين الله ، والذبّ عن شريعة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله .

٧ ـ **الكافل**(٧) : إنّما لقّب بذلك لأنّه كان كافلاً للفقراء والأيتام والمحرومين ، فقد قام بالإنفاق عليهم وإعالتهم .

⇨ قال السمعاني في أنسابه ٣ : ٥٠٧ : « الصادق لقب لجعفر الصادق لصدقه في مقاله » .

(١) أعيان الشيعة ـ القسم الثاني : ٤ : ٩١ .

(٢ ـ ٤) مرآة الزمان : ٥ ، الورقة ١٦٦ من مصوّرات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

(٥) سرّ السلسلة العلويّة : ٣٤ .

(٦) و (٧) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٢٨١ .

٨ـ المنجي[١] : من ألقابه الكريمة المنجي من الضلالة ، فقد هدى من التجأ إليه ، وأنقذ من اتّصل به .

هذه بعض ألقابه الكريمة التي تحكي بعض صفاته ، ومعالم شخصيّته .

كنيته عليه السلام

وكنّي الإمام الصادق عليه السلام بما يلي :

١ ـ أبوعبدالله .

٢ ـ أبوإسماعيل .

٣ ـ أبوموسى[٢] .

أوصافه وملامحه عليه السلام

أمّا أوصافه وملامحه فقد ذكر الرواة أنّه كان ربع القامة ، أزهر الوجه ، حالك الشعر[٣] ، جعد[٤] ، أشمّ الأنف ، أنزع[٥] ، رقيق البشرة ، على خدّه خال[٦] أسود ، وعلى جسده خيلان[٧] حمرة[٨] .

وقيل : إنّه كان معتدل القامة ، أدم اللون[٩] . هذه ملامحه .

---

(١) و (٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٢٨١ .

(٣) **حالك الشعر** : أي شديد السواد .

(٤) **جعد** : من صفات الشعر إذا كان فيه التواء وقبض .

(٥) **الأنزع** : هو الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته .

(٦) **الخال** : شامة في البدن ، ويغلب على شامة الخدّ .

(٧) **خيلان** ـ مفرده خال ـ : وهي الشامة .

(٨) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٢٨١ .

(٩) تذكرة الحفّاظ : ١ : ١٥٨ .

وأمّا صفاته النفسيّة فقد حاكى بها صفات الرسول الأعظم ﷺ، وسنتحدّث عنها في غضون هذا الكتاب.

سنة الولادة

واختلف المؤرّخون في السنة التي وُلد فيها الإمام الصادق عليه السلام، وهذه بعض الأقوال:

١ ـ إنّه وُلد بالمدينة المنوّرة سنة ٨٠هـ[١].

٢ ـ وُلد سنة ٨٣هـ، يوم الجمعة، ويقال: يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأوّل[٢].

٣ ـ وُلد سنة ٨٦هـ[٣].

بيته عليه السلام

أمّا البيت الذي وُلد ونشأ فيه الإمام الصادق عليه السلام فهو بيت أبيه وجدّه، وكان معروفاً في العصور السابقة ببيت الإمام الصادق عليه السلام.

وفي أيّام الحكومة السعوديّة منحته لنائب الحرم، وبعد إلغاء وظيفته منحته للقائم بأوقاف الحرم النبويّ[٤].

---

(١) تاريخ ابن الوردي: ١: ٢٦٦. الاتحاف بحبّ الأشراف: ٥٤. سرّ السلسلة العلويّة: ٣٤. ينابيع المودّة: ٤٥٧. تذكرة الحفّاظ: ١: ١٥٧. نور الأبصار: ١٣٢. وفيات الأعيان: ١: ١٩١.

(٢) أُصول الكافي: ١: ٤٧٢. مناقب آل أبي طالب: ٤: ٢٧٩ و ٢٨٠. إعلام الورى: ٢٧١، وجاء فيه: «أنّه ولد بالمدينة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأوّل».

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٤: ٢٨٠.

(٤) في منزل الوحي: ٥٣٢.

نبوغه وذكاؤه عليه السلام

كان الإمام الصادق عليه السلام في سنّه المبكّر آية من آيات النبوغ والذكاء ، فلم يجاريه أحد بمثل سنّه على امتداد التاريخ بهذه الظاهرة التي تدعو إلى الاعجاب والإكبار ، والتي كان منها أنّه كان يحضر دروس أبيه وهو صبيّ يافع لم يتجاوز عمره الثلاث سنين ، وقد فاق بتلقّيه لدروس أبيه جميع تلاميذه من كبار العلماء والرواة .

ومن الجدير بالذكر أنّ دروس أبيه وبحوثه لم تقتصر على الفقه والحديث وتفسير القرآن الكريم ، وإنّما شملت جميع أنواع العلوم من الفلسفة والطبّ وعلم الكيمياء وعلم النجوم وغيرها ، وقد ألمّ بها الإمام الصادق عليه السلام ، وممّا يدلّ على ذلك ما نقله الرواة أنّ الوليد بن عبدالملك أمر عامله على يثرب عمر بن عبدالعزيز بتوسعة المسجد النبويّ ، فأنجز عمر قسماً كبيراً منه وأعلمه بذلك ، وسافر الوليد إلى يثرب ليطّلع بنفسه على ما أنجزه عمر من أعمال التعمير والتوسيع ، وقد استقبله عمر من مسافة خمسين فرسخاً ، وأعدّ له استقبالاً رسمياً ، وخرجت أهالي يثرب بجميع طبقاتها لاستقباله والترحيب به .

وبعدما انتهى إلى يثرب دخل إلى الجامع النبوي ليشاهد ما اُنجز من أعمال التعمير ، وقد رأى الإمام الباقر عليه السلام على المنبر وهو يلقي محاضرة على تلاميذه ، فسلّم عليه ، فردّ الإمام السلام عليه ، وتوقّف عن التدريس تكريماً له ، فأصرّ عليه الوليد أن يستمرّ في تدريسه ، فأجابه إلى ذلك ، وكان موضوع الدرس (الجغرافيا) ، فاستمع الوليد وبهر من ذلك ، فسأل الإمام : « ما هذا العلم ؟ » .

فأجابه الإمام : « **إِنَّهُ عِلْمٌ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْأَرْضِ وَالسَّماءِ ، وَالشَّمْسِ وَالنُّجومِ** » .

ووقع نظر الوليد على الإمام الصادق عليه السلام ، فسأل عمر بن عبدالعزيز :

« من يكون هذا الصبي بين الرجال ؟ »

فبادر عمر قائلاً : « إنّه جعفر بن محمّد الباقر . . . » .

وأسرع الوليد قائلاً: «هل هو قادر على فهم الدرس واستيعابه ؟ ».

وبادر عمر فعرّفه بما يملكه الصبي من قدرات علميّة قائلاً: «إنّه أذكى من يحضر درس الإمام، وأكثرهم سؤالاً ونقاشاً».

وبهر الوليد واستدعاه بالوقت، فلمّا مثل أمامه بادر قائلاً:

«ما اسمك ؟ ».

وأجابه الصبي بطلاقة قائلاً: **«اسْمي جَعْفَر»**.

وأراد الوليد امتحانه فقال له: «أتعلم من كان صاحب المنطق ؟ » (أي مؤسّسه).

فأجابه الصبيّ: **«كانَ أَرْسطو مُلَقَّباً بِصاحِبِ الْمَنْطِقِ، لَقَّبَهُ إِيّاهُ تَلامِذَتُهُ وَأَتْباعُه»**.

ووجّه الوليد إليه سؤالاً ثانياً قائلاً: «من صاب المعز ؟ ».

فأنكر عليه الإمام ذلك وقال: **«لَيْسَ هذا إِسْماً لأَحَدٍ، وَلكنَّهُ إِسْمٌ لِمَجْموعَةٍ مِنَ النُّجومِ، وَتُسَمّىٰ ذو الأَعنَّة»**[1].

واستولت الحيرة والذهول على الوليد، فلم يدرِ ما يقول، وتأمّل كثيراً ليستحضر مسألة أُخرى يسأل بها سليل النبوّة، وحضر في ذهنه السؤال الآتي فقال له: «هل تعلم من صاحب السواك ؟ ».

فأجابه الإمام فوراً: **«هُوَ لَقَبُ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعودٍ صاحِبِ جَدّي رَسولِ اللهِ ﷺ»**.

ولم يستحضر الوليد مسألة يسأل بها الإمام، ووجد نفسه عاجزاً أمام هذا العملاق العظيم، فراح يبدي إكباره وإعجابه بالإمام، ويرحّب به، وأمسك بيده ودنا من الإمام الباقر عليه السلام يهنّئه بولده قائلاً: «إنّ ولدك هذا سيكون علامة عصره...»[2].

وصدق توسّم الوليد، فقد أصبح الإمام الصادق عليه السلام أعلم علماء أهل عصره على

---

(١) هذه المجموعة من النجوم تسمّى في اصطلاح العلم الحديث «اوريكا» أو «أريجا».

(٢) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ١٠٨ ـ ١١٢.

الإطلاق ، بل أعلم علماء الدنيا على امتداد التاريخ ، وليس هناك تعليل مقنع لهذه الظاهرة التي اتّصف بها سليل النبوّة في حال طفولته ، إلّا القول بما تذهب إليه الشيعة من أنّ الله تعالى منح أئمّة أهل البيت عليهم السلام العلم والحكمة في جميع أدوار حياتهم كما منح أنبياءه ورسله ، فإنّ الطفل بحسب تكوينه السيكولوجي من غير الممكن أن تكون له مثل هذه القدرات العلميّة ، وإن اتّصف بالذكاء الحادّ .

معرفته عليه السلام بجميع اللغات

وكان من السمات البارزة لنبوغه وذكائه تعلّمه في سنّه المبكّر لجميع لغات العالم ، فلم تبق لغة إلّا كان عالماً بها ، وكان يتكلّم مع كلّ أهل لغة كأنّه واحد منهم ، وهذه بعض اللغات التي كان يتكلّم بها :

١ ـ **النبطيّة :** وكان الإمام الصادق عليه السلام يجيد النبطيّة ، فقد روى يونس بن ظبيان النبطي أنّ الإمام الصادق عليه السلام تحدّث معه باللغة النبطيّة ، فأخبره عن أوّل خارجة خرجت على موسى بن عمران ، وعلى المسيح ، وعلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالنهروان ، وأعقب كلامه بقوله : « **مالح ديربير ماكى مالح** » ، ومعناه أنّ ذلك عند قريتك التي هي بالنبطيّة[١] .

٢ ـ **العبريّة :** ومن اللغات التي كان يجيدها الإمام الصادق عليه السلام (العبريّة) ، فقد روى عامر بن عليّ الجامعي ، قال : « قلت لأبي عبدالله عليه السلام : جُعلت فداك ، إنّا نأكل كلّ ذبائح أهل الكتاب ، ولا ندري أيسمّون عليها أم لا ؟

فقال عليه السلام : « **إذا سَمِعْتُموهُمْ قَدْ سَمّوا فَكُلوا ، أَتَدْري ما يَقولونَ علىٰ ذَبائِحِهِمْ ؟**

فقلت : لا .

فقرأ شيئاً لم أعرفه ، ثمّ قال : **بِهذا أُمِروا** .

---

(١) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب : ٤٨ .

فقلت : جعلت فداك ، إن رأيت أن نكتبها .

قال عليه السلام : **اكْتُبْ (نوح أيوا ادينو بلهيز مالحوا عالم اشرسوا أورصوبنوا يوسعه موسق ذعال اسطحوا) »**[(١)] .

في رواية أُخرى : أنّ النصّ كالآتي (**با روح أنا ادوناي إيلوهنوا ملخ عولام اشرفدشنوا عبسوتا وسينوانوا على هشخيطا**) ، ومعناه تبارك أنت الله مالك العالمين ، الذي قدّسنا بأوامره ، وأمرنا على الذبح[(٢)] .

٣ ـ **الفارسيّة** : ومن اللغات الشرقيّة التي كان يجيدها الإمام عليه السلام إجادة تامّة اللغة الفارسيّة ، فقد روى أبو بصير ، قال : «كنت عند أبي عبدالله عليه السلام وعنده رجل من أهل خراسان وهو يكلّمه بلسان لا أفهمه[(٣)] .

وكانت تلك اللغة التي كان يتحدّث بها مع الخراساني هي اللغة الفارسيّة .

ووفد عليه قوم من أهل خراسان ، فقال عليه السلام لهم : « **مَنْ جَمَعَ مالاً يَحْرِسُهُ عَذَّبَهُ اللهُ عَلىٰ مِقْدارِهِ** » ، فقالوا له باللغة الفارسيّة : لا نفهم العربيّة ، فقال عليه السلام لهم : « **هركه درهم اندوزد جزايش دوزخ باشد** »[(٤)] .

وروى أبويزيد فرقد ، قال : «كنت عند أبي عبدالله عليه السلام وقد بعث غلاماً له أعجميّاً في حاجة ، فرجع إليه فجعل يغيّر الرسالة فلا يخبره حتّى ظننت أنّه سيغضب عليه ، فقال له : **تَكَلَّمْ بِأَيِّ لِسانٍ شِئْتَ فَإِنّي أَفْهَمُ عَنْكَ** »[(٥)] .

٤ ـ **معرفته بكلّ لغة** : لقد كان الإمام عليه السلام عالماً بكلّ لغة من لغات أهل الأرض ، فقد روى أبان بن تغلب ، قال : « غدوت من منزلي بالمدينة وأنا أُريد أبا عبدالله ،

---

(١) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب : ٤٧ .

(٢) المصدر المتقدّم : ٤٧ و ٤٨ .

(٣) الاختصاص : ١٨٣ .

(٤) و (٥) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب : ٤٦ .

فلمّا صرت بالباب وجدت قوماً عنده لم أعرفهم ، ولم أرَ قوماً أحسن زيّاً منهم ، ولا أحسن سيماءً منهم ، كأنّ الطير على رؤوسهم ، فجعل أبو عبدالله عليه السلام يحدّثنا بحديث ، فخرجنا من عنده وقد فهّم خمسة عشر نفراً متفرّقو الألسن ، منهم العربي والفارسي والنبطي والحبشي والصقلبي ، فقال العربي : حدّثنا بالعربيّة ، وقال الفارسي : حدّثنا بالفارسيّة ، وقال الحبشي : حدّثنا بالحبشيّة ، وقال الصقلبي : حدّثنا بالصقلبيّة ، وأخبرعليه السلام بعض أصحابه بأنّ الحديث واحد ، وقد فسّره لكلّ قوم بلغتهم »(١) .

ودار حديث بين الإمام عليه السلام وبين عمّار الساباطي باللغة النبطيّة ، فبهر عمّار وراح يقول : « ما رأيت نبطيّاً أفصح منك بالنبطيّة . . » .

فقال عليه السلام له : « **يا عَمّارُ ، وَبِكُلِّ لِسان** »(٢) .

لقد ملك الإمام الصادق عليه السلام في طفولته وشبابه وشيخوخته من النبوغ وقوّة الذكاء ما لا يوصف ، فقد فاق بهذه الظاهرة جميع العباقرة في الأرض .

عمله عليه السلام في الجامع النبوي

ولمّا أوعز الوليد بن عبدالملك إلى عامله في يثرب عمر بن عبدالعزيز بتوسعة الجامع النبوي ، وباشر العمّال في عملهم طلب الإمام الصادق عليه السلام وهو صبيّ من أبيه الإمام محمّد الباقر عليه السلام أن يسمح له بالعمل مع العمّال في بناء المسجد ، فقال له أبوه : « **لا يا بُنَيَّ إِنَّكَ طِفْلٌ لا تُطيقُ مِثْلَ هذا الْعَمَلِ** » .

فأجابه الصبي جواب الرجل الكبير : « **إِنّي اُحِبُّ أَنْ اُشارِكَ في بِناءِ الْمَسْجِدِ كَجَدّي رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله** » .

---

(١) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب : ٤٦ و ٤٧ .

(٢) الاختصاص : ٢٨٣ .

وبهر الإمام الباقر من جواب ولده الذي دلّ على نبوغه وطموحه، وتطلّعه القيادي لزعامة الأُمّة، فلم يسعه إلّا الاستجابة له(١).

وشارك الإمام الصادق عليه السلام وهو صبيّ العمّال في عملهم، وشابه بذلك جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي شارك أصحابه في بناء الجامع المقدّس.

مرض أُمّه عليها السلام

في سنة تسعين من الهجرة انتشر مرض الجدري في يثرب فأصاب مجموعة كبيرة من الأطفال، وكان الإمام الصادق عليه السلام في السنة السابعة أو العاشرة من عمره، فخافت عليه أُمّه أن يصاب بهذا المرض ففرّت به إلى الطنفسة، وهي من القرى الريفيّة القريبة من المدينة.

واستقرّت السيّدة أُمّ فروة مع ابنها الإمام الصادق عليه السلام في الطنفسة نائية به عن الأخطار، إلّا أنّها أُصيبت بهذا المرض من دون أن تشعر به في بادئ الأمر، فلمّا ظهرت عليها أعراضه تنبّهت إلى خطورة الموقف، ولم تهتمّ السيّدة بعلاج نفسها، وإنّما كان همّها الوحيد إنقاذ ولدها، فأبعدته إلى مكان آخر بعيد عنها، وأخذت تعاني آلام المرض وسريانه في جسمها، ولمّا انتهى الخبر إلى الإمام الباقر عليه السلام أوقف بحوثه ودروسه العلميّة واتّجه لعيادة زوجته، وقبل أن يسافر إليها زار قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، ودعا الله تعالى أن ينقذ زوجته من هذا المرض.

ولمّا انتهى الإمام الباقر عليه السلام إلى زوجته عظم عليها مجيئه، وخافت عليه من العدوى، وشكرته على مجيئه لزيارتها، والتفت إليها الإمام وبشّرها بالسلامة قائلاً:

«لَقَدْ دَعَوْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ قَبْرِ جَدّي رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنْ يُنْجِيكِ مِنْ هذا الْمَرَضِ، وَإِنّي واثِقٌ أَنَّ جَدّي لا يَرُدُّني، وَسَيَقْضي لي حاجَتي، فَثِقي بِأَنَّكِ سَتَشْفينَ مِنْ هذا

---

(١) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ٨٦.

الْمَرَضِ ، وَأَنا أَيْضاً مَصونٌ مِنْهُ إن شاءَ اللهُ» .

واستجاب الله دعاء وليّه الإمام عليه السلام ، فقد عوفيت السيّدة أُمّ فروة من مرضها ، ولم يترك أي أثر على جسمها .

ومن الجدير بالذكر أنّ هذا المرض لا يصيب الكبار إلّا نادراً ، فإن أصابهم فلاينجو منه إلّا القليل (١) .

هيبته ووقاره عليه السلام

وكانت تعنو الوجوه لهيبة الإمام الصادق عليه السلام ووقاره ، فقد حاكى هيبة الأنبياء ، وجلالة الأوصياء ، وما رآه أحد إلّا هابه ؛ لأنّه كانت تعلوه روحانيّة الإمامة ، وقداسة الأولياء ، وكان ابن مسكان ـ وهو من خيار الشيعة وثقاتها ـ لا يدخل عليه شفقة أن لا يوفّيه حقّ إجلاله وتعظيمه ، فكان يسمع ما يحتاج إليه من أُمور دينه من أصحابه ، ويأبى أن يدخل عليه (٢) ، فقد غمرته هيبته .

(١) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب : ٨٩ و ٩٠ .

(٢) الاختصاص : ٢٠٣ .

في ظلال جده وأبيه عليه السلام

نشأ الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام في بيت من أعزّ بيوت الله ، ذلك البيت الذي أشرقت منه رسالة الإسلام التي فرضت المعرفة ، ومدّنت الأُمم ، وكرّمت الإنسان ، ومجّدت الفكر .

في ذلك البيت المعظّم الذي هو مصدر الإشعاع في دنيا العرب والإسلام نشأ الإمام الصادق عليه السلام عملاق هذه الأُمّة ورائد نهضتها الفكريّة والحضاريّة ، فكان جدّه الإمام زين العابدين ، وسيّد الساجدين عليه السلام ، يغذّيه بروحانيّته وقداسته ، ويفيض عليه مقوّماته الفكريّة ، كما كان أبوه الإمام محمّد الباقر عليه السلام يغرس في أعماق نفسه جميع ما توفّر عنده من الزخم الروحي والمثل العليا ، ليكون وليده القائد لهذه الأُمّة في مسيرتها الروحيّة والزمنيّة ، ونعرض لنشأته في ظلّ هذين الإمامين :

في ظلال جدّه عليه السلام

أمّا الإمام زين العابدين عليه السلام فهو المربّي الأكبر في الإسلام ، والرائد الأعلى للمتّقين الأخيار ، الذي أوقف المدّ الأموي ، والغزو الجاهلي الذي استهدف تغيير المنهج الفكري والعقائدي في الإسلام ، وذلك بما بثّه هذا الإمام الملهم من صفحات مشرقة من أدعيته الذهبيّة ، التي هي زبور آل محمّد صلى الله عليه وآله ، والتي كهربت القلوب والعواطف ، وأوجدت مدّاً إسلاميّاً يتفاعل مع مشاعر المسلمين في كلّ زمان ومكان .

لقد عنى هذا الإمام العظيم بتربية حفيده الإمام الصادق عليه السلام ، فغرس في دخائل ذاته جميع النزعات الخيّرة ، والسلوك النيّر ليكون امتداداً ذاتياً لآبائه العظام الذين غيّروا مجرى تاريخ البشريّة من الجهل والعبوديّة إلى العلم والحريّة .

لقد قطع الإمام الصادق عليه السلام المرحلة الأُولى من حياته قدّرت باثني عشر عاماً(١) ، وهو في كنف جدّه إمام المتّقين وسيّد العابدين عليه السلام ، وقد شاهد سيرته الفوّاحة العطرة التي تحكي سيرة الأنبياء والمرسلين ، فما من عمل يقرّبه إلى الله زلفى إلّا عمله ، ولا مكرمة أو فضيلة يسمو بها الإنسان إلّا اتّصف بها .

لقد رافق الإمام الصادق عليه السلام جدّه الإمام زين العابدين ، وسيّد المتّقين ، وهو صائم في النهار ، قائم في الليل ، لا يهدأ ولا يستقرّ ، قد هام بعبادة الله تعالى ، فلم يرَ الناس مثله في طاعته وإخلاصه في عبادته ، ومن كثرة صلاته وسجوده كانت له ثفنات مثل ثفنات البعير في مواضع سجوده .

لقد كانت عبادته ممّا يبهر العقول ، وصارت حديث الناس على امتداد التاريخ ، فقد عبدَ الله تعالى لا طمعاً في جنّته ، ولا خوفاً من ناره ، ولكنّه وجده أهلاً للعبادة فعبده ، كما كان جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

لقد تأثّر الإمام الصادق عليه السلام بهذا السلوك المشرق ، الذي أضاء سماء التوحيد ، فعبد الله تعالى كجدّه ، فكان في أكثر أيّام حياته صائماً نهاره ، قائماً ليله ، كما سنتحدّث عنه .

رأى الإمام الصادق عليه السلام جدّه الإمام سيّد المتّقين والعارفين ، وهو يحمل في غلس الليل الجراب مليئاً بالأطعمة والنقود لينفقها على الفقراء والضعفاء ، وهم لا يعرفونه ، واقتدى الصادق عليه السلام بجدّه ، وسار على منهجه وسيرته ، فكان يعمل مثل جدّه .

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤: ٢٨٠.

شاهد الإمام الصادق عليه السلام جدّه زين العابدين عليه السلام وهو يحرّر العبيد ، وينعم عليهم حتّى لا يحتاجون إلى أحد ، ثمّ يغدق عليهم علومه ومعارفه ، وإذا بهم يصبحون سادة المجتمع وعلماءه بعد العبوديّة والجهل .

ينظر الإمام الصادق عليه السلام إلى جدّه سيّد المتّقين وهو غارق بالأسى والحزن يذرف الدموع ، ويصعّد آهاته على ما حلّ بأبيه وأهل بيته وأصحابه من رزايا كربلاء التي تذوب من هولها القلوب ، وقد ترك ذلك أسى في نفس الإمام الصادق عليه السلام استوعب مشاعره وعواطفه .

وعاين الإمام الصادق عليه السلام الأخلاق الرفيعة التي هي من ذاتيّات جدّه الإمام العظيم ، والتي رفعته إلى مستوى من الكمال لم يبلغه أي مصلح كان عدا آبائه .

انظروا إلى بادرة من معالي أخلاقه ، لقد كان في كلّ يوم من شهر رمضان المبارك يذبح شاة ويطبخها ويوزّعها على الفقراء ، وفي يوم حمل غلامه إناءً فيه مرق شديد الحرارة فعثر الغلام بأحد أطفال الإمام ، فوقع الإناء عليه ، فتوفّي الطفل في الوقت ، فارتفعت الصيحة من العلويّات ، وكان الإمام عليه السلام يصلّي ، فلمّا انفتل من صلاته أُخبر بالحادثة ، فأسرع الإمام إلى الغلام فرآه يرتعد من شدّة الخوف ، فاعتنقه وأوسعه تقبيلاً وهو يقول له بلطف وحنان :

« لَقَدْ ظَنَنْتَ بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الظُّنونَ ، ظَنَنْتَ أَنَّهُ يُعاقِبُكَ ، وَيَقْتَصُّ مِنْكَ .. اذْهَبْ أَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ ، وَهـٰذِهِ أَرْبَعَةُ آلافِ دينارٍ هَدِيَّةٌ إِلَيْكَ ، وَاجْعَلْني في حِلٍّ مِنَ الْخَوْفِ الَّذي داخَلَكَ مِنْ أَجْلي »(١) .

أي نفس ملائكيّة هذه النفس التي فاقت نفوس عباد الله الصالحين الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان .

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ١ : ٣٥ و ٣٦ .

وقد تأثّر الإمام الصادق عليه السلام بهذه الأخلاق الرفيعة التي هي نفحة من روح الله ، فكانت من ذاتيّاته وعناصره .

رأى الإمام الصادق عليه السلام جدّه الإمام الأعظم وقد أقبل على نشر العلم ، وإشاعة الثقافة بين المسلمين ، وكان يجد في ذلك متعة نفسيّة لا تعادلها أية متعة من متع الحياة ، وقد احتفت به طلاب العلوم فكانوا ينتهلون من نمير علومه ، وقد لازمه القرّاء فكانوا لا يخرجون إلى مكّة حتّى يخرج عليّ بن الحسين(١) .

وكانوا يسجّلون حكميّاته وأدعيته وفقهه ، وقد تخرّج على يده كبار العلماء في ذلك العصر ، وكان معظمهم من الموالي ، وهم الذين تزعّموا الحركة العلميّة في تلك العصور .

لقد تأثّر الإمام الصادق عليه السلام بهذه السيرة الفوّاحة العطرة ، فأسّس جامعته الكبرى التي ضمّت آلافاً من طلاب العلوم الذين حملوا مشعل الثقافة الإسلاميّة ، وأمدّوا العالم الإسلامي بجميع مقوّمات النهوض والارتقاء .

وعلى أي حال ، فإنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قام بتربية حفيده الإمام الصادق عليه السلام ، فأفاض عليه مكوّناته النفسيّة ، وأعدّه لقيادة الأمّة في مسيرتها الثقافيّة والروحيّة .

دعاؤه عليه السلام لولده

وقام المربّي الكبير الإمام زين العابدين عليه السلام بدور مشرق في عالم التربية لم يعهد له نظير ، فقد كان يدعو لأولاده بهذا الدعاء الشريف الذي هو من نفحات النبوّة ، ومن عبقات الإمامة ، ومن المناهج المشرقة في التربية الإسلاميّة ، وهذا نصّه :

اللّهُمَّ وَمُنَّ عَلَيَّ بِبَقاءِ وُلْدي ، وَبِإصْلاحِهِمْ لي وَبِإمْتاعي بِهِمْ ، إلٰهي امْدُدْ لي في

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ١ : ٣٨ .

أَعْمارِهِمْ ، وَزِدْ لي في آجالِهِمْ ، وَرَبِّ لي صَغيرَهُمْ ، وَقَوِّ لي ضَعيفَهُمْ ، وَأَصِحَّ لي أَبْدانَهُمْ وَأَدْيانَهُمْ ، وَأَخْلاقَهُمْ ، وَعافِهِمْ في أَنْفُسِهِمْ وَفي جَوارِحِهِمْ ، وَفي كُلِّ ما عُنيتُ بِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَأَدْرِرْ لي وَعَلىٰ يَدَيَّ أَرْزاقَهُمْ ، وَاجْعَلْهُمْ أَبْـراراً أَتْـقِياءَ بُـصَراءَ سـامِعينَ لَكَ ، وَلأَوْلِيائِكَ مُحِبّينَ مُناصحينَ ، وَلِجَميعِ أَعْدائِكَ مُعانِدينَ وَمُبْغِضينَ آمينَ .

اللّهُمَّ اشْدُدْ بِهِمْ عَضُدي ، وَأَقِمْ بِهِمْ أَوَدي ، وَكَثِّرْ بِهِمْ عَدَدي ، وَزَيِّنْ بِهِمْ مَحْضَري ، وَأَحْيِ بِهِمْ ذِكْري ، وَاكْفِني بِهِمْ في غَيْبَتي ، وَأَعِنّي بِهِمْ عَلىٰ حاجَتي ، وَاجْـعَلْهُمْ لي مُحِبّينَ ، وَعَلَيَّ حَدِبينَ مُـقْبِلينَ ، مُسْـتَقيمينَ لي ، مُـطيعينَ غَـيْرَ عـاصينَ وَلا عـاقّينَ وَلا مُخالِفينَ وَلا خاطِئينَ ، وَأَعِنّي عَلىٰ تَرْبِيَتِهِمْ وَتَأْديبِهِمْ وَبِرِّهِمْ ، وَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ مَعَهُمْ أَوْلاداً ذُكُوراً ، وَاجْعَلْ ذٰلِكَ خَيْراً لي ، وَاجْعَلْهُمْ لي عَوْناً عَلىٰ ما سَأَلْتُكَ .

وَأَعِذْني وَذُرِّيَّتي مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ ، فَإِنَّكَ خَلَقْتَنا وَأَمَرْتَنا وَنَهَيْتَنا ، وَرَغَّبْتَنا فـي ثَوابِ ما أَمَرْتَنا ، وَرَهَّبْتَنا عِقابَهُ ، وَجَعَلْتَ لَنا عَدُوّاً يَكيدُنا سَلَّطْتَهُ مِنّا عَلىٰ مالَمْ تُسَلِّطْنا عَلَيْهِ مِنْهُ ، أَسْكَنْتَهُ صُدورَنا ، وَأَجْرَيْتَهُ مَجارِيَ دِمائِنا ، لايَغْفُلُ إِنْ غَفَلْنا ، وَلا يَنْسىٰ إِنْ نَسينا ، يُؤْمِنُنا عِقابَكَ ، وَيُخَوِّفُنا بِغَيْرِكَ ، إِنْ هَمَمْنا بِفاحِشَةٍ شَجَّعَنا عَلَيْها ، وَإِنْ هَمَمْنا بِعَمَلٍ صالِحٍ ثَبَّطَنا عَنْهُ ، يَتَعَرَّضُ لَنا بِالشَّهَواتِ ، وَيَـنْصِبُ لَـنا بِـالشُّبُهاتِ ، إِنْ وَعَـدَنا كَذَبَنا ، وَإِنْ مَنّانا أَخْلَفَنا ، وَإِلّا تَصْرِفْ عَنّا كَيْدَهُ يُضِلَّنا ، وَإِلّا تَقِنا خَبالَهُ يَسْتَزِلَّنا .

اللّهُمَّ فَاقْهَرْ سُلْطانَهُ عَنّا بِسُلْطانِكَ ، حَتّىٰ تَحْبِسَهُ عَنّا بِكَثْرَةِ الدُّعاءِ لَكَ ، فَنُصْبِحَ مِنْ كَيْدِهِ فِي الْمَعْصُومينَ بِكَ .

اللّهُمَّ أَعْطِني كُلَّ سُؤْلي ، وَاقْضِ لي حَوائِجي ، وَلا تَمْنَعْنِي الْإِجابَةَ وَقَدْ ضَمِنْتَها لي ، وَلا تَحْجُبْ دُعائي عَنْكَ وَقَدْ أَمَرْتَني بِهِ ، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِكُلِّ مـا يُـصْلِحُني فـي دُنْـيايَ وَآخِرَتي ، ما ذَكَرْتُ مِنْهُ وَما نَسيتُ ، أَوأَظْهَرْتُ أَوْ أَخْفَيْتُ ، أَوْ أَعْلَنْتُ أَوْ أَسْرَرْتُ .

وَاجْعَلْني في جَمِيعِ ذٰلِكَ مِنَ الْمُصْلِحينَ بِسُؤالي إيّاكَ ، الْمُنْجِحينَ بِالطَّلَبِ إلَيْكَ ، غَيْرِ الْمَمْنُوعينَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، الْمُعَوَّذينَ بِالتَّعَوُّذِ بِكَ ، الرّابِحينَ في التِّجارَةِ عَلَيْكَ ، الْمُجارينَ بِعِزِّكَ ، الْمُوَسَّعِ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ الْحَلالُ مِنْ فَضْلِكَ الْواسِعِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ ، الْمُعَزّينَ مِنَ الذُّلِّ بِكَ ، والْمُجارينَ مِنَ الظُّلْمِ بِعَدْلِكَ ، وَالْمُعافَيْنَ مِنَ الْبَلاءِ بِرَحْمَتِكَ ، وَالْمُغْنَيْنَ مِنَ الْفَقْرِ بِغِناكَ ، والْمَعْصُومينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالزَّلَلِ وَالْخَطأ بِتَقْواكَ ، والْمُوَفَّقينَ لِلْخَيْرِ والرُّشْدِ وَالصَّوابِ بِطاعَتِكَ ، والْمُحالِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ بِقُدْرَتِكَ ، التّارِكينَ لِكُلِّ مَعْصِيَتِكَ ، السّاكِنينَ في جِوارِكَ .

اللّٰهُمَّ أَعْطِنا جَميعَ ذٰلِكَ بِتَوْفيقِكَ وَرَحْمَتِكَ ، وَأَعِذْنا مِنْ عَذابِ السَّعيرِ ، وَأَعْطِ جَميعَ الْمُسْلِمينَ وَالْمُسْلِماتِ وَالْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ مِثْلَ الَّذي سَأَلْتُكَ لِنَفْسي وَلِوُلْدي في عاجِلِ الدُّنْيا وَآجِلِ الْآخِرَةِ ، إنَّكَ قَريبٌ مُجيبٌ ، سَميعٌ عَليمٌ ، عَفُوٌّ غَفُورٌ رَؤُوفٌ رَحيمٌ ، ﴿ وَآتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً وَفي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النّارِ ﴾(١) .

أرأيتم هذه المناهج التربويّة التي تغذّي النفوس بالتقوى والإيمان ، وتبعدها عن مغريات الشيطان ؟ !

أرأيتم هذه المثل العليا التي كان يغرسها الإمام عليه السلام في أعماق نفوس أبنائه ليكونوا أمثلة رائعة في التربية الإسلاميّة ؟ !

لقد دعا الإمام عليه السلام لأبنائه بالصحّة في أديانهم ، وأن لا تجرفهم المذاهب المنحرفة عن الحقّ .

لقد دعا الإمام عليه السلام لأبنائه بالاستقامة والتوازن في سلوكهم ليكونوا قرّة عين له ، وعوناً له في شؤون هذه الحياة . ومن الطبيعي أنّ الأب إنّما يسعد بأبنائه إذا استقامت

---

(١) الصحيفة السجّاديّة : الدعاء الخامس والعشرون .

أخلاقهم ، وكانوا صالحين مهذّبين ، وأمّا إذا شذّوا عن ذلك فإنّهم يحوّلون حياة أبيهم وأمّهم إلى جحيم لا يطاق .

إنّ التربية الرائعة التي انتهجها المربّي الكبير ، سليل النبوّة ، الإمام زين العابدين عليه السلام لأبنائه هي منهج كامل للتربية الإسلاميّة التي تحقّق للإنسانيّة أهمّ ما تصبو إليه من نشر الفضيلة والكمال بين الناس .

في ذمّة الخلود

وليس في هذه الدنيا على امتداد التاريخ مثل الإمام زين العابدين عليه السلام في تقواه وورعه وانقطاعه إلى الله ، عدا آبائه الأئمّة العظام الذين أضاءوا الحياة الدنيا بهديهم وسلوكهم وتحرّجهم في الدين .

لقد كانت حياة الإمام زين العابدين عليه السلام مدرسة للتقوى والإيمان ، ومنطلقاً للتهذيب والإصلاح ، وكانت سيرته وسلوكه يبعثان على التجرّد من النزعات الشريرة ، والإقبال على المُثل الكريمة ، فما من صفة تشرق بها النفس ، ويسمو بها الإنسان إلّا وهي ماثلة في هذا العملاق العظيم .

وأكبر الناس أي إكبار هذا الإمام الملهم ، فهو بقيّة النبوّة ، وبقيّة الصالحين المتّقين الأخيار ، فكان السعيد من يراه ، والسعيد من يحظى بمجالسته والحديث معه ، وقد شقّ ذلك على الأمويّين الذين كانوا من أحقد الناس على الأُسرة النبويّة ، فقد هالهم إكبار الناس وتعظيمهم للإمام ، وورمت أُنوفهم من تقديمه عليهم ، وأنّه أحقّ بخلافة المسلمين منهم ، وكان من أعظم الحاقدين عليه الوليد بن عبدالملك الخليع المستهتر ، فقد قال أمام حشد من الناس : « لا راحة لي وعليّ بن الحسين موجود في دار الدنيا »[١] .

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ١ : ٥١ .

وأجمع رأي هذا الخبيث الدنس على اغتيال الإمام، وتصفيته جسدياً ليصفو له الملك والسلطان.

لقد قام الوليد سليل الخيانة والغدر بأخطر جريمة في الإسلام، فقد بعث سمّاً فاتكاً إلى عامله على يثرب، وأمره أن يدسّه إلى الإمام[١].

لقد كان السمّ وسيلة من الوسائل التي شاع استعمالها عند الحكّام الأمويّين لتصفية خصومهم جسديّاً، وكان أوّل من اعتمد عليه معاوية بن أبي سفيان، فقد دسّه إلى أعلام المسلمين، وفي طليعتهم سيّد شباب أهل الجنّة، وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، الإمام الحسن عليه السلام، ومعاوية هو صاحب الكلمة الشائعة: «إنّ لله جنوداً من عسل»، وقد سار خلفاء معاوية وأبناء عمومته على هذا الخط، فدسّوا السمّ لكلّ من يحذورن منه.

ونفّذ والي يثرب ما عُهد إليه، فدسّ السمّ إلى إمام المتّقين، وزين العابدين عليه السلام، وكان الإمام قد ذبُل جسمه من كثرة عبادته، وبكائه المتّصل على ما حلّ بأبيه من الأرزاء القاصمة في كربلاء التي تذوب من هولها الجبال.

إلى جنّة المأوى

وتفاعل السمّ في جسم الإمام عليه السلام وثقل حاله، ولمّا علم بقربه من دار الحقّ، ومفارقة الدنيا نصّ على إمامة ولده الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، وأقامه مرجعاً للعالم الإسلامي، وأوصاه بعدّة وصايا كان منها:

«يا بُنَيَّ، أُوصيكَ بِما أَوْصاني بِهِ أَبي حينَ حَضَرَتهُ الْوَفاةُ، فَقَدْ قالَ لي: يا بُنَيَّ،

---

(١) نور الأبصار: ١٢٩. الفصول المهمّة / ابن الصبّاغ: ٢٣٣. الاتحاف بحبّ الأشراف: ٥٢. الصواعق المحرقة: ٥٣. الجدول في تواريخ المعصومين / الكفعمي: ٢٧٦.

إيّاكَ وَظُلْمَ مَنْ لا يَجِدُ عَلَيْكَ ناصِراً إلّا اللهُ»[١].

واشتدّت حالة الإمام، وكان يعاني من آلام السمّ ما لا يوصف، وأُغمي عليه ثلاث مرّات، فلمّا أفاق قرأ سورة الواقعة، وسورة إنّا فتحنا.

ثمّ قال: « ﴿ **الْحَمْدُ للهِ الَّذي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ** ﴾[٢]»[٣]. وفاضت نفسه الزكيّة وهي راضية مرضيّة، وقد أشرقت الآخرة بقدومه، وأظلمت الأرض لفقده.

لقد وقف هذا العملاق العظيم أمام التيّارات الأمويّة الجارفة التي صعّدت حملاتها ضدّ الإسلام، وقد عملت جاهدة على لفّ لوائه، إلّا أنّ الإمام بسيرته الملائكيّه التي كانت تهزّ أعماق النفوس، بروحانيّتها التي تحكي روحانيّة الأنبياء وقداستهم، قد وقف سدّاً منيعاً أمام محاولات الأمويّين لإخماد نور الإسلام.

تجهيز الإمام عليه السلام

وقام الإمام أبو جعفر عليه السلام بتجهيز جثمان أبيه، فغسّل جسده الطاهر، وقد رأى الناس مواضع سجوده كأنّها مبارك الإبل من كثرة سجوده للخالق العظيم، ونظروا إلى عاتقه كأنّه مبارك الإبل أيضاً، فدهشوا وسألوا الإمام الباقر عليه السلام عن ذلك، فأخبرهم أنّه من أثر الجراب الذي كان يحمله على عاتقه، ويضع فيه الطعام والمال ويوزّعه على الفقراء والبؤساء.

وبعد الفراغ من غسله أدرجه في أكفانه، وصلّى عليه الصلاة المكتوبة، وحمل

---

(١) الخصال: ١٨٥. الأمالي: ١٦١.

(٢) الزمر ٣٩: ٧٤.

(٣) أُصول الكافي: ١: ٤٦٨، الحديث ٥. بحار الأنوار: ٤٧: ٢٧٦.

الجثمان تحت حالة من التكبير والتهليل إلى بقيع الغرقد ، وقد جرى له تشييع ضخم لم يشهد له مثيل ، فقد شيّعه البرّ والفاجر ، وازدحم الناس حول الجثمان المقدّس ، وهم يذرفون أحرّ الدموع ، فقد فقدوا تلك الروحانيّة التي لا يوجد لها مثيل ، وأخذوا يعدّدون مناقبه ومآثره وخدماته العظيمة للإسلام .

في مقرّه الأخير

وجيء بالجثمان المقدّس إلى بقيع الغرقد ، فحفروا له قبراً بجوار قبر عمّه الزكيّ سيّد شباب أهل الجنّة ، الإمام الحسن عليه السلام ، وأنزل الإمام الباقر عليه السلام جسد أبيه في مقرّه الأخير ، وقد ذاب قلبه أسى وحزناً ، وقد وارى معه البرّ والتقوى والحلم .

وبعد الفراغ من دفنه هرع الناس نحو الإمام الباقر عليه السلام وهم يرفعون إليه تعازيهم الحارّة ، ويشاركونه في لوعته وأساه .

وانصرف الإمام الباقر عليه السلام وهو غارق بالبكاء والشجون ، وقد رأى الإمام الصادق عليه السلام وهو في ميعة الشباب أحزان أبيه على جدّه ، فشاركه في مصابه وآلامه ، وقد فقد أحبّ الناس وأعطفهم عليه .

وتسلّم الإمام الباقر عليه السلام بعد وفاة أبيه القيادة الروحيّة والزعامة الدينيّة ، وأخذ منذ تلك اللحظة ينشر علوم الشريعة الإسلاميّة وأحكام الدين .

وعلى أي حال ، فقد واكب الإمام الصادق عليه السلام جدّه الإمام زين العابدين ، وسيّد المتّقين عليه السلام ، وقد شاهد سيرته النديّة العطرة التي تحكي سيرة الأنبياء والمرسلين .

ومن المؤكّد أنّه ليس في هذا الشرق العربي ولا في غيره من يضارع هذا الإمام في مُثله ومكوّناته النفسيّة ، من العلم والتقوى ، والحلم والصبر على الأحداث المفجعة ، وقد سكب هذا الإمام الملهم العظيم روحه ومكوّناته في نفس حفيده الإمام الصادق عليه السلام ليكون امتداداً له ولآبائه العظام الذين غيّروا مجرى التاريخ ،

وأقاموا رسالة الله في الأرض.

لقد تأثّر الإمام الصادق عليه السلام بسيرة جدّه، وقد حكاه وشابهه في مثله، فكان صورة صادقة عنه.

في ظلال أبيه عليه السلام

وأقام الإمام الصادق عليه السلام تسع عشرة سنة مع أبيه[1]، الذي هو من كواكب العترة الطاهرة، ومن أعلام هذه الدنيا، ومن المؤسّسين لمعالم الحضارة في دنيا العرب والإسلام. وقد عنى هذا الإمام العظيم بتربية ولده الإمام الصادق عليه السلام، فأفاض عليه الصفات الكريمة التي يسمو بها الإنسان، وغذّاه بتقواه وعلومه ليتسلّم من بعده قيادة الأُمّة، ونعرض فيما يلي لبعض شؤونه في ظلال أبيه:

في جامعة أبيه عليه السلام

وحضر الإمام الصادق عليه السلام وهو صبيّ يافع دروس أبيه التي كان يلقيها في الجامع النبوي، وفي بهو بيته، ولم تقتصر دروسه على علوم الشريعة الإسلاميّة، وإنّما شملت فلسفة الكون، ومظاهر الحياة.

وقد فاق الإمام الصادق عليه السلام بنبوغه وذكائه الشيوخ من كبار العلماء والفضلاء، الذين كانوا يحضرون دروس أبيه، كما شهد بذلك عمر بن عبدالعزيز أمام الوليد بن عبدالملك، حينما زار المدينة المنوّرة[2].

وكان العلماء العظام يرجعون إليه فيما أشكل عليهم من بحوث أبيه وهو

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ٢٨٠، وفي المعارف: ٩٤: «أنّه عاش في حياة أبيه نحواً من ثلاثين سنة».

(٢) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ١١٢.

يوضّحها ويبيّنها لهم.

محبّة وثناء

وأخلص الإمام محمّد الباقر عليه السلام كأعظم ما يكون الإخلاص لولده الإمام الصادق عليه السلام الذي هو ملء فم الدنيا في فضائله وعلومه وتقواه، وقد أدلى عليه السلام بكوكبة من الأحاديث أشاد فيها بفضل ولده كان منها ما يلي:

١ - روى أبو الصباح الكناني، قال: «نظر أبو جعفر عليه السلام إلى أبي عبدالله عليه السلام يمشي، فقال: **«ترىٰ هذا، هذا مِنَ الّذينَ قالَ اللهُ عزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾**[1]»[2].

ونصّ الإمام بهذا الحديث على إمامة ولده، وأقامه علماً للمسلمين من بعد وفاته.

٢ - روى طاهر قال: «كنت عند أبي جعفر عليه السلام، فأقبل جعفر فقال عليه السلام: **«هٰذا خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»**[3].

إنّه خير البريّة بما تحمله هذه الكلمة من معنىً، فهو خير البريّة في علمه وتقواه وتحرّجه في الدين، وهو خير البريّة بما أسداه على هذه الأُمّة من آيات وألطاف.

وصاياه عليه السلام للإمام للصادق عليه السلام

وزوّد الإمام محمّد الباقر عليه السلام ولده الإمام الصادق عليه السلام بجمهرة من الوصايا هي خلاصة التجارب، وجوهر الحكمة، ومن بينها ما يلي:

---

(١) القصص ٢٨: ٥.

(٢) أُصول الكافي: ١: ٣٠٦.

(٣) أُصول الكافي: ١: ٣٠٧.

١ ـ قال عليه السلام: «يا بُنَيَّ ، إنَّ اللهَ خَبَّأَ ثلاثَةَ أَشْياءٍ في ثَلاثَةِ أَشْياءٍ: خَبَّأَ رِضاهُ في طاعَتِهِ ، فَلا تَحْقِرَنَّ مِنَ الطّاعَةِ شَيْئاً ، فَلَعَلَّ رِضاهُ فيهِ .

وَخَبَّأَ سَخطَهُ في مَعْصِيَتِهِ ، فَلا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْصِيَةِ شَيْئاً ، فَلَعَلَّ سَخطَهُ فيهِ .

وَخَبَّأَ أَوْلياءَهُ في خَلْقِهِ ، فَلا تَحْقِرَنَّ أَحَداً فَلَعَلَّهُ ذلِكَ الْوَلي»(١) .

وحفلت هذه الوصيّة بالحثّ على طاعة الله تعالى ، والتحذير من معصيته ، كما فيها الحثّ بتكريم خلق الله ، وعدم الاستهانة بأي أحد منهم .

٢ ـ حكى الإمام الصادق عليه السلام لسفيان الثوري إحدى وصايا أبيه له .

قال عليه السلام: «يا سُفْيانُ ، أَمَرَني أَبي بِثَلاثٍ ، وَنَهاني عَنْ ثَلاثٍ ، فَكانَ فيما قالَ لي: يا بُنَيَّ ، مَنْ يَصْحَبْ صاحِبَ السّوءِ لا يَسْلَمْ ، وَمَنْ يَدْخُلْ مَداخِلَ السّوءِ يُتَّهَمْ ، وَمَنْ لا يَمْلِكْ لِسانَهُ يَنْدَمْ ، ثُمَّ أَنْشَدَني:

عَوِّدْ لِسانَكَ قَوْلَ الْخَيْرِ تَحْظَ بِهِ ... إِنَّ اللِّسانَ لِما عَوَّدتَ يَعْتادُ

مُوَكَّلٌ يَتَقاضى ما سَنَنْتَ لَهُ ... في الخَيْرِ والشَّرِّ فانْظُرْ كيفَ تَعْتادُ»(٢)

وهذه الوصيّة من روائع الحِكم ، فقد حفلت بجميع مقوّمات الآداب والفضائل ، ودعت إلى كلّ ما يسمو به الإنسان .

برّ الإمام الصادق بأبيه عليهما السلام

كان الإمام الصادق عليه السلام من أبرّ الناس بأبيه ، ومن أكثرهم إجلالاً واحتراماً له ، وكان يقول: «إنَّ سَكَراتِ الْمَوْتِ يُخَفِّفُها اللهُ عَلىٰ مَنْ كانَ بارّاً بِوالِدَيْهِ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ

---

(١) الفصول المهمّة: ٢٩. وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل: ٢٠٨.

(٢) الخصال: ١٥٧.

الأَعْمالِ بِرُّ الْوالِدَيْنِ »[١].

وكان يرى أنّ حدّة النظر إلى الأبوين عقوق لهما[٢].

وقد قيل: «أربعة لا يأنف الشريف منهنّ وإن كان أميراً: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته للعالم الذي يتعلّم منه، والسؤال عمّا لا يعلم، وخدمته للضيف».

لقد كان الإمام الصادق عليه السلام مضرب المثل في برّه وتعظيمه لأبيه الذي هو ملء فم الدنيا في فضله وتقواه وتحرّجه في الدين.

مع أبيه عليه السلام في الشام

وغادر الإمام الباقر مع ولده الإمام الصادق عليهما السلام يثرب إلى دمشق بإيعاز من هشام بن عبدالملك، ويعود السبب في ذلك إلى أنّ الإمام الصادق عليه السلام قد حجّ مع أبيه، وكان هشام بن عبدالملك قد حجّ في تلك السنة، فقال الإمام الصادق عليه السلام أمام حشد من الحجّاج فيهم مسلمة بن عبدالملك: «**الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ نَبِيّاً، وَأَكْرَمَنا بِهِ، فَنَحْنُ صَفْوَةُ اللهِ عَلىٰ خَلْقِهِ، وَخِيرَتُهُ مِنْ عِبادِهِ، فَالسَّعيدُ مَنْ تَبِعَنا، وَالشَّقِيُّ مَنْ عادانا وَخالَفَنا**».

وورم أنف مسلمة، وتميّز غيظاً حينما سمع كلام الإمام، ففزع إلى أخيه هشام وأخبره بمقالة الإمام، فأسرّها هشام في نفسه، ولم يتعرّض للإمامين بسوء في الحجاز، إلّا أنّه لمّا قفل راجعاً إلى دمشق أوعز إلى عامله في يثرب بإشخاصهما إليه، ولمّا انتهيا إلى دمشق حجبهما ثلاثة أيّام ولم يسمح لهما بمقابلته استهانة بهما، وفي اليوم الرابع أذن لهما في مقابلته، فلمّا انتهيا إليه لم يحفل بهما، وكان مجلسه مكتظّاً بالأمويّين وسائر وزرائه وحاشيته، وقد نصب ندماؤه برحاصاً ـ أي هدفاً ـ

---

(١) الفصول المهمّة: ٢٩. وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل: ٢٠٨.

(٢) جعفر بن محمّد: ٢٣ و ٢٤.

وأشياخ بني أُميّة يرمونه .

يقول الإمام الصادق عليه السلام : « **نادىٰ هُشامُ : يا مُحَمَّدُ ، ارْمِ مَعَ أَشْياخِ قَوْمِك .**

فَقالَ أَبي : قَدْ كَبِرْتُ عَنِ الرَّمي ، فَإنْ رَأَيْتَ أَنْ تَعْفيني .

فَصاحَ هُشامُ : وَحَقِّ مَنْ أَعَزَّنا بِدينِهِ وَبِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله لا أُعْفيك » .

وظنّ الطاغية أنّ الإمام سوف يخفق في رمايته فيتّخذ ذلك وسيلة للحطّ من شأنه أمام الغوغاء من أهل الشام ، وأومأ إلى شيخ من بني أُميّة أن يناول الإمام قوسه ، فناوله وتناول معه سهماً فوضعه في كبد القوس ، ورمى به الغرض فأصاب وسطه ، ثمّ تناول سهماً فرمى به فشقّ السهم الأوّل إلى نصله ، وتابع الإمام الرمي حتّى شقّ تسعة أسهم بعضها في جوف بعض ، ولم يحصل بعض ذلك إلى أعظم رامٍ في العالم ، وجعل هشام يضطرب من الغيظ ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، ولم يملك نفسه أن صاح : « يا أبا جعفر ، أنت أرمى العرب والعجم ، وزعمت أنّك قد كبرت » .

ثمّ أدركته الندامة على تقريظه للإمام ، وأطرق برأسه إلى الأرض ، والإمام واقف ، ولمّا طال وقوفه غضب ، وبان ذلك على سحنات وجهه الشريف ، وكان إذا غضب نظر إلى السماء ، ولمّا بصر هشام غضب الإمام قام إليه فاعتنقه وأجلسه عن يمينه ، وأقبل عليه بوجهه قائلاً :

« يا محمّد ، لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيها مثلك ، لله درّك من علّمك هذا الرمي ؟ وفي كم تعلّمته ؟ أيرمي جعفر مثل رميك ؟ » .

فقال أبو جعفر عليه السلام : « **إنّا نَتَوارَثُ الْكَمالَ** » .

وثار الطاغية ، واحمرّ وجهه ، وأطرق برأسه إلى الأرض يفتّش عن كلام يردّ به على الإمام ، وبعد برهة رفع رأسه ، وراح يقول : « ألسنا بنو عبدمناف

نسبنا ونسبكم واحد ؟ ».

وردّ الإمام مزاعمه قائلاً: **« نَحْنُ كَذلِكَ ، وَلكِنَّ اللهَ اخْتَصَّنا في مَكْنونِ سِرِّهِ ، وَخالِصِ عِلْمِهِ بِما لَمْ يَخُصَّ بِهِ أَحَداً غَيْرَنا »**.

وطفق هشام قائلاً: « أليس الله بعث محمّداً من شجرة عبدمناف إلى الناس كافه ، أبيضها وأسودها وأحمرها ، فمن أين ورثتم ما ليس لغيركم ورسول الله مبعوث إلى الناس كافّة ، وذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾[1] ، فمن أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمّد نبيّ ، ولا أنتم أنبياء ؟ ».

وردّه الإمام ببالغ الحجّة قائلاً: « **مِنْ قَوْلِهِ تَعالىٰ لِنَبِيِّهِ: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾**[2] ، **فَالَّذي لَمْ يُحَرِّكْ بِهِ لِسانَهُ لِغَيْرِنا أَمَرَهُ اللهُ تَعالىٰ أَنْ يَخُصَّنا بِهِ مِنْ دونِ غَيْرِنا ، فَلِذلِكَ كانَ يُناجي أَخاهُ عَلِيّاً مِنْ دونِ أَصْحابِهِ ، وَأَنْزَلَ اللهُ بِهِ قُرْآناً في قَوْلِهِ: ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾**[3] ، **فَقالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَها أُذنَكَ يا عَلِيّ.**

فَلِذلِكَ قالَ عَلِيٌّ: عَلَّمَني رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَلْفَ بابٍ مِنَ الْعِلْمِ ، يُفْتَحُ مِنْ كُلِّ بابٍ أَلْفُ بابٍ ، خَصَّهُ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله مِنْ مَكْنونِ سِرِّهِ ، كَما خَصَّ اللهُ نَبِيَّهُ ، وَعَلَّمَهُ ما لَمْ يَخُصَّ بِهِ أَحَداً مِنْ قَوْمِهِ حَتّىٰ صارَ إِلَيْنا فَتَوارَثْناهُ مِنْ دونِ أَهْلِنا ».

والتاع هشام وهو يتميّز من الغيظ ، وانبرى قائلاً: « إنّ عليّاً كان يدري علم الغيب ؟ والله لم يُطلع على غيبه أحداً ، فمن أين ادّعى ذلك ؟ ».

فأجابه الإمام بالواقع المشرق من حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، رائد الحكمة

---

(١) آل عمران ٣: ١٨٠.

(٢) القيامة ٧٥: ١٦.

(٣) الحاقّة ٦٩: ١٢.

في الأرض ، قائلاً:

«إنَّ اللهَ أَنْزَلَ عَلىٰ نَبِيِّهِ كِتاباً بَيَّنَ فيهِ ما كانَ ، وَما يَكونُ إلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، في قَوْلِهِ تَعالىٰ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾(١) .

وَفي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾(٢) .

وَفي قَوْلِهِ تعالى: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾(٣) .

وفي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ وَمَا مِن غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(٤) .

وَأَوْحَى اللهُ إِلىٰ نَبِيِّهِ أَنْ لا يُبْقِي في غَيْبِهِ وَسِرِّهِ ، وَمَكْنونِ عِلْمِهِ شَيْئاً إِلَّا يُناجي بِهِ عَلِيّاً ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَلِّفَ الْقُرآنَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَيَتَولّىٰ غُسْلَهُ وَتَحْنيطَهُ مِنْ دونِ قَوْمِهِ ، وَقالَ لأَصْحابِهِ: حَرامٌ عَلىٰ أَصْحابي وَقَوْمي أَنْ يَنْظُروا إِلىٰ عَوْرَتي غَيْرِ أَخي عَلِيٍّ فَإِنَّهُ مِنّي ، وَأَنا مِنْهُ ، لَهُ ما لي ، وَعَلَيْهِ ما عَلَيَّ ، وَهُوَ قاضي دَيْني ، وَمُنْجِزُ مَوْعِدي .

ثُمَّ قالَ لأَصْحابِهِ: عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ يُقاتِلُ عَلىٰ تَأْويلِ الْقُرآنِ كَما قاتَلْتُ عَلىٰ تَنْزيلِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ تَأْويلُ الْقُرآنِ بِكَمالِهِ وَعامِّهِ إِلَّا عِنْدَ عَلِيٍّ ، وَلِذلِكَ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أَقْضاكُمْ عَلِيٌّ ، وَقالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ: لَوْلا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ ، يَشْهَدُ لَهُ عُمَرُ ، وَيَجْحَدُهُ غَيْرُهُ . . » .

وأطرق هشام برأسه إلى الأرض بعد سماعه لهذه الحجج التي لم تترك له منفذاً يسلك فيه للردّ على الإمام .

---

(١) النحل ١٦ : ٨٩.

(٢) يس ٣٦ : ١٢.

(٣) الأنعام ٦ : ٣٨.

(٤) النمل ٢٧ : ٧٥.

ثمّ قال له : « سل حاجتك . . » .

ولم يطلب الإمام منه شيئاً ، وإنّما قال : « **خَلَّفْتُ أَهْلِي وَعيالي مُسْتَوْحِشينَ لِخُروجي** »[١] .

وحكى حديث الإمام عليه السلام مكانة جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، فهو وارث علومه ، ومنجز عدته ، والمتولّي لتجهيزه ، وقد ثقل هذا الاطراء على هشام الذي كان من ألدّ أعداء الإمام ، ومن الذين لا يرجون له وقاراً .

إغلاق الحوانيت بوجه الإمام

وأمر الطاغية هشام بمغادرة الإمام أبي جعفر وولده الإمام الصادق عليهما السلام دمشق ، خوفاً أن يفتتن الناس بهما ، وقد أوعز إلى أسواق المدن والمحلات التجاريّة الواقعة في الطريق ، أن تغلق محلاتها بوجه الإمام ولا تبيع عليه أية بضاعة ، وقد أراد بذلك هلاك الإمام ، وسارت قافلته تطوي البيداء وقد أضناها الجوع والعطش ، فقد أُغلقت بوجهها جميع الحوانيت .

وانتهى الإمام إلى بعض المدن فبادر أهلها إلى إغلاق محلاتهم ، فصعد الإمام على جبل ورفع صوته قائلاً :

« **يا أَهْلَ الْمَدينَةِ الظّالِمِ أَهْلُها ، أَنا بَقِيَّةُ اللهِ ، يَقولُ اللهُ تَعالىٰ : ﴿ بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾**[٢] » .

وما أن أنهى الإمام هذه الكلمات حتّى بادر شيخ من شيوخ المدينة فرفع عقيرته قائلاً : « يا قوم ، هذه والله دعوة شعيب ، والله لئن لم تخرجوا إلى هذا الرجل بالأسواق لتؤخذنّ من فوقكم ، ومن تحت أرجلكم ، فصدّقوني هذه المرّة

---

(١) ضياء العالمين (مخطوط) : الجزء الثاني . دلائل الإمامة : ١٠١ و ١٠٤ .

(٢) هود ١١ : ٨٦ .

وأطيعوني ، وكذّبوني فيما تستأنفون فإنّي ناصح لكم ».

وفزع أهل القرية وذعروا ، فاستجابوا لدعوة الشيخ الذي نصحهم وهرعوا ، ففتحوا حوانيتهم ، واشترى الإمام عليه السلام ما يريده من متاع[1].

وفسدت بذلك مكيدة الطاغية ، وما دبّره من شرّ للإمام ، وقد انتهت الأنباء بفشل المؤامرة إلى هشام فتميّز غيظاً ، وراح يبغي الغوائل للإمام عليه السلام ، فدسّ إليه السمّ كما سنذكره.

في ذمّة الخلود

وشاع مقتل الإمام محمّد الباقر عليه السلام في جميع الأوساط الإسلاميّة ، وتحدّث الناس عن سعة علومه وسموّ أخلاقه ، وأنّه أدرى بأمور المسلمين وقيادتهم من بني أميّة الذين انتهكوا كلّ ما حرّمه الله ، وثقل ذلك على الأمويّين ، وكان من أحقدهم عليه هشام بن الحكم ، فقد ورم أنفه ، وأقضّ مضجعه كثرة ما يسمعه من فضائل الإمام وذيوع مآثره ، واستئثاره بإكبار المسلمين وتعظيمهم ، وتقديمهم له على غيره ، فهو العلم البارز في الأسرة النبويّة المعظّمة ، وقدم الطاغية على اقتراف الجريمة ، فدسّ إليه السمّ على يد عامله على يثرب ، فناوله للإمام ، وتفاعل السمّ في بدنه الشريف وأثّر به تأثيراً بالغاً ، وأخذ يدنو إليه الموت سريعاً.

نصّه عليه السلام على الإمام الصادق عليه السلام

ونصّ الإمام أبوجعفر عليه السلام على إمامة ولده الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام مفخرة هذه الدنيا ، ورائد الفكر والعلم في الإسلام ، فعيّنه خليفة ومرجعاً للأمّة من بعده ، وأوصى شيعته بلزوم طاعته ، واتّباع أوامره ، وقد تظافرت الأخبار التي أثرت عنه

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٦٩. بحار الأنوار : ١١ : ٧٥.

في النصّ على إمامة الصادق عليه السلام، وكان من بينها :

١ ـ روى هشام بن سالم، عن الفقيه العالم جابر بن يزيد الجعفي، قال: «سئل أبو جعفر عن القائم بعده، فضرب بيده على أبي عبدالله، وقال: **هٰذا وَاللهِ قائِمُ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ**»(١).

٢ ـ روى أبان بن عثمان، عن أبي الصباح الكناني، قال: «نظر أبو جعفر إلى ابنه أبي عبدالله عليه السلام فقال: «**تَرىٰ هٰذا، هٰذا مِنَ الَّذينَ قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾**(٢)»(٣).

٣ ـ روى عليّ بن الحكم، عن طاهر صاحب الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال: «كنت عنده فأقبل الإمام جعفر عليه السلام فقال أبو جعفر: **هذا خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**»(٤).

وكثير من أمثال هذه النصوص أعلنت إمامة الإمام الصادق عليه السلام، وأرشدت الأُمّة إلى قيادته الروحيّة والزمنيّة لها.

وصاياه عليه السلام للإمام الصادق عليه السلام

وعهد الإمام أبوجعفر عليه السلام إلى ولده الصادق عليه السلام بكوكبة من الوصايا، كان من بينها ما يلي :

١ ـ قال عليه السلام لولده الصادق عليه السلام: «**يا جَعْفَرُ، أُوصيكَ بِأَصْحابي خَيْراً**»، فقال له الإمام الصادق عليه السلام: «**جُعِلْتُ فِداكَ، وَاللهِ لَا أَدَعَنَّهُمْ وَالرَّجُلُ مِنْهُمْ يَكونُ فِي الْمِصْرِ فَلا يَسْأَلَ أَحَداً**»(٥).

---

(١) الإرشاد: ٣٠٤.

(٢) القصص ٢٨: ٥.

(٣) و (٤) أُصول الكافي: ١: ٣٠٦.

(٥) الإرشاد: ٣٠٤.

لقد اهتمّ الإمام عليه السلام بالعلماء والفقهاء من أصحابه ، فعهد لولده بالإنفاق عليهم ، والتعهّد بشؤونهم الاقتصاديّة حتّى يتفرّغوا للعلم ، وتدوين أحاديثه ، وإذاعة معارفه وآدابه بين الناس .

٢ ـ أوصى عليه السلام ولده أن يكفّنه في قميصه الذي كان يصلّي فيه[١] .

٣ ـ إنّه أوقف بعض أمواله على نوادب تندبه عشر سنين في منى[٢] .

ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى أنّ منى أعظم مركز للتجمّع الإسلامي ، ووجود النوادب فيه ممّا يبعث المسلمين على السؤال عن سببه ، فيخبرون بما عاناه الامام من صنوف التنكيل من الأمويّين حتّى لا تخفيه ولا تستره أجهزة الإعلام الأموي .

وصيّته عليه السلام الأخيرة

أمّا نصّ وصيّته فقد رواها الإمام الصادق عليه السلام ، قال :

« لَمّا حَضَرَتِ الْوَفاةُ قالَ : ادْعُ لي شُهوداً ، فَدَعَوْتُ لَهُ أَرْبَعَةً مِنْ قُرَيْشٍ ، فيهِمْ نافِعٌ مَوْلىٰ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمْرَ ، فقالَ : اكْتُبْ : هٰذا ما أَوْصىٰ بِهِ يَعْقوبُ بَنيهِ : ﴿ يا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٣] ، وَأَوْصىٰ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ إِلىٰ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَفِّنَهُ في بُرْدِهِ الَّذي كانَ يُصَلّي فيهِ الْجُمُعَةَ ، وَأَنْ يُعَمِّمَهُ بِعَمامَتِهِ ، وَأَنْ يُرَبِّعَ قَبْرَهُ ، وَيَرْفَعَهُ أَرْبَعَةَ أَصابِعٍ ، وَأَنْ يَحِلَّ عَنْهُ أَطْمارَهُ عِنْدَ دَفْنِهِ » .

وبعدما أدلى بهذه الوصيّة أمر الشهود بالانصراف ، وقال له الإمام الصادق عليه السلام :

---

(١) صفة الصفوة : ٢ : ٦٣ . تاريخ أبي الفداء : ١ : ٢١٤ . تاريخ ابن الوردي : ١ : ١٨٤ . المنتظم / ابن الجوزي : الجزء السابع (النسخة الخطّية) .

(٢) بحار الأنوار : ١١ : ٦٢ .

(٣) البقرة ٢ : ١٣٢ .

« ما كانَ في هٰذا بِأَنْ تَشْهَدَ عَلَيْهِ » . فقال عليه السلام : **« كَرِهْتُ أَنْ تُغْلَبَ ، وَأَنْ يُقالَ : إِنَّهُ لَمْ يوصِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ تَكونَ لَكَ الْحُجَّة »**(١) .

إلى جنّة المأوى

وأخذ الموت يدنو من الإمام سريعاً ، فقد تفاعل السمّ مع جميع أجزاء بدنه الشريف ، وأخذت الآلام القاسية تفتك في جسمه الذي أنحلته العبادة وإشاعة العلم ، ولمّا شعر بدنوّ أجله أخذ يقرأ القرآن الكريم ، ويستغفر الله تعالى ، ويسأله المزيد من المغفرة والرضوان ، وبينما كان مشغولاً بذكر الله إذ وافاه الأجل المحتوم ، فارتفعت روحه العظيمة إلى خالقها ، تلك الروح الطاهرة التي أضاءت الحياة الفكريّة والعلميّة في الإسلام ، والتي لم يخلق مثلها نظير في عصره .

لقد انطوت بموته أروع صفحة من صفحات الرسالة الإسلاميّة ، التي أمدّت المجتمع الإسلامي بعناصر الوعي والتطوّر .

تجهيزه عليه السلام

وقام الإمام الصادق عليه السلام بتجهيز الجثمان المقدّس فغسّله ، وأدرجه في أكفانه وهو يذرف أحرّ الدموع على فقد أبيه الذي ما أظلّت مثله سماء الدنيا في ذلك العصر علماً وحلماً وحريجة في الدين .

في مقرّه الأخير

ونقل الجثمان العظيم من الحميمة(٢) التي توفّي فيها تحت هالة من التهليل

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ٢ : ٣٩٠ .

(٢) **الحميمة** ـ بضمّ الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء ـ : قرية خارج المدينة كانت ⇦

والتكبير قد حفّت به الجماهير وهي تعدّ فضائل الإمام وتذكر ألطافه ، وما أسداه من خدمات لهذه الأُمّة ، وانتهي بالجثمان العظيم إلى بقيع الغرقد ، فحفر له قبر بجوار الإمام الأعظم أبيه زين العابدين عليه السلام ، وبجوار عمّ أبيه الإمام الحسن عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة .

وأنزل الإمام الصادق عليه السلام أباه في مقرّه الأخير فواراه فيه ، وقد وارى معه العلم والفضل والمعروف والبرّ بين الناس .

لقد كان فقد هذا الإمام العظيم من أفجع النكبات التي مُني بها الإمام الصادق عليه السلام ، فقد فقد ذلك الأب الذي هو من آيات الله في مواهبه وعبقريّاته ، والذي جهد على نشر العلم وبلورة الوعي الثقافي بين المسلمين .

تعازي المسلمين للإمام عليه السلام

وهرع المشيّعون إلى تعزية الإمام الصادق عليه السلام بمصابه الأليم ، ويشاركونه الأسى واللوعة بفقد الراحل العظيم الذي عطّر الدنيا بوجوده ، وملأها علماً وفضلاً ، وممّن وفد عليه يعزّيه ويواسيه بمصابه سالم بن أبي حفصة ، وكان مع جماعة من أصحابه ، فاستأذن منهم ليرفع تعازيه للإمام عليه السلام .

ولمّا مثل عنده قال له : « إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ذهب والله مَن كان يقول : **قالَ رَسولُ اللهِ** صلى الله عليه وآله ، فلا يسأل عمّن بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله لا يُرى مثله أبداً » .

وشكره الإمام على تعازيه ، وسكت الإمام برهة ، ثمّ التفت إلى أصحابه فقال لهم : « **إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ يَقولُ : إنَّ مِنْ عِبادي مَنْ يَتَصَدَّقُ بِشِقٍّ مِنْ تَمْرَةٍ فَأُرَبّيها**

⇐ لعليّ بن العبّاس وأولاده أيّام الحكم الأموي ، وقد توفّي الإمام فيها ، جاء ذلك في تاريخ الأئمّة الإثنى عشر / ابن طولون : ٢٨١ .

كَما يُرَبّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّه »(١).

وخرج سالم مبهوراً ، فقال لأصحابه : « ما رأيت أعجب من هذا ؟! كنّا نستعظم قول أبي جعفر : **قالَ رَسولُ اللهِ** صلى الله عليه وآله بلا واسطة ، فقال لي أبو عبدالله : **قالَ اللهُ** بلا واسطة »(٢).

وخفي على سالم أنّ حديث الإمام الصادق عليه السلام مستمدّ من حديث آبائه عليهم السلام الذين أخذوا علومهم من جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله .

وعلى أي حال ، فقد تسلّم الإمام الصادق عليه السلام قيادة الأُمّة بعد أبيه ، وصار المرجع الأعلى للعالم الإسلامي ، وقد احتفّ به الفقهاء ورواة الحديث يتلقّون منه أنواع المعارف والعلوم ، وقام عليه السلام بدور إيجابي وفعّال في نشر العلوم ، وبلورة الفكر العربي والإسلامي بشتّى ألوان الثقافة والتطوّر في مختلف ميادين العلم .

---

(١) **الفلو** ـ بفتح الفاء وضمّ اللام وتشديد الواو ـ : المهر الصغير .

(٢) أمالي الطوسي : ١٢٥ .

عناصره النفسية

أمّا العناصر النفسيّة للإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام ، فإنّها تمثّل كلّ ما يشرف به الإنسان ويسمو به من الصفات الكريمة والنزعات الشريفة .

لقد التقت بالإمام جميع العناصر الرفيعة التي جعلته عنواناً رائعاً للإنسانيّة الكاملة ، ومثالاً حيّاً للإسلام العظيم ، الذي غمرت أشعّته جميع أنحاء الدنيا . ونعرض إلى بعض عناصره التي أضاءت غياهب الآفاق ، ومجاهل الأبد ، والتي هي امتداد ذاتي لجدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي مدّن الأمم ، وكرّم الإنسان ، وفرض المعرفة ، وفيما يلي ذلك :

الإمامة

أمّا الإمامة فهي من أبرز القيم الرفيعة الماثلة في شخصيّة الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام؛ لأنّه لا بدّ أن تتوفّر فيها جميع صفات الكمال .

الإمامة منحة من الله يهبها لأفضل عباده ، فهي كالنبوّة لا تخضع للاختيار والانتخاب ، ولا يستحقّها إلّا من اختاره الله لقيادة الأُمّة روحياً وزمنيّاً ، ووهبه أرصدة روحيّة وفكريّة لا يملكها غيره ، وبما أنّ هذه الصفة العظيمة من أجلّ صفات الإمام عليه السلام ، فقد أولاها الإمام المزيد من اهتمامه .

وقد أُثرت عنه جمهرة من الأحاديث في شؤونها ، كان من بينها ما يلي :

١ ـ ضرورة الإمامة

أمّا الإمامة فإنّها من المناهج الأصليّة في السياسة الإسلاميّة الهادفة إلى نشر العدل والأمن والرخاء بين الناس ، وقد أعلن الإمام الصادق عليه السلام عن ضرورة الإمام العادل بين الناس .

قال عليه السلام : **« إِنَّ اللهَ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَتْرُكَ الْأَرْضَ بِغَيْرِ إِمامٍ عادِلٍ »**(١) .

إنّ الإمام العادل قلْبُ المجتمع ، وأساس تطوّره ، وهو الذي يقيم العدل الخالص ، والحقّ المحض بين الناس ، ويحقّق لهم جميع ما يصبون إليه .

٢ ـ الأئمّة عليهم السلام خلفاء الله تعالى

أمّا الأئمّة الطاهرون فهم خلفاء الله في أرضه ، وحججه على عباده ، وقد تظافرت بذلك الأخبار الواردة عنهم .

يقول الإمام الصادق عليه السلام : **« الْأَوْصياءُ هُمْ أَبْوابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّتي يُؤْتىٰ مِنْها ، وَلَوْلاهُمْ ما عُرِفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَبِهِمُ احْتَجَّ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ عَلىٰ خَلْقِهِ »**(٢) .

إنّ الأئمّة هم أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسدنة علومه ، وأبواب حكمته ، وهم الذين حملوا مشعل التوحيد ، ووقفوا أمام التيّارات المعادية للإسلام ، ولولا تضحياتهم ما عبد الله عابد ، ولا وحّده موحّد .

٣ ـ الأئمّة عليهم السلام شجرة النبوّة

والأئمّة الطيّبون هم شجرة النبوّة ، ومعدن الرسالة ، استمعوا إلى ما يقوله سليل

---

(١) أُصول الكافي : ١ : ١٧٨ .

(٢) أُصول الكافي : ١ : ١٩٣ .

النبوّة الإمام الصادق عليه السلام: «نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبوَّةِ، وَبَيْتُ الرَّحْمَةِ، وَمَفاتيحُ الْحِكْمَةِ، وَمَعْدِنُ الْعِلْمِ، وَمَوْضِعُ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلائِكَةِ، وَمَوْضِعُ سِرِّ اللهِ، وَنَحْنُ وَديعَةُ اللهِ في عِبادِهِ، وَنَحْنُ حَرَمُ اللهِ الأَكْبَرُ، وَنَحْنُ ذِمَّةُ اللهِ، وَنَحْنُ عَهْدُ اللهِ، فَمَنْ وَفىٰ بِعَهْدِنا فَقَدْ وَفىٰ بِعَهْدِ اللهِ، وَمَنْ خَفَرَها[1] فَقَدْ خَفَرَ ذِمَّةَ اللهِ وَعَهْدَهُ»[2].

٤ ـ الأئمّة عليهم السلام ولاة الله تعالى

إنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم ولاة أمر الله تعالى وخزنة علمه، وقد أدلى بذلك الصادق عليه السلام، قال: «نَحْنُ وُلاةُ أَمْرِ اللهِ، وَخَزَنَةُ عِلْمِ اللهِ، وَعَيْبَةُ[3] وَحْيِ اللهِ»[4].

٥ ـ طاعة الأئمّة ومعرفتهم عليهم السلام

وأكّد الإمام الصادق عليه السلام على ضرورة طاعة الأئمّة ومعرفتهم، وأنّهما من عناصر الإيمان. استمعوا إلى هذا الحديث المشرق.

قال عليه السلام: «إِنَّكُمْ لا تَكونونَ صالِحينَ حَتّىٰ تَعْرِفوا، وَلا تَعْرِفونَ حَتّىٰ تُصَدِّقوا، وَلا تُصَدِّقونَ حَتّىٰ تُسَلِّموا أَبْواباً أَرْبَعَةً، لا يَصْلُحُ أَوَّلُها إِلّا بِآخِرِها، ضَلَّ أَصْحابُ الثَّلاثَةِ، وَتاهوا تَيْهاً بَعيداً. إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ لا يَقْبَلُ إِلّا الْعَمَلَ الصّالِحَ، وَلا يَقْبَلُ اللهُ إِلّا الْوَفاءَ بِالشُّروطِ وَالْعُهودِ، فَمَنْ وَفىٰ لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَرْطِهِ، وَاسْتَعْمَلَ ما وَصَفَ في عَهْدِهِ، نالَ ما عِنْدَهُ، وَاسْتَكْمَلَ ما وَعَدَهُ.

إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ أَخْبَرَ الْعِبادَ بِطُرُقِ الْهُدىٰ، وَشَرَعَ لَهُمْ فيها الْمَنارَ، وَأَخْبَرَهُمْ

---

(١) **خفرها**: أي نقضها.

(٢) أُصول الكافي: ١: ٢٢١.

(٣) **العيبة**: المستودع.

(٤) أُصول الكافي: ١: ١٩٢.

كَيْفَ يَسْلُكُونَ ، فَقالَ : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (١) ، وَقالَ : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) ، فَمَنِ اتَّقَى اللهَ فيما أَمَرَهُ لَقِيَ اللهَ مُؤْمِناً بِما جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله .

هَيْهاتَ ، هَيْهاتَ ، فاتَ قَوْمٌ وَماتوا قَبْلَ أَنْ يَهْتَدوا ، وَظَنّوا أَنَّهُمْ آمَنوا وَأَشْرَكوا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمونَ . إِنَّهُ مَنْ أَتَى الْبُيوتَ مِنْ أَبْوابِها اهْتَدىٰ ، وَمَنْ أَخَذَ في غَيْرِها سَلَكَ طَريقَ الرَّدىٰ ، وَصَلَ اللهُ طاعَةَ وَلِيِّ أَمْرِهِ بِطاعَةِ رَسولِهِ ، وَطاعَةَ رَسولِهِ بِطاعَتِهِ ، فَمَنْ تَرَكَ طاعَةَ وُلاةِ الْأَمْرِ لَمْ يُطِعِ اللهَ وَلَا رَسولَهُ ، وَهُوَ الْإِقْرارُ بِما أُنْزِلَ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ . خُذوا زينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَالْتَمِسوا الْبُيوتَ الَّتي أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيها اسْمُهُ ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَكُمْ أَنَّهُمْ ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٣) .

إِنَّ اللهَ قَدِ اسْتَخْلَصَ الرُّسُلَ لِأَمْرِهِ ، ثُمَّ اسْتَخْلَصَهُمْ مُصَدِّقينَ بِذلِكَ في نُذُرِهِ ، فَقالَ : ﴿ وَإِن مِن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (٤) .

تاهَ مَنْ جَهِلَ ، وَاهْتَدىٰ مَنْ أَبْصَرَ وَعَقَلَ . إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٥) . وَكَيْفَ يَهْتَدي مَنْ لَمْ يُبْصِرْ ؟ ! وَكَيْفَ يُبْصِرُ مَنْ لَمْ يَتَدَبَّرْ ؟ ! اتَّبِعوا رَسولَ اللهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَأَقِرّوا بِما نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَاتَّبِعوا آثارَ الْهُدىٰ ، فَإِنَّهُمْ عَلاماتُ الْأَمانَةِ وَالتُّقىٰ ، وَاعْلَموا أَنَّهُ لَوْ أَنْكَرَ رَجُلٌ عيسَى بْنَ

---

(١) طه ٢٠ : ٨٢.

(٢) المائدة ٥ : ٢٧.

(٣) النور ٢٤ : ٣٧.

(٤) فاطر ٣٥ : ٢٤.

(٥) الحجّ ٢٢ : ٤٦.

مَرْيَمَ عليه السلام وَأَقَرَّ بِمَنْ سِواهُ مِنَ الرُّسُلِ لَمْ يُؤْمِنْ. اقْتَصّوا[١] الطَّريقَ بِالْتِماسِ الْمَنارِ، وَالْتَمِسوا مِنْ وراءِ الْحُجُبِ الآثارَ، تَسْتَكْمِلوا أَمْرَ دينِكُمْ، وَتُؤْمِنوا بِاللهِ رَبِّكُمْ»[٢].

وفي هذا الحديث الشريف دعوة خلّاقة وملزمة إلى معرفة أهل البيت عليهم السلام الذين هم مصدر الوعي والفكر في العالم الإسلامي، وقد ربط بين طاعتهم وطاعة الله تعالى، فمن أطاعهم فقد أطاع الله لأنّهم ولاة أمره، والأدلّاء على طاعته ومرضاته.

٦ـ سموّ منزلتهم عليهم السلام

وخطب الإمام الصادق عليه السلام في حشد من المسلمين، أعرب عن سموّ منزلة أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وعظيم شأنهم، ومن جملة خطابه ما يلي:

«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْضَحَ بِأَئِمَّةِ الْهُدىٰ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنا عَنْ دينِهِ، وَأَبْلَجَ بِهِمْ عَنْ سَبيلِ مِنْهاجِهِ، وَفَتَحَ بِهِمْ عَنْ باطِنِ يَنابيعِ عِلْمِهِ، فَمَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله واجِبَ حَقِّ إِمامِهِ وَجَدَ طَعْمَ حَلاوَةِ إِيمانِهِ، وَعَلِمَ فَضْلَ طِلاوَةِ إِسْلامِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ نَصَبَ الْإِمامَ عَلَماً لِخَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلىٰ أَهْلِ موادِّهِ وَعالَمِهِ، وَأَلْبَسَهُ اللهُ تاجَ الْوَقارِ، وَغَشّاهُ مِنْ نُورِ الْجَبّارِ، يَمُدُّ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ، لا يَنْقَطِعُ عَنْهُ مَوادُّهُ، وَلا يُنالُ ما عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِجِهَةِ أَسْبابِهِ، وَلا يَقْبَلُ اللهُ أَعْمالَ الْعِبادِ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ عالِمٌ بِما يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ مُلْتَبِساتِ الدُّجىٰ، وَمُعَمِّياتِ السُّنَنِ، وَمُشَبِّهاتِ الْفِتَنِ، فَلَمْ يَزَلِ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ يَخْتارُهُمْ لِخَلْقِهِ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مِنْ عَقِبِ كُلِّ إِمامٍ يَصْطَفيهِمْ لِذٰلِكَ وَيَجْتَبيهِمْ، وَيَرْضىٰ بِهِمْ لِخَلْقِهِ وَيَرْتَضيهِمْ، كُلَّما مَضىٰ مِنْهُ إِمامٌ نَصَبَ لِخَلْقِهِ مِنْ عَقِبِهِ إِماماً عَلَماً بَيِّناً، وَهادِياً نَيِّراً، وَإِماماً قَيِّماً، وَحُجَّةً عالِماً، أَئِمَّةً مِنَ اللهِ، يَهْدُونَ بِالْحَقِّ

---

(١) **اقتصّوا**: أي اقتفوا.

(٢) أصول الكافي: ٢: ٤٧. بحار الأنوار: ٦٩: ١٠، الحديث ١٣.

وَبِهِ يَعْدِلُونَ ، حُجَجُ اللهِ وَدُعاتُهُ وَرُعاتُهُ عَلىٰ خَلْقِهِ ، يَدِينُ بِهَدْيِهِمُ الْعِبادُ ، وَتَسْتَهِلُّ بِنُورِهِمُ الْبِلادُ ، وَيَنْمُوا بِبَرَكَتِهِمُ التِّلادُ ، جَعَلَهُمُ اللهُ حَياةً لِلْأَنامِ ، وَمَصابيحَ لِلظَّلامِ ، وَمَفاتيحَ لِلْكَلامِ ، وَدَعائِمَ لِلْإِسْلامِ ، جَرَتْ بِذٰلِكَ فيهِمْ مَقاديرُ اللهِ عَلىٰ مَحْتُومِها ، فَالْإِمامُ هُوَ الْمُنْتَجَبُ الْمُرْتضىٰ ، وَالْهادي الْمُنْتَجىٰ[١] ، وَالْقائِمُ الْمُرْتَجىٰ .

إصْطَفاهُ اللهُ بِذٰلِكَ وَاصْطَنَعَهُ عَلىٰ عَيْنِهِ فِي الذَّرِّ حينَ ذَرَأَهُ ، وَفي الْبَرِيَّةِ حينَ بَرَأَهُ ظِلّاً قَبْلَ خَلْقِ نَسَمَةٍ عَنْ يَمينِ عَرْشِهِ ، مَحْبُوّاً بِالْحِكْمَةِ في عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ ، اخْتارَهُ بِعِلْمِهِ ، وَانْتَجَبَهُ لِطُهْرِهِ ، بَقِيَّةٌ مِنْ آدَمَ عليه السلام وَخِيَرَةٌ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ عليه السلام ، وَمُصْطَفىً مِنْ آلِ إبْراهيمَ عليه السلام ، وَسُلالَةٌ مِنْ إسْماعيلَ ، وَصَفْوَةٌ مِنْ عِتْرَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله .

لَمْ يَزَلْ مَرْعِيّاً بِعَيْنِ اللهِ ، يَحْفَظُهُ وَيَكْلَؤُهُ بِسِتْرِهِ ، مَطْروداً عَنْهُ حَبائِلَ إبْليسَ وَجُنُودِهِ ، مَدْفُوعاً عَنْهُ وُقوبَ[٢] الْغَواسِقِ ، وَنُفُوثَ كُلِّ فاسِقٍ ، مَصْروفاً عَنْهُ قَوارِفَ السُّوءِ ، مُبَرَّءاً مِنَ الْعاهاتِ ، مَحْجُوباً عَنِ الْآفاتِ ، مَعْصُوماً مِنَ الزَّلّاتِ ، مَصُوناً عَنِ الْفَواحِشِ كُلِّها ، مَعْروفاً بِالْحِلْمِ وَالْبِرِّ في يَفاعِهِ[٣] ، مَنْسُوباً إلَى الْعَفافِ وَالْعِلْمِ وَالْفَضْلِ عِنْدَ انْتِهائِهِ ، مُسْنَداً إلَيْهِ أَمْرَ والِدِهِ ، صامِتاً عَنِ الْمَنْطِقِ في حَياتِهِ .

فَإذا انْقَضَتْ مُدَّةُ والِدِهِ إلىٰ أَنِ انْتَهَتْ بِهِ مَقاديرُ اللهِ إلىٰ مَشِيئَتِهِ ، وجاءَتِ الْإِرادَةُ مِنَ اللهِ فيهِ إلىٰ مَحَبَّتِهِ[٤] ، وَبَلَغَ مُنْتَهىٰ مُدَّةِ والِدِهِ ، فَمَضىٰ وصارَ أَمْرُ اللهِ إلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَقَلَّدَهُ دينَهُ ، وَجَعَلَهُ الْحُجَّةَ عَلىٰ عِبادِهِ ، وَقَيِّمَهُ في بِلادِهِ ، وَأَيَّدَهُ بِروحِهِ ، وَآتاهُ عِلْمَهُ ،

---

(١) **المنتجى** : هو صاحب السرّ.

(٢) **الوقوب** : الدخول.

(٣) **اليفاع** : أوائل السنّ. يقال : أيفع الغلام ، أي : أشرف على الاحتلام.

(٤) في بعض النسخ : «إلىٰ حُجَّتِهِ».

وَأَنْبَأَهُ فَصْلَ بَيانِهِ ، وَاسْتَوْدَعَهُ سِرَّهُ ، وَانْتَدَبَهُ لِعَظِيمِ أَمْرِهِ ، وَأَنْبَأَهُ فَضْلَ بَيانِ عِلْمِهِ ، وَنَصَبَهُ عَلَماً لِخَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلىٰ أَهْلِ عالَمِهِ ، وَضِياءً لِأَهْلِ دينِهِ ، وَالْقَيِّمَ عَلىٰ عِبادِهِ ، رَضِيَ اللهُ بِهِ إِماماً لَهُمْ ، اسْتَوْدَعَهُ سِرَّهُ ، وَاسْتَحْفَظَهُ عِلْمَهُ ، وَاسْتَخْبَأَهُ[١] حِكْمَتَهُ ، وَاسْتَرْعاهُ لِدينِهِ ، وَانْتَدَبَهُ لِعَظِيمِ أَمْرِهِ ، وَأَحْيا بِهِ مَناهِجَ سَبيلِهِ وَفَرائِضِهِ وَحُدودِهِ ، فَقامَ بِالْعَدْلِ عِنْدَ تَحَيُّرِ أَهْلِ الْجَهْلِ ، وَتَحْييرِ أَهْلِ الْجَدَلِ بِالنُّورِ السّاطِعِ ، وَالشِّفاءِ النّافِعِ بِالْحَقِّ الْأَبْلَجِ ، وَالْبَيانِ اللّائِحِ مِنْ كُلِّ مَخْرَجٍ عَلىٰ طَريقِ الْمَنْهَجِ الَّذي مَضىٰ عَلَيْهِ الصّادِقُونَ مِنْ آبائِهِ عليهم السلام .

فَلَيْسَ يَجْهَلُ حَقَّ هذا الْعالِمِ إِلَّا شَقِيٌّ ، وَلَا يَجْحَدُهُ إِلَّا غَوِيٌّ ، وَلَا يَصُدُّ عَنْهُ إِلَّا جَرِيٌّ عَلَى اللهِ جَلَّ وعَلا »[٢] .

وحفل هذا الخطاب الشريف بأُمور بالغة الأهميّة ، كان منها ما يلي :

١ ـ إنّ الله تعالى أوضح بأئمّة الهدى معالم الدين وأحكام الشريعة ، فقد بيّنوا ذلك كلّه للناس ، وعرّفوهم بكلّ ما يقرّبهم إلى الله زلفى .

٢ ـ إنّ الله تعالى نصب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام علماً لهذه الأُمّة ، ومرجعاً لها بعد بعد نبيّها العظيم صلى الله عليه وآله ، فألبسه تاج الإمامة ، وحباه بكلّ فضيلة ، كما رشّح من بعده أئمّة الهدى لقيادة الأُمّة ، والسير بها لتحقيق أهدافها وآمالها .

٣ ـ إنّه أعرب عن الصفات الرفيعة التي امتاز بها أئمّة أهل البيت عليهم السلام من العلم والحلم ، والعصمة من اقتراف أي ذنب ، وغير ذلك ممّا اتّصفوا به من معالي الأخلاق ، ومكارم الصفات .

---

(١) اسْتَخْبَأَهُ : أي أودع عنده حكمته ، وأمره بكتمانها لمصلحة هناك .

(٢) أُصول الكافي : ١ : ٢٠٣ .

٧ـ علم الأئمّة عليهم السلام

والشيء المؤكّد أنّ الله تعالى قد منح أئمّة أهل البيت عليهم السلام العلم والحكمة وفصل الخطاب ، فكانوا ـ بإجماع المؤرّخين والرواة ـ يملكون طاقات علميّة هائلة ، في حين أنّهم لم يدخلوا مدرسة ولا معهداً من معاهد التعليم في تلك العصور .

وممّا يدعم ذلك ما رواه المؤرّخون أنّ المأمون أوعز إلى جميع علماء الدنيا بالحضور إلى خراسان لامتحان الإمام الرضا عليه السلام لعلّه لا يستطيع الجواب عن مسائلهم ، فيتّخذ ذلك ذريعة لهدم ما تذهب إليه الشيعة من أنّ أئمّتهم أعلم الناس بجميع أنواع العلوم والمعارف ، وأدراهم بأحكام الشريعة .

وحضر العلماء في خراسان ، وقد أعدّوا لامتحان الإمام أعقد المسائل وأكثرها غموضاً ، وكانت متنوعة من الطب والفلسفة والفيزياء والكيمياء وغير ذلك ، وقد سأله العلماء عن أربعة وعشرين ألف مسألة في جلسات متفرّقة ، فأجاب عنها جواب العالم الخبير ، وقد بهر العلماء بثرواته العلميّة ، ودانوا بإمامته ، فاضطرّ المأمون إلى حجبه عن العلماء لئلا يفتتن به الناس .

وصنع المأمون مثل ذلك مع الإمام الجواد عليه السلام ، وكان صبيّاً يافعاً حينما تقلّد الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام الرضا عليه السلام ، فسأله علماء بغداد عن أعقد المسائل ، فأجاب عنها جواب العالم الخبير ممّا أدهش العلماء ، فذهب الكثيرون منهم إلى الاعتقاد بإمامته(١) .

والشواهد على ذلك كثيرة ، ألم يقل سيّد العترة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

« أَمَا وَاللهِ لَوْ ثُنِيَتْ لِيَ الْوِسادَةُ فَجَلَسْتُ عَلَيْها لَأَفْتَيْتُ أَهْلَ التَّوْراةِ بِتَوْراتِهِمْ حَتّىٰ

---

(١) ذكرنا عرضاً مفصّلاً للمسائل التي سُئل عنها الإمام وأجوبته عليه السلام في كتابنا حياة الإمام الجواد عليه السلام .

تَنْطِقَ التَّوْراةُ فَتَقُولُ : صَدَقَ عَلِيٌّ ما كَذَبَ ، لَقَدْ أَفْتاكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فِيَّ .

وَأَفْتَيْتُ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ حَتّىٰ يَنْطِقَ الْإِنْجِيلُ فَيَقُولُ : صَدَقَ عَلِيٌّ ما كَذَبَ ، لَقَدْ أَفْتاكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فِيَّ .

وَأَفْتَيْتُ أَهْلَ الْقُرْآنِ بِقُرآنِهِمْ حَتّىٰ يَنْطِقَ الْقُرآنُ فَيَقُولُ : صَدَقَ عَلِيٌّ ما كَذَبَ ، لَقَدْ أَفْتاكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيَّ ، وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْقُرآنَ لَيْلاً وَنَهاراً ، فَهَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يَعْلَمُ بِمَا أُنْزِلَ فِيهِ ؟ وَلَوْلا آيَةٌ فِي كِتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَأَخْبَرْتُكُمْ بِما كانَ ، وَبِما هُوَ كائِنٌ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعالىٰ : ﴿ يَمْحُو اللهُ مَا يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ ﴾ (١) .

وقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّماءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ » (٢) .

وقد حار الناس في أمره ، وغالى فيه فريق منهم ، فذهبوا إلى اُلوهيّته .

وقد تحدّث الإمام الصادق عليه‌السلام عن سعة علومهم ، فقد قال لأبي بصير :

« يا أبا مُحَمَّدٍ ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُعْطِ الْأَنْبياءَ شَيْئاً إِلَّا وَقَدْ أَعْطاهُ مُحَمَّداً صلى‌الله‌عليه‌وآله .

وقال : وَقَدْ أَعْطَىٰ مُحَمَّداً جَمِيعَ ما أَعْطَى الْأَنْبياءَ ، وَعِنْدَنا الصُّحُفُ الَّتِي قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ (٣) .

فقال له أبو بصير : جعلت فداك هي الألواح ؟

قال : نَعَمْ » (٤) .

---

(١) بحار الأنوار : ٩٢ : ٧٨ . والآية ٣٩ من سورة الرعد .

(٢) نهج البلاغة : ٣ : ٣٩ .

(٣) الأعلى ٨٧ : ١٩ .

(٤) ضياء العالمين : الجزء ٢ (مخطوط) . اُصول الكافي ـ كتاب الحجّة : ١ : ٢٢٥ ، الحديث ٥ .

وروى بكر بن بكر الصيرفي ، قال : « سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : **إنَّ عِنْدَنا ما لَا نَحْتاجُ مَعَهُ إِلَى الرّأْيِ وَالْقياسِ ، وَلَا إِلىٰ أَحَدٍ مِنَ النّاسِ ، وَإِنّ النّاسَ لَيَحْتاجونَ إِلَيْنا ، وَإِنَّ عِنْدَنا كتاباً إِمْلاءُ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَخَطُّ عَليٍّ ، فيهِ كُلُّ حَلالٍ وَحَرامٍ ، وَإِنَّكُمْ لَتَأْتونَ بِالْأَمْرِ فَنَعْرِفُ إِذا أَخَذْتُمْ بِهِ ، وَنَعْرِفُ إِذا تَرَكْتُموه** »[١] .

وقد شقّق الإمام الصادق عليه السلام العلوم بفكره الثاقب وبصره الدقيق ، حتّى ملأ الدنيا بعلومه ، وهو القائل : « **سَلوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدوني ، فَإِنَّهُ لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدي بِمِثْلِ حَديثي** »[٢] .

ولم يقل أحد هذه الكلمة سوى جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

وأدلى عليه السلام بحديث أعرب فيه عن سعة علومه . قال عليه السلام : « **وَاللهِ إِنّي لَأَعْلَمُ كِتابَ اللهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلىٰ آخِرِه ، كأَنَّهُ في كَفّي ، فيهِ خَبَرُ السَّماءِ وَخَبَرُ الْأَرْضِ ، وَخَبَرُ ما كانَ ، وَخَبَرُ ما هُوَ كائِنٌ . قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾**[٣] »[٤] .

وكان من مظاهر علمه أنّه ارتوى من فيض علمه أربعة آلاف طالب ، وقد أشاعوا العلم والثقافة في جميع الحواضر الإسلاميّة ، ونشروا معالم الدين وأحكام الشريعة .

٨ ـ العصمة

ومن أبرز ذاتيّات الإمام عليه السلام العصمة من الذنوب ، والطهارة من الزيغ والدنس .

---

(١) ضياء العالمين (مخطوط) .

(٢) تاريخ الإسلام / الذهبي : ٦ : ٤٥ . تذكرة الحفّاظ : ١ : ١٥٧ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال : ٥ : ٧٩ .

(٣) النحل ١٦ : ٨٩ .

(٤) أُصول الكافي : ١ : ٢٢٩ .

إنّ العصمة هبة من الله لأفضل عباده ، وأقربهم إليه ، وقد منحها لأنبيائه وأوصيائهم العظام ، وقد حظي بها أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام ، الذين هم من أفضل خلق الله إيماناً وطاعة لله ، وتجرّداً من جميع نزعات الهوى والغرور . والعصمة عند الشيعة أحد العناصر الأساسيّة للإمامة ، وأنّ الإمام لا بدّ أن يكون معصوماً من كلّ ذنب وخطيئة ، سواء أكان على سبيل العمد أم السهو ، وقد أقامت الشيعة جمهرة من الأدلّة على ضرورة العصمة للأئمّة الطاهرين عليهم‌السلام ، وقد عرضنا لها بمزيد من التفصيل في كتابنا (حياة الإمام الباقر عليه‌السلام) .

كرمه وجوده عليه‌السلام

من ذاتيّات الإمام الصادق عليه‌السلام : الجود ، فقد كان من أندى الناس كفّاً ، وكان يجود بما عنده لإنعاش الفقراء والمحرومين ، وقد نقل الرواة بوادر كثيرة من كرمه كان من بينها ما يلي :

١ ـ دخل عليه أشجع السلمي فوجده عليلاً ، وبادر أشجع فسأل عن سبب علّته ، فقال عليه‌السلام : « **تَعَدَّ عَنِ الْعِلَّةِ ، وَاذْكُرْ ما جِئْتَ لَهُ** » ، فقال :

أَلْبَسَكَ اللهُ مِنْهُ عافِيَةً ... فِي نَوْمِكَ الْمُعْتَرِي وَفِي أَرَقِكْ

يُخْرِجُ مِنْ جِسْمِكَ السَّقامَ كَما ... أَخْرَجَ ذُلَّ السُّؤالِ مِنْ عُنُقِكْ

وعرف الإمام حاجته فقال لغلامه : « **أَيُّ شَيْءٍ مَعَكَ ؟** » .

فقال : أربعمائة ، فأمره بإعطائها له[1] .

٢ ـ دخل عليه المفضّل بن رمانة ، وكان من ثقاة أصحابه ورواته ، فشكا إليه

---

(١) تاريخ الإسلام ٦ : ٤٥ . مرآة الزمان ٦ : ١٦٠ . تهذيب الكمال ٥ : ٨٧ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٣٤٥ . أمالي الطوسي : ١ : ٢٨٧ .

ضعف حاله ، وسأله الدعاء .

فقال عليه السلام لجاريته : « **هاتِ الْكيسَ الَّذي وَصَلنا بِهِ أبوجَعْفَر** » .

فجاءته به ، فقال له : « **هـٰذا كيسٌ فيهِ أَرْبَعْمائَةِ دينارٍ ، فَاسْتَعِنْ بِهِ** » .

فقال المفضّل : لا والله جُعلت فداك ، ما أردت هذا ، ولكن أردت الدعاء ، فقال عليه السلام : « **لا أَدَعُ الدُّعاءَ لَكَ** »(١) .

٣ ـ سأله فقير فأعطاه أربعمائة درهم ، فأخذها الفقير وذهب شاكراً ، فقال عليه السلام لخادمه : « **أَرْجِعْه** » .

فقال الخادم : سئلت فأعطيت ، فماذا بعد العطاء ؟

فقال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : خَيْرُ الصَّدَقَةِ ما أَبْقَتْ غِنىً ، وَإِنّا لَمْ نُغْنِهِ ، فَخُذْ هذا الْخاتَمَ فَأَعْطِهِ فَقَدْ أُعْطيتُ فيهِ عَشَرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ ، فَإِذا احْتاجَ فَلْيَبِعْهُ بِهذِهِ الْقيمَةِ** »(٢) .

٤ ـ ومن جوده وسخائه وحبّه للبرّ والمعروف أنّه كانت له ضيعة قرب المدينة تسمّى رعين زياد ، فيها نخل كثير ، فإذا نضج التمر أمر الوكلاء أن يثلموا في حيطانها الثلم ليدخل الناس ويأكلوا من التمر(٣) .

وكان يأمر لجيران الضيعة الذين لا يقدرون على المجيء ، كالشيخ والعجوز والمريض لكلّ واحد منهم بمدّ من التمر ، وما بقي منه يأمر بحمله إلى المدينة فيفرّق أكثره على الضعفاء والمستحقّين ، وكانت قيمة التمر الذي تنتجه الضيعة أربعة آلاف دينار ، فكان ينفق ثلاثة آلاف منه ، ويبقي له ألف(٤) .

٥ ـ ومن بوادر كرمه أنّه كان يطعم ويكسو حتّى لم يبق لعياله شيء من كسوة

---

(١) رجال الكشّي : ١٢١.

(٢) الإمام جعفر الصادق / أحمد مغنية : ٤٧.

(٣) و (٤) الإمام جعفر الصادق : ٤٧.

أو طعام[١].

ومن كرمه أنّه مرّ به رجل ، وكان عليه السلام يتغدّى ، فلم يسلّم الرجل ، فدعاه الإمام إلى تناول الطعام ، فأنكر عليه بعض الحاضرين ، وقال له : « **السُّنَّةُ أَنْ يُسَلِّم ثُمَّ يُدعىٰ ، وَقَدْ تَرَكَ السَّلامَ علىٰ عَمدٍ** ».

فقابله الإمام ببسمات مليئة بالبشر وقال له : « **هٰذا فَقْهٌ عِراقِيٌّ فِيهِ بُخْلٌ** »[٢].

صدقاته عليه السلام في السرّ

أمّا الصدقات في السرّ فإنّها من أفضل الأعمال وأحبّها لله؛ لأنّها من الأعمال الخالصة التي لا يشوبها أي غرض من أغراض الدنيا ، وقد ندب إليها أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، كما أنّها كانت منهجاً لهم ، فكلّ واحد منهم كان يعول بجماعة من الفقراء ، وهم لا يعرفونه .

وكان الإمام الصادق عليه السلام يقوم في غلس الليل إليهم فيأخذ جراباً فيه الخبز واللحم والدراهم فيحمله على عاتقه ويذهب به إلى أهل الحاجة من فقراء المدينة ، فيقسّمه فيهم وهم لا يعرفونه ، وما عرفوه حتّى مضى إلى الله تعالى ، فافتقدوا تلك الصلات فعلموا أنّها منه[٣] ، ومن صلاته السريّة ما رواه إسماعيل بن جابر ، قال : « أعطاني أبو عبدالله عليه السلام خمسين ديناراً في صرّة ، وقال لي : **اِدْفَعْها إِلىٰ شَخْصٍ مِنْ بَني هاشِمٍ ، وَلَا تُعْلِمْهُ أَنّي أَعْطَيْتُكَ شَيْئاً** .

فأتيته ودفعتها إليه ، فقال لي : من أين هذه ؟ فأخبرته أنّها من شخص لا يقبل أن تعرفه ، فقال العلوي : ما يزال هذا الرجل كلّ حين يبعث بمثل هذا المال ، فنعيش بها

---

(١) تاريخ الإسلام : ٦ : ٤٥ . مرآة الزمان : ٦ : ١٦٠ . تهذيب الكمال : ٥ : ٨٧ .

(٢) نثر الدرر / الآبي : ١ : ٣٥٣ .

(٣) الإمام جعفر الصادق : ٤٧ .

إلى قابل ، ولكن لا يصلني جعفر بدرهم مع كثرة ماله[١] .

وقد أُثرت عنه أخبار كثيرة في الحثّ عليها ذكرناها في غضون هذا الكتاب .

تكريمه عليه السلام للضيوف

ومن بوادر كرمه وسخائه حبّه للضيوف وتكريمه لهم ، فكان ـ فيما يقول الرواة ـ يشرف على خدمة ضيوفه بنفسه ، وكان يأتيهم بأشهى الطعام وألذّه وأوفره ، ويكرر عليهم القول وقت الأكل : «**أَشَدُّكُمْ حُبّاً لَنا أَكْثَرُكُمْ أَكْلاً عِنْدَنا**» .

وكان يأمر في كلّ يوم بوضع عشر ثبنات من الطعام يتغدّى على كلّ ثبنة عشرة[٢] .

إنّ السخاء ظاهرة ذاتيّة من ظواهر أئمّة أهل البيت عليهم السلام فهم أُصول الكرم ، ومعدن الجود ، ومنبع السخاء .

التواضع

ومن ذاتيّات الإمام الصادق عليه السلام نكرانه للذات ، وحبّه للتواضع وهو سيّد المسلمين ، وإمام الملايين ، وكان من تواضعه أنّه يجلس على الحصير[٣] ، ويرفض الجلوس على الفرش الفاخرة ، وكان ينكر ويشجب المتكبّرين ، وقد قال ذات مرّة لرجل من إحدى القبائل : **مَنْ سَيِّدُ هٰذِهِ الْقَبِيلَة ؟**

فبادر الرجل قائلاً : أنا .

فأنكر الإمام عليه السلام ذلك وقال له : **لَوْ كُنْتَ سَيِّدَهُمْ ما قُلْتَ : أَنا**»[٤] .

---

(١) مجموعة ورّام : ٢ : ٨٢ .

(٢) الإمام جعفر الصادق عليه السلام : ٤٦ .

(٣) النجوم الزاهرة : ٥ : ١٧٦ .

(٤) الطبقات الكبرى : ١ : ٣٢ .

إنّ التواضع من أبرز سماته النفسيّة ، فقد جافى التكبّر والاستعلاء على الخلق ، وكان يرى ذلك من أفحش الصفات ، التي تهبط بالإنسان إلى قرار سحيق .

ومن تواضعه ونكرانه للذات أنّ رجلاً من السواد كان يلازمه ، فافتقده ، فسأل عنه ، فبادر رجل فقال مستهيناً بمن سأل عنه : « إنّه نبطيّ » .

فردّ عليه الإمام قائلاً : « **أَصْلُ الرَّجُلِ عَقْلُهُ ، وَحَسَبُهُ دينُهُ ، وَكَرَمُهُ تَقْواهُ ، وَالنّاسُ في آدَمَ مُسْتَوون** » ، فاستحيى الرجل [1] .

سموّ أخلاقه عليه السلام

وكان الإمام الصادق عليه السلام على جانب كبير من سموّ الأخلاق ، فقد ملك القلوب ، وجذب العواطف بهذه الظاهرة الكريمة التي كانت امتداداً لأخلاق جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله الذي سما على سائر النبيّين بمعالي أخلاقه .

وكان من مكارم أخلاق الإمام وسموّ ذاته أنّه كان يحسن إلى كلّ من أساء إليه ، وقد روى المؤرّخون أنّ رجلاً من الحجّاج توهّم أنّ هميانه قد ضاع منه ، فخرج يفتّش عنه ، فرأى الإمام الصادق عليه السلام يصلّي في الجامع النبويّ فتعلّق به ، ولم يعرفه ، وقال : « أنت أخذت همياني ؟ » .

فقال له الإمام بعطف ورفق : **ما كانَ فيه ؟**

- ألف دينار .

فأعطاه الإمام ألف دينار ، ومضى الرجل إلى مكانه ، فوجد هميانه ، فعاد إلى الإمام معتذراً منه ، ومعه المال ، فأبى الإمام عليه السلام قبوله وقال له : **شَيْءٌ خَرَجَ مِنْ يَدي فَلا يَعودُ إِلَيَّ** ، فبهر الرجل وسأل عنه ، فقيل له : هذا جعفر الصادق ، وراح الرجل

---

(١) مطالب السؤول : ٢ : ١١٤ .

يقول بإعجاب : « لا جرم هذا فعال أمثاله »(١) .

إنّ شرف الإمام عليه السلام الذي لا حدود له هو الذي دفعه إلى تصديق الرجل ودفع المال له .

وعلى أي حال ، فقد ذكرنا في جوامع كلمات الإمام جمهرة من أقواله الحكميّة مع الإشادة بمكارم الأخلاق ، والدعوة لها ، والتي كان منها قوله عليه السلام : « **إِنّا أَهْلُ بَيْتٍ مُروءَتُنا الْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَنا** »(٢) .

وكان يفيض بأخلاقه النديّة على حضّار مجلسه حتّى قال رجل من العامّة : « والله ما رأيت مجلساً أنبل من مجالسته »(٣) .

الصبر

ومن الصفات البارزة في الإمام عليه السلام : الصبر وعدم الجزع على ما لاقاه من عظيم المحن والخطوب ، ومن صبره أنّه لمّا توفّي ولده إسماعيل ، وكان ملء العين في أدبه وعلمه وفضله ، دعا عليه السلام جمعاً من أصحابه فقدّم لهم مائدة جعل فيها أفخر الأطعمة ، وأطيب الألوان ، ولمّا فرغوا من تناول الطعام سأله بعض أصحابه ، فقال له :

يا سيّدي لا أرى عليك أثراً من آثار الحزن على ولدك ؟

فأجابه عليه السلام : « **وَما لي لا أَكونُ كَما تَرَوْنَ وَقَدْ جاءَ في خَبَرِ أَصْدَقِ الصّادِقينَ** - يعني جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله - **إِلىٰ أَصْحابِهِ : إِنّي مَيِّتٌ وَإِيّاكُمْ** »(٤) .

---

(١) الإمام جعفر الصادق عليه السلام : ٤٨ .

(٢) الخصال : ١١ .

(٣) أُصول الكافي : ٢ : ٦٥٧ .

(٤) الإمام جعفر الصادق عليه السلام : ٤٩ .

إقباله عليه السلام على العبادة

أمّا الإقبال على عبادة الله تعالى وطاعته ، فإنّه من أبرز صفات الإمام وذاتيّاته ، فقد كان من أعبد الناس لله في عصره ، وقد أخلص في طاعته لله كأعظم ما يكون الإخلاص ، وهذه صورة موجزة عن عباداته .

صلاته عليه السلام

أمّا الصلاة فإنّها من أفضل العبادات وأهمّها في الإسلام ، وقد أشاد بـها الإمـام الصادق عليه السلام في كثير من أحاديثه . استمعوا لبعضها :

١ ـ « **ما تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ أَفْضَلَ مِنَ الصَّلاةِ** »(١) .

٢ ـ « **إِنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمالِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ الصَّلاةُ ، وَما أَحْسَنَ مِنْ عَبْدٍ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوضوء** »(٢) .

٣ ـ « **الصَّلاةُ قُرْبانُ كُلِّ تَقيٍّ** »(٣) .

٤ ـ « **أَحَبُّ الْأَعْمالِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الصَّلاةُ ، وَهِيَ آخِرُ وَصايا الْأَنْبياءِ ، فَما أَحْسَنَ الرَّجُلَ يَغْتَسِلُ أَوْ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الْوضوءَ ثُمَّ يَتَنَحّىٰ حَيْثُ لَا يراهُ أَنيسٌ فَيُشْرِفُ اللهُ عَلَيْهِ وَهُوَ راكِعٌ أَوْ ساجِدٌ ، إِنَّ الْعَبْدَ إِذا سَجَدَ فَأَطالَ السُّجودَ نادىٰ إِبْليسُ : يا وَيْلَهُ ، أَطاعوا وَعَصَيْتُ ، وَسَجَدوا وَأَبَيْتُ** »(٤) .

---

(١) مجموعة ورّام : ٢ : ٨٦.

(٢) الغايات : ٧١.

(٣) جمهرة الأولياء : ٢ : ٧٨.

(٤) وسائل الشيعة : ٣ : ٢٦.

٥ ـ روى أبو بصير، قال: «دخلت على أمّ حميدة ـ زوجة الإمام الصادق عليه السلام ـ أعزّيها بأبي عبدالله عليه السلام فبكت وبكيت لبكائها، ثمّ قالت: يا أبا محمّد، لو رأيت أبا عبدالله عند الموت لرأيت عجباً، فتح عينيه ثمّ قال: **اجْمَعوا كُلَّ مَنْ بَيْني وَبَيْنَهُ قَرابَةٌ**.

قالت: فما تركنا أحداً إلّا جمعناه، فنظر إليهم ثمّ قال: **إنَّ شَفاعَتَنا لا تَنالُ مُسْتَخِفّاً بِالصَّلاةِ**»[١].

وقد تظافرت الأخبار عنه وعن بقيّة الأئمّة الطاهرين عليهم السلام بأهمّية الصلاة، وأنّها من أفضل الأعمال التي تقرّب الإنسان إلى الله تعالى، وكان عليه السلام إذا أراد التوجّه إلى الصلاة اصْفَرّ لونه، وارتعدت فرائصه خوفاً من الله تعالى ورهبة وخشية منه، وقد أُثرت عنه مجموعة من الأدعية في حال وضوئه، وتوجّهه إلى الصلاة وفي قنوته، وبعد الفراغ من صلاته ذكرناها في الصحيفة الصادقيّة.

ومن الجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام لم يدع نافلة من نوافل الصلاة إلّا أتى بها بخشوع وإقبال نحو الله.

صومه عليه السلام

الصوم من العبادات المهمّة في الإسلام، وذلك لما يترتّب عليه من الفوائد الاجتماعيّة والصحيّة والأخلاقيّة، وهو **جُنَّةٌ مِنَ النّارِ**[٢] ـ كما قال الامام الصادق عليه السلام ـ.

وقد حثّ الإمام الصادق عليه السلام الصائم على التحلّي بالأخلاق والآداب التالية:

قال عليه السلام: «**إذا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصَرُكَ وَلِسانُكَ مِنَ الْقَبيحِ وَالْحَرامِ، وَدَعِ**

---

(١) وسائل الشيعة: ٣: ١٧.

(٢) وسائل الشيعة: ٣: ٢٩٠.

الْمِراءَ ، وَأَذَى الْخادِمِ ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقارُ الصِّيامِ ، وَلا تَجْعَلْ يَوْمَ صَوْمِكَ مِثْلَ يَوْمِ فِطْرِكَ سَواء »(١).

وكان عليه السلام صائماً في أغلب أيّامه تقرّباً إلى الله تعالى ، أمّا شهر رمضان المبارك فكان يستقبله بشوق بالغ ، وقد أُثرت عنه بعض الأدعية المهمّة عند رؤيته لهلاله ، كما أُثرت عنه بعض الأدعية في أيّامه وفي ليالي القدر وفي يوم عيد الأضحى ، ذكرناها في الصحيفة الصادقيّة .

حجّه عليه السلام

أمّا الحجّ فهو بالإضافة إلى قدسيّته فإنّه من أهمّ المؤتمرات السياسيّة التي تعقد في العالم الإسلامي ، وذلك لتعرض فيه أهمّ المشاكل التي تواجه المسلمين ، سواء أكانت من الناحية الاقتصاديّة أم الاجتماعيّة ، أو المشاكل السياسيّة الخارجيّة ، مضافاً إلى أنّه من أهمّ الروابط التي يعرف بها المسلمون بعضهم بعضاً .

وقد حجّ الإمام الصادق عليه السلام مرّات متعدّدة ، والتقى بكثير من الحجّاج المسلمين ، وقد كان المعلّم والمرشد لهم على مسائل الحجّ ، فقد جهد هو وأبوه الإمام محمّد الباقر عليه السلام على بيان أحكام الحجّ ، وعنهما أخذت الرواة والفقهاء أحكام هذه الفريضة ، ولولاهما لما عرفت مسائل الحجّ وأحكامه .

وعلى أي حال ، فقد كان الإمام الصادق عليه السلام يؤدّي بخضوع وخشوع مراسيم الحجّ من الطواف ، والوقوف في عرفات ومنى ، وقد روى بكر بن محمّد الأزدي ، قال : « خرجت أطوف ، وإلى جنبي الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام ، حتّى فرغ من طوافه ثمّ مال فصلّى ركعتين بين ركن البيت والحجر ، وسمعته يقول في أثناء سجوده :

---

(١) مجموعة ورّام : ٢ : ٨٥.

سَجَدَ وَجْهي لَكَ تَعَبُّداً وَرِقّاً ، لا إلـهَ إلّا أَنْتَ حَقّاً حَقّاً ، الْأَوّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَها أَنا ذا بَيْنَ يَدَيْك ، ناصيَتي بِيَدِكَ ، فَاغْفِرْ لي إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذَّنْبَ الْعَظيمَ غَيْرُكَ ، فَاغْفِرْ لي ، فَإِنّي مُقِرٌّ بِذُنوبي عَلىٰ نَفْسي ، وَلا يَدْفَعُ الذَّنْبَ الْعَظيمَ غَيْرُك » ، ثمّ رفع رأسه الشريف ، ووجهه كأنّما غُمِس في الماء من كثرة البكاء »[١] .

وروى حمّاد بن عثمان ، قال : « رأيت أبا عبدالله جعفر بن محمّد بالموقف رافعاً يده إلى السماء .. وكان في موقف النبيّ ﷺ وظاهر كفّيه إلى السماء »[٢] .

وكان عليه السلام إذا خرج من الكعبة المقدّسة يقول : **« اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، اللّهُمَّ لا تُجْهِدْ بَلاءَنا ، وَلا تُشْمِتْ بِنا أَعْداءَنا ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الضّارُّ النّافِعِ »**[٣] .

ومن الجدير بالذكر ما رواه حفص بن عمر مؤذّن عليّ بن يقطين ، قال : « كنّا نروي أنّه يقف للناس في الحجّ سنة (١٤٠هـ) خير الناس ، فحججت في تلك السنة ، فإذا إسماعيل بن عبدالله بن العبّاس واقف ، فداخلنا من ذلك غمّ شديد ، فلم نلبث ، وإذا بالإمام أبي عبدالله عليه السلام واقف على بغلة له ، فرجعت أبشّر أصحابي ، وقلت : هذا خير الناس الذي كنّا نرويه »[٤] .

وكان من أعظم الخاشعين والداعين في مواقف الحجّ ، فقد روى سفيان الثوري ، قال : « والله رأيت جعفر بن محمّد عليه السلام ولم أرَ حاجّاً وقف بالمشاعر ، واجتهد في التضرّع والابتهال أشدّ منه ، فلمّا وصل عرفات أخذ من الناس جانباً ، واجتهد في الدعاء في الموقف »[٥] .

---

(١) قرب الإسناد : ٢٨ .

(٢) قرب الإسناد : ٣١ .

(٣) قرب الإسناد : ٣ .

(٤) قرب الإسناد : ٩٨ .

(٥) ضياء العالمين (مخطوط) .

انطباعات عن شخصيته عليه السلام

وهزّ الإمام الصادق عليه السلام الدنيا بمواهبه وعبقريّاته ، وما قام به في تكوين الثقافة الإسلاميّة ، وتنمية الفكر الإنساني بمختلف أنواع العلوم والمعارف ، وقد بهر العلماء بمختلف العصور بطاقاته العلميّة الهائلة ، وأجمعوا على الاعتراف له بالفضل ، وأنّه من صنّاع الحضارة الإنسانيّة ، ونعرض إلى بعض ما أُثر عن أئمّة المسلمين وغيرهم من كلمات قيّمة في الإشادة بفضل هذا الإمام العظيم :

١ ـ الإمام الباقر عليه السلام

وأدلى الإمام محمّد الباقر عليه السلام أمام أعلام شيعته بفضل ولده الإمام الصادق عليه السلام ، وكان ممّا قاله :

١ ـ روى طاهر ، قال : «كنت عند أبي جعفر عليه السلام ، فأقبل جعفر ، فقال أبو جعفر : **هٰذا خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**»[١].

وليس في قاموس الثناء أبلغ ، ولا أوجز ، ولا أكثر واقعيّة من هذا الثناء الذي أضفاه الإمام محمّد الباقر عليه السلام على ولده الإمام الصادق عليه السلام ، الذي هو ملء فم الدنيا في فضائله وعلومه وتقواه ، فهو خير البريّة على الإطلاق بما تحويه هذه الكلمة من معنى .

---

(١) أُصول الكافي : ١ : ٣٠٧.

٢ ـ روى أبو الصباح الكناني ، قال : «نظر أبو جعفر عليه السلام إلى أبي عبدالله عليه السلام يمشي ، فقال : **«ترىٰ هذا ، هذا مِنَ الَّذينَ قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾**(١)»(٢).

لقد عاشت الأُسرة النبويّة أمام الحكم الأموي مستضعفة ، قد أمعنت السلطات الأمويّة في ظلمهم وقهرهم والتنكيل بهم ولم يستطع أحد من أئمّة أهل البيت عليهم السلام أن ينشر علومه ، ويبسط معارفه على النّاس ، ولكن في أيّام الإمام الصادق عليه السلام انهارت الدولة الأمويّة ، ومنيت بالفتن والأحداث الجسام ، فانتهز الإمام الصادق عليه السلام هذه الفرصة ، فانبرى إلى الساحة ، فأقام سلطانه الروحي على الأُمّة وذلك بما نشره من مختلف العلوم ، وبما أقامه من فقه الشريعة الإسلاميّة حتّى أغنى المنتمين لأهل البيت ، وجعلهم من أثرى المذاهب الإسلاميّة في فقههم المتطوّر الذي يساير الزمن على امتداد التاريخ ، وبذلك كان الإمام الصادق عليه السلام من ألمع الأئمّة الذين عنتهم الآية الكريمة .

٢ ـ زيد بن عليّ عليه السلام

وأدلى الثائر العظيم زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام بكلمة رائعة في شأن ابن أخيه الإمام الصادق عليه السلام ، أعرب فيها عن سموّ مكانته وعظيم شأنه ، قال : **«في كُلِّ زَمانٍ رَجُلٌ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ يَحْتَجُّ اللهُ بِهِ عَلىٰ خَلْقِهِ ، وَحُجَّةُ زَمانِنا ابْنُ أَخي جَعْفَرٌ ، لَا يَضِلُّ مَنْ تَبِعَهُ ، وَلَا يَهْتَدي مَنْ خالَفَهُ»**(٣).

لقد أدرك بطل الإسلام بوعيه المتفتّح ما تلقّاه من آبائه من ضرورة الإمامة ،

---

(١) القصص ٢٨ : ٥.

(٢) أُصول الكافي : ١ : ٣٠٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٢٧٧.

وأنّها منهج أصيل من مناهج الحياة الإسلاميّة ، وجزء لا يتجزّأ من رسالة الإسلام الخالدة ، والإمام حجّة الله على عباده يبثّ فيهم روح الخير ، ويحسم عنهم روح الشرّ والفساد ، وأنّ الله تعالى ـ من باب اللطف ـ لا يخلي الأرض من حجّة ، يهتدي من اتّبعه ، ويضلّ من خالفه ، وأنّ الحجّة على الأمّة في ذلك الوقت هو رائد نهضتها الفكريّة والحضاريّة الإمام الصادق عليه‌السلام .

وكان زيد دوماً يشيد بفضل ابن أخيه الإمام الصادق عليه‌السلام ، فقد قال لأصحابه : « **مَنْ أَرادَ الْجِهادَ فَإِلَيَّ ، وَمَنْ أَرادَ الْعِلْمَ فَإِلَى ابْنِ أَخي جَعْفَر** »(١) .

وكما كان زيد البطل الخالد في دنيا الإسلام ، فقد كان ابن أخيه الإمام الصادق عليه‌السلام المرجع الأعلى للعالم الإسلامي في فقهه وسائر علومه .

٣ ـ يحيى بن زيد

ويحيى بن زيد نفحة من نفحات النبوّة والإمامة ، وبطل من أبطال الجهاد الإسلامي ، وقد سئل عن الإمام في عصره الذي تجب طاعته ، فقال : « **هُوَ جَعْفَرٌ ، وَهُوَ أَفْقَهُ بَني هاشِم** »(٢) .

لقد كان الإمام الصادق عليه‌السلام أفقه بني هاشم ، وغيرهم من فقهاء المسلمين ، وأدراهم بأحكام الشريعة ، ويعتبر هو المؤسّس لفقه أهل البيت الذي هو من ذخائر الفقه الإسلامي .

٤ ـ مالك بن أنس

ومالك بن أنس من رؤساء المذاهب الإسلاميّة ، وقد اتّصل بالإمام الصادق عليه‌السلام ،

---

(١) زهرة المقول / ابن شدقم : ٧١.

(٢) المصدر المتقدّم : ٧٣.

وأعرب عن إعجابه البالغ بشخصيّته العظيمة التي استوعبت الدنيا في فضائلها ومآثرها. يقول: «اختلفت إلى جعفر بن محمّد زماناً، فما كنت أراه إلّا على إحدى ثلاث خصال: إمّا مصلّياً، وإمّا صائماً، وإمّا يقرأ القرآن، وما رأيته يحدّث عن رسول الله ﷺ إلّا على طهارة، ولا يتكلّم بما لا يعنيه، وكان من العلماء العباد والزهّاد الذين يخشون الله. وصرّح مالك بن أنس عن فضل الإمام الصادق عليه السلام بما يلي: وما رأت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمّد الصادق علماً وعبادة وورعاً»[١].

وهذه الخصال الرفيعة التي اتّصف بها سليل النبوّة، إنّما هي من سمات المتّقين الأخيار الذين يخشون الله، وبأمره يعملون، وممّا أثار إعجاب مالك بالإمام عليه السلام اجتنابه للكلام فيما لا يعنيه، وكان ذلك من مميّزاته، فقد اجتنب فضول الكلام، واجتنب التدخّل فيما لا يعنيه، واتّجه نحو توجيه الناس الوجهة الصالحة، ورفع مستواهم الفكري والثقافي، وكان ذلك ممّا يعنيه.

٥ ـ أبو حنيفة

وعظم الإمام الصادق عليه السلام عند أئمّة المذاهب الإسلاميّة، فقد أيقنوا أنّه المرجع الأعلى للعالم الإسلامي في فقهه وسائر علومه، فهذا أبو حنيفة الذي نال شرف التلمذة عنده كان يتحدّث بإعجاب وإكبار عنه، وقد أدلى بعدّة تصريحات عن عظيم منزلته، كان من بينها ما يلي:

ـ أعلن أبو حنيفة أنّ المدّة التي تتلمذ فيها على الإمام الصادق عليه السلام هي التي ساعدت على بناء كيانه الفقهي، قال: «لولا السنتان لهلك النعمان»[٢].

---

(١) تهذيب التهذيب: ٢: ١٠٤.

(٢) الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة: ١: ٧٠.

وعلّق الآلوسي على هذه الكلمة بقوله: « هذا أبو حنيفة وهو من أهل السنّة يفتخر ويقول بأفصح لسان: لولا السنتان لهلك النعمان، يعني السنتين اللتين حضر فيهما لأخذ العلم عن الإمام جعفر الصادق »[(١)].

- قال أبو حنيفة أيضاً: « ما رأيت أفقه من جعفر بن محمّد. لمّا أقدمه المنصور بعث إليَّ، فقال: يا أبا حنيفة، إنّ الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمّد، فهيّئ له من المسائل الشداد، فهيّأت له أربعين مسألة، ثمّ بعث إليَّ أبو جعفر وهو بالحيرة، فأتيته، فدخلت عليه، وجعفر بن محمّد جالس عن يمينه، فلمّا أبصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمّد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلّمت عليه، وأومأ إليَّ فجلست، ثمّ التفت المنصور إليه، فقال: يا أبا عبدالله، هذا أبو حنيفة.

قال جعفر: **نَعَمْ**.

ثمّ التفت إليَّ فقال: يا أبا حنيفة، ألقِ على أبي عبدالله من مسائلك، فجعلت ألقي عليه فيجيبني فيقول: **أَنْتُمْ تقولونَ كَذا، وَأَهْلُ الْمَدينَةِ يَقولونَ كَذا، وَنَحْنُ نَقولُ كَذا**، فربّما تابعهم، وربّما خالفنا جميعاً، حتّى أتيت على الأربعين مسألة، ثمّ قال أبو حنيفة: ألسنا روينا أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس »[(٢)].

أمّا النقاط الحسّاسة والمهمّة في هذه الكلمة فهي:

أوّلاً: إنّها أعربت عن فزع السلطة العبّاسيّة وقلقها لالتفاف الجماهير حول سليل النبوّة الإمام الصادق عليه السلام، فقد رأوا فيه امتداداً لجدّه الرسول صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حين أنّ الأسرة العبّاسيّة لم يكن لها أي رصيد شعبي، الأمر الذي أثار حنق العبّاسيّين وحقدهم عليه.

---

(١) التحفة الإثني عشريّة: ٨.

(٢) تذكرة الحفّاظ: ١: ١٥٧. تاريخ الإسلام / الذهبي: ٦: ٤٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٥: ٧٩.

ثانياً: ما يتمتّع به الإمام الصادق عليه السلام من الهيبة التي تحكي هيبة الأنبياء، فقد غمرت أبا حنيفة هيبته وداخله من الإجلال والإكبار ما لم يداخله لأبي جعفر المنصور في حين أنّه كان زعيم السلطة، والحاكم المطلق في البلاد.

ثالثاً: إحاطة الإمام عليه السلام بجميع الآراء والأقوال في المسائل الفقهيّة، وهذا ممّا يدلّل على أنّه أعلم الناس بشؤون الشريعة الإسلاميّة كما يقول أبو حنيفة.

- قال أبو حنيفة: «لولا جعفر بن محمّد ما علم الناس مناسك حجّهم»[1].
- وقال أيضاً: «ما رُئي أعلم من جعفر بن محمّد، وأنّه أعلم الأُمّة»[2].

٦ ـ ابن أبي ليلى

وعبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري من ألمع فقهاء ذلك العصر، وقد تولّى القضاء في العهد الأموي والعهد العبّاسي، وقد اعترف بتفوّق الإمام الصادق عليه السلام في ميدان الفقه والقضاء، فقد سأله نوح بن درّاج فقال له:

أكنت تاركاً قولاً قلته، وقضاءً لقول أحد؟

فأجابه بصراحة وإيمان: لا إلّا لرجل واحد؟

فسارع نوح قائلاً: من هو؟

فقال: هو جعفر بن محمّد الصادق[3].

إنّ الإمام الصادق عليه السلام ـ باتّفاق العلماء ـ هو المرجع الأعلى في شؤون الشريعة الإسلاميّة، وقوله الفصل فيما يقضي ويحكم به.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٥١٩، باب نوادر الحجّ.

(٢) جامع أسانيد أبي حنيفة: ٢: ٢٢٢.

(٣) الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة: ٤: ١٠٠. بحار الأنوار: ٤٧: ٢٩.

٧ـ عمرو بن ثابت

وعمرو بن ثابت المعروف بابن أبي المقدام الحدّاد الكوفي هو علم من أعلام الشيعة، وثقة من ثقاتهم، وقد عاشر كوكبة من الأئمّة الأطهار، وآمن بأنّهم سفن النجاة، وأمن العباد، وقد أدلى بكلمة ذهبيّة في الإمام الصادق عليه السلام، قال: «كنت اذا نظرت إلى جعفر بن محمّد عليه السلام علمت أنّه من سلالة النبيّين»[١].

إنّ الإمام الصادق عليه السلام في سماحة نفسه، وسجاحة خلقه، وسموّ تواضعه، وغزارة علمه، هو نفحة من نفحات النبوّة، وقبس من نور الإمامة، وكنز من كنوز الحكمة، وهبه الله لهذه الأمّة ليكون رائداً وهادياً لها.

٨ـ الدوانيقي

ومنصور الدوانيقي هو ثاني حاكم عبّاسي كان من ألدّ أعداء الأُسرة النبويّة، وقد أنزل بهم ضربات قاصمة، وعانوا منه ما لم يعانوه من الأمويّين، وبالرغم من عدائه للعلويّين، فإنّ شخصيّة الإمام الصادق عليه السلام سيّد أهل البيت قد طغت عليه، وقد أدلى بعدّة تصاريح في حقّه وسموّ منزلته، كان منها ما يلي:

ـ قال الدوانيقي مؤبّناً للإمام عليه السلام: «إنّ جعفر بن محمّد كان ممّن قال الله فيه: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ﴾[٢]، وكان ممّن اصطفى الله، وكان من السابقين بالخيرات»[٣].

لقد كان الإمام الصادق عليه السلام ممّن أورثه الله الكتاب والعلم والحكمة، وآتاه فصل

---

(١) تهذيب التهذيب: ٢: ١٠٤. تهذيب الأسماء واللغات: ١: ١٥٠.

(٢) فاطر ٣٥: ٣٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٧.

الخطاب، واصطفاه على عباده، وميّزه على خلقه بما منحه من الفضائل وسموّ الكمال والآداب.

- وخاطب الدوانيقي الإمام عليه السلام فقال له: «لا نزال من بحرك نغترف، وإليك نزدلف، تبصر من العمى، وتجلو بنورك الطغياء[(١)]، فنحن نحوم في سَبَحاب قدسك، وطامي بحرك»[(٢)].

وحكت هذه الكلمات مدى إعجاب المنصور بما يملكه الإمام من طاقات علميّة هائلة انتهل من نميرها العلماء، وأمدّت العالم الإسلامي بالتطوّر في جميع مجالاته.

- وعندما تحدّث الناس عن مواهب الإمام الصادق عليه السلام وعبقريّاته علّق المنصور على ذلك بقوله: «هذا الشجا المعترض في حلقي -الإمام الصادق عليه السلام- من أعلم الناس في زمانه»[(٣)].

لقد كان الإمام عليه السلام يملك قاعدة شعبيّة، ومكانة متميّزة في العالم الإسلامي لا يملكها المنصور ولا أُسرته ممّا سبّب أن يكون كابوساً ثقيلاً عليه، وشجا معترضاً في حلقه، ومع هذا فقد أقرّ بأنّه أعلم أهل زمانه.

٩- ابن أبي العوجاء

كان عبدالكريم بن أبي العوجاء زنديقاً ممعناً في الزندقة، وكان ملحداً متشدّداً في الإلحاد، وكان يحثّ على الفساد وانهيار الأخلاق، وقد أظهر الحرب على الإسلام، ومعاداة نظمه وتقاليده، ومع ذلك فقد كان يكبر الإمام الصادق عليه السلام، ولا يرى أنّ أحداً يستحقّ أن يطلق عليه اسم الإنسانيّة سواه، وقد قال في حقّه:

---

(١) **الطغياء**: هي الليلة المظلمة.

(٢) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٤: ٣٣٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٣: ١١٩.

« ما هذا ببشر ، وإن كان في الدنيا روحاني يتجسّد إذا شاء ظاهراً ، ويتروّح إذا شاء باطناً ، فهو هذا » ، وأشار إلى الإمام الصادق عليه السلام(١) .

وشهادة هذا الزنديق في حقّ الإمام تدلّل على مدى مكانته العلميّة وقابليّاته الفذّة ، وسنعرض لذلك في البحوث الآتية .

١٠ ـ عبدالله بن المبارك

وهام الشاعر الكبير عبدالله بن المبارك بالإمام الصادق عليه السلام ، واستولى ولاؤه على مشاعره وعواطفه ، ونظم فيه أروع الشعر ، وممّا قاله فيه :

أَنْتَ يا جَعْفَرُ فَوقَ الـ ـمَدحِ وَالمَدحُ عَناءُ
إِنَّما الأَشرافُ أَرضٌ وَلَـهُمْ أَنْتَ سَماءُ
جازَ حَدَّ الْمَدحِ مَنْ قَدْ وَلَدتهُ الأَنبياءُ

لا أرى شعراً أصدق ولا أكثر واقعيّة من هذا الشعر ، فقد أعرب فيه ابن المبارك أنّ الإمام الصادق عليه السلام فوق المدح ، وأنّ مدحه عناء وتكلّف ، فإنّ المدح إنّما يكون ـ على الأكثر ـ للإشادة بالممدوح ورفع شأنه ، والإمام أسمى وأرفع من ذلك ، فقد استوعبت شخصيّته جميع المسلمين لأنّه وليد الأنبياء ووارث كمالاتهم ، وما خلّفوه من الحكمة والعلم . ويقول ابن المبارك في مدح الإمام عليه السلام :

اللهُ أَظْـهَرَ دينَهُ وأعَـزَّهُ بِـمُحَمَّدِ
واللهُ أَكْـرَمَ بِـالـ ـخلافَةِ جَعْفَرَ بنَ مُحَمَّدِ(٢)

---

(١) أصول الكافي : ١ : ٧٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٢٧٧.

وحكى ابن المبارك في البيت الثاني ما تذهب إليه الشيعة الإماميّة من أنّ الإمام الصادق عليه السلام وباقي أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وخلفاؤه على أُمّته، والقادة الواقعيّون للإسلام، وقد قرنهم الرسول صلى الله عليه وآله بمحكم التنزيل، وجعلهم سفن النجاة، وأمن العباد.

١١ ـ السيّد الحميري

أمّا السيّد الحميري فقد أخلص لأهل البيت عليهم السلام كأعظم ما يكون الإخلاص، فأوقف فكره المبدع، ومشاعره الفيّاضة على الإشادة بفضائلهم ومآثرهم، وكان فيما يقول المؤرّخين: كيساني العقيدة، إلّا أنّه عدل عن ذلك، ودان بدين الحقّ، لمعجزة رآها من الإمام الصادق عليه السلام، وقد مدح الإمام في كثير من شعره، وممّا قاله فيه:

امْدَحْ أَبا عَبدِ الإلٰهِ ... فَتى الْبَرِيَّةِ فِي احتِمالِهْ
سِبطُ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ ... حَبلٌ تَفَرَّعَ مِنْ حِبالِهْ
تَغشى العُيونُ النّاظِراتُ ... إذا سَمَونَ إلىٰ جَلالِهْ
عَذْبُ المَوارِدِ بَحرُهُ ... يروي الخلائقَ مِنْ سِجالِهْ[١]
بَحرٌ أَطَلَّ عَلى الْبُحورِ ... يَمُدُّهُنَّ نَدىٰ بِلالِهْ
سَقَتِ العِبادَ يَمينُهُ ... وسَقى البِلادَ نَدىٰ شِمالِهْ
يَحكي السَّحابَ يَمينُهُ ... وَالوَدْقُ يَخرُجُ مِن خِلالِهْ
الأرضُ مِيراثٌ لَهُ[٢] ... وَالنّاسُ طُرّاً في عِيالِهْ

---

(١) **السجال** مفردها سجل: وهو الدلو العظيمة إذا كان فيه ماء.

(٢) يشير بذلك إلى الآية الكريمة: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ﴾ القصص ٢٨: ٥. وقد تلا الإمام أبوجعفر الباقر عليه السلام هذه الآية حينما رأى ولده الإمام الصادق عليه السلام كما روى ذلك أبو الصباح الكناني.

يـــا حُـــجَّةَ اللهِ الْــجَليلِ　　وَعَـــينَهُ وزَعـــيمَ آلِـــهْ
وَابــنَ الوصـيِّ الْـمُرْتضَى　　وَشَـبيهَ أحـمدَ فـي كَمالِهْ
أنتَ ابــنُ بــنتِ مُـحَمَّدٍ　　حــذواً خُـلِقتَ عـلىٰ مِثالِهْ
فَــضياءُ نـــورِكَ نـــورُهُ　　وظِــلالُ روحِكَ مــن ظِـلالِهْ
فــيكَ الخَــلاصُ عَنِ الرَّدىٰ　　وَبِكَ الهِـدايَـةُ مِـن ضَـلالِهْ
أُثْــــني ولَستُ بـــــبالغٍ　　عُشْرَ الفَريدةِ مِنْ خِصالِهْ (١)

وألمح السيّد الحميري في هذه الأبيات إلى هيبة الإمام عليه السلام التي تعنو لها الوجوه ، والتي تضارع هيبة جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، وقد أخذت هيبته بمجامع قلب الطاغية الدوانيقي ، وحالت بينه وبين ما يروم من قتل الإمام عليه السلام كما كان يتحدّث بذلك .

وعرض السيّد الحميري إلى كرم الإمام وسخائه ، فقد كان فيما أجمع عليه المؤرّخون من أندى النّاس كفّاً ، وأكثرهم عطاءً ، وكان يعول بمجتمع كبير من الفقراء ، وحدّث الرواة عن جوده أنّه كان ينفق جميع ما عنده حتّى لم يبق لعياله أي شيء .

وتحدّث السيّد الحميري في الفصل الأخير من أبياته عن مشابهة الإمام عليه السلام لجدّه الرسول صلى الله عليه وآله في كماله ، وسموّ أخلاقه ، التي امتاز بها صلى الله عليه وآله على سائر النبيّين ، لقد شابه الإمام عليه السلام جدّه الرسول صلى الله عليه وآله وحاكاه في صفاته ونزعاته ، فقد خلقه الله على حذوه ومثاله ، وأنّ نوره من نوره ، وكماله من كماله ، وهو أمر لا شبهة فيه .

ونعود إلى بعض ما قاله السيّد الحميري في الإمام عليه السلام . يقول :

أيـا راكِـباً نَـحوَ المـدينَـةِ جَسْـرَةً　　عُـذافِرَةً يطوي بها كلُّ سَبسَبِ (٢)

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٢٤٧ . ديوان السيّد الحميري : ١٣٦ .

(٢) **العذافرة** : هي العظيمة من الإبل . **السبسب** : الأرض البعيدة .

إذا مـا هَـداكَ اللهُ عـايَنتَ جَـعْفَراً فَـقُلْ لِـوليِّ اللهِ وَابْـنِ الْـمُهذَّبِ
ألا يــا أَمــينَ اللهِ وابــنَ أَمـينهِ أتــوبُ إلى الرَّحــمنِ ثُــمَّ تَأَوُّبــي
إليكَ مِنَ الأَمْرِ الَّـذي كُنْتُ مُـطنِباً أُحارِبُ فيهِ جاهِداً كلَّ مُعْرِبِ[١]
وأُشــهِدُ ربِّــي أنَّ قــولَكَ حُـجَّةٌ على الخَلقِ طُرّاً من مُطيعٍ ومُذْنبِ
بــذاك أديــنُ اللهَ سِــرّاً وجَـهْرَةً ولستُ وإنْ عُوتِبتُ فيه بِمُعْتِبِ[٢]

وحكى السيّد في هذه الأبيات عمّا يختلج في ضميره من ذنب اقترفه وترك في نفسه وخزاً أقضّ مضجعه، وأكبر الظنّ أنّ ذلك الذنب هو ما كان يعتقده من إمامة ابن الحنفيّة، وأنّه كان من أكبر دعاته، فلمّا تبيّن له الحقّ عدل عنه، وقال بإمامة الإمام الصادق عليه السلام، وقد صرّح بذلك في مقطوعة له قال فيها:

تَــجعفَرتُ بــاسمِ اللهِ واللهُ أكـبَرُ وأيــقَنتُ أنَّ اللهَ يَــعفو ويَـغفِرُ
ودِنتُ بـدينٍ غـيرَ مـا كُـنتُ دائـناً بـهِ ونَـهاني سـيِّدُ النّاسِ جَـعفرُ
فَـقلتُ فَـهَبني قَـدْ تَـهوَّدتُ بُـرهَةً وإلّا فَــديني ديــنُ مَــنْ يَـتنصَّرُ
وإنّي إلى الرَّحـمنِ مِـنْ ذاكَ تـائِبٌ وَإنّــيَ قــد أسـلَمتُ واللهُ أَكـبرُ
فـلَستُ بـغالٍ مـا حَـييتُ وراجـعٌ إلىٰ ما علَيهِ كُنتُ أُخـفي وأُضـمِرُ

وأكّد هذا المعنى في مقطوعة أُخرى من نظمه، قال:

تَركتُ ابنَ خَولةَ[٣] لا عَنْ قِلىً وإنّــي لَكَــالْكَلِفِ الوامِـقِ[٤]

---

(١) **مطنباً**: مكثراً من القول.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤: ٢٤٦.

(٣) **ابن خولة**: هو السيد محمّد بن الحنفيّة ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) **الْكَلِف**: أي يتكلّف التودّد. **الوامق**: المحبّ المتودّد.

وإنّـي لهُ حـافظٌ فـي المغيبِ ... أُديـنُ بـما دانَ فـي الصّـادقِ
هـوَ الحَـبرُ حَـبرُ بَـني هـاشمٍ ... ونـــورٌ مـــن المَـلِكِ الرّازقِ
بِـهِ يُـنعِشُ اللهُ جَـمعَ العِـبادِ ... ويُـجري البـلاغَةَ فـي النّـاطقِ
أَتـــانيَ بـــرهانُهُ مُـــعْلَناً ... فَـدِنْتُ ولَـمْ أكُ كـالمائِقِ(١)
كَـمَنْ صَـدَّ بـعدَ بَـيانِ الهُـدىٰ ... إلىٰ حَـبْتَرٍ(٢) وأَبـي حـامِقِ(٣)

ودلّ هذا الشعر على مدى إكبار السيّد الحميري للإمام الصادق عليه السلام وتعظيمه له، واعتقاده بإمامته، وأنّه حجّة الله على خلقه.

١٢ ـ العوني

وحكى الشاعر الملهم العوني(٤) في هذه المقطوعة الرائعة مدى ما يكـنّه فـي أعماق نفسه من ولاء صادق، وحبّ عارم للإمام عليه السلام، قال:

عُـجْ بـالمَطِيِّ عـلىٰ بَقيعِ الغَـرقَدِ ... واقـرَا التَّـحيّةَ جَـعفرَ بـنَ مُـحَمَّدِ
وَقُـلْ ابـنَ بـنتِ مُحَمَّدٍ ووصيَّهُ ... يـا نـورَ كـلِّ هِـدايَةٍ لَـمْ تـجحَدِ
يـا صـادِقاً شَـهِدَ الإلـهُ بـصِدقِهِ ... فكفىٰ شهادةَ ذي الجَـلالِ الأَمْـجَدِ
يا ابنَ الهُدىٰ وَأبا الهُدىٰ أَنْتَ الهُدىٰ ... يـا نـورَ حـاضِرِ سِـرِّ كُـلِّ مُـوَحِّدِ

---

(١) **المائق**: الأحمق.

(٢) **حبتر**: الثعلب. يبدو أنّه أشار إلى حبتر وأبي حامق أنّهما من مناوئي الإمام عليّ عليه السلام، فكنّى ولم يصرّح.

(٣) ديوان السيّد الحميري: ١٢٢.

(٤) **العوني** ـ بفتح العين وسكون الواو ـ: نسبة إلى عون. قيل: إنّ عمر بن عبدالعزيز أمر به فضرب بالمدينة لأجل شعره في آل البيت فمات، جاء ذلك في اللباب في تهذيب الأنساب: ٢: ١٥٨.

يـا ابـنَ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ أَنْتَ الَّذي / أَوْضَـحتَ قَـصدَ وَلاءِ آلِ مُـحَمَّدِ
يـا سادِسَ الأنوارِ يـا عَـلَمَ الْهُدىٰ / ضَـلَّ امرُؤٌ بـوَلائِكُمْ لم يَـهتَدِ (١)

وليس في هذا الشعر البليغ كلمة يمجّها الطبع ، وإنّما كانت جميع ألفاظه سهلة وعذبة ، وهي منسجمة تمام الانسجام مع عواطف العوني المترعة بالولاء للإمام عليه‌السلام.

١٣ ـ صالح الجعفري

وتحت عنوان الإمام الصادق عليه‌السلام المعلّم الأوّل. قال صالح الجعفري :

أيَـدري بُـناةُ الْـمَجدِ إذْ يَـرْفَعونَهُ / بِـأَنَّكَ كُـنتَ البـانيَ المُـتَقدِّما
تُـؤَدّي عـلىٰ مَـرِّ الْـعُصورِ رِسـالَةً / أَعَـزَّ عَـلى هـذي الحَـياةِ وأَكـرَما
فَـهَلْ كـانَ مِـنْكَ النِّـيرانِ تَـعلَّما / هدايَةَ هذا الخَلْقِ أَمْ كُنتَ مِنهُما (٢)

١٤ ـ الحسن بن محمّد

ويقول الشاعر الملهم الحسن بن محمّد المتجعفر في رائعته التي يـخاطب بـها سليل النبوّة الإمام الصادق عليه‌السلام :

فَـأَنْتَ السـلالَةُ مِـنْ هـاشِمٍ / وَأنتَ المـهذَّبُ والأَطـهَرُ
ومَـنْ جـدُّهُ فـي العُـلا شـامِخٌ / ومَـنْ فَـخْرُهُ الأَعْـظَمُ الأَفْـخَرُ
ومَـنْ أَهـلُهُ خَـيرُ هـذا الوَرى / وَمَـنْ لهُـمُ البَـيتُ والمِـنبَرُ
ومَـنْ لَـهُمْ زمـزَمٌ وَالصَّـفا / ومَـنْ لهُـمُ الرُّكـنُ وَالمَشـعَرُ

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٢٧٨.
(٢) أشعة من بلاغة الإمام الصادق عليه‌السلام : ١٨ ، الحلقة الثانية.

ومَنْ شَرَعوا الدينَ في العالَمينَ فأَنوارُهُم أَبَداً تَزهَرُ
وَمَنْ لَهُمُ الحَوضُ يَوْمَ المَقامِ وَمَنْ لهُمُ النَّشرُ وَالمَحْشَرُ
وَأنتُمْ كُنوزٌ لأَشْياعِكُمْ وَإنَّكُمُ الصَّفْوُ وَالْجَوْهَرُ
وَإنَّكُمُ الْغُرَرُ الطّاهِرونَ وَإنَّكُمُ الذَّهَبُ الأَحْمَرُ
وَسَيِّدُ أَيّامِنا جَعفَرٌ وحَسبُكَ مِنْ سَيِّدٍ جَعْفَرُ[1]

١٥ ـ الإربلي

قال عليّ بن عيسى الإربلي:

مَناقبُ الصّادقِ مَشهورةٌ يَنقلُها عَنْ صادقٍ صادِقُ
سَما إلىٰ نَيلِ العُلىٰ وادِعاً وكَلَّ عن إدراكِهِ اللّاحِقُ
جَرى إلى المَجدِ كآبائِهِ كَما جَرىٰ في الحَلَبَةِ السّابِقُ
وفاقَ أهلَ الأرضِ في عصرِهِ وهوَ علىٰ حالاتِهِ فائِقُ
سَماؤُهُ بالجودِ هَطّالَةٌ وسَيبُهُ هامي الحَيا دافِقُ
وَكُلُّ ذي فَضلٍ بأَفضالِهِ وفَضلُهُ مُعتَرَفٌ ناطِقُ
لَهُ مكانٌ في العُلىٰ شامخٌ وطَودُ مَجدٍ صاعِدٌ شاهِقُ
مِنْ دوحَةِ الْعِزِّ الَّتي فَرعُها سامٍ علىٰ أَوجِ السُّها سامِقُ[2]

وحفلت هذه الأبيات الرائعة بالولاء الصادق، والحبّ العميق للإمام عليه السلام.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ٢٣٤.

(٢) **السامق**: العالي. كشف الغمّة: ٢: ٢١٠.

١٦ ـ مؤيّد الدين

أمّا داعي الدعاة المؤيّد في الدين ، فهو من ألمع الشخصيّات الإسماعيليّة ، وهو شاعر موهوب ، وكان يدين بإمامة الإمام الصادق عليه السلام ، وقد عرض في كثير من شعره إلى بعض مناحي شخصيّة الإمام ، فاسمعوه ما يقول في علمه :

بُرهانُ علمِكَ فوقَ بُرهانُ العَصا ... فـي كُـلِّ حـينٍ غـالِبٌ لمسَـحَرِ

ومـفجرٌ مـاءِ الحـياةِ ولَـمْ يَكُـنْ ... مِـنْ وَقـعِها الحَـيوانُ بِـالمُتَفَجِّرِ

وقال يشير إلى ما يبثّه الإمام من الهداية للناس :

يَسْتَخْلِصُ الأرواحَ مِنْ ظَـلامِها ... ويُـخرجُ الثِّـمارَ مِـنْ أَكْـمامِها

ويقول في سموّ مكانة الإمام :

أَنْتَ الَّذي يَـعْنو الزَّمـانُ لِـبأسه ... صِـغَراً فـتُلبسه لباس مُسَـخَّرِ

فَـتَجذُّ دابِـرَ كُـلِّ غِـرٍّ كـاشِحٍ ... بِمُهَنَّدٍ ماضي الغِرارِ وَأَسْـمَرِ(١)

ونعود بعد هذه الجولة مع الشعراء إلى ما قاله الحفّاظ والمؤلّفون من آيات الثناء والإكبار للإمام عليه السلام :

١٧ ـ أبو حاتم الرازي

وأبو حاتم الرازي هو محمّد بن إدريس ، يقال له حافظ المشرق ، وكان من أوعية العلم ، وهو في عِداد البخاري وأبي زرعة الرازي(٢) ، وقد أدلى بكلمة قيّمة في حقّ

(١) ديوان المؤيّد في الدين : ٢٢٢.

(٢) الكنى والألقاب : ١ : ٤٤.

الإمام الصادق عليه‌السلام ، قال : « جعفر بن محمّد ثقة لا يسأل عن مثله »[١].

لقد كان الإمام عليه‌السلام من أوثق رواة الإسلام ، ومن أصدقهم في الحديث ، فإنّه نبعة من رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ، وقد لقّب بالصادق لتحرّجه وكثرة احتياطه فيما يرويه ، وهو لا يخضع لعوامل الجرح والتعديل التي يخضع لها باقي الرواة .

١٨ ـ ابن حِبّان

قال ابن حبّان : « وجعفر بن محمّد كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً »[٢].

لقد كان الإمام الصادق عليه‌السلام في علومه وفضائله سيّد أهل البيت عليهم‌السلام الذين هم من خيرة خلق الله في مصداقيّتهم المتميّزة بجميع الفضائل والنزعات الخيّرة .

١٩ ـ الجاحظ

أمّا الجاحظ ، فهو من أعلام الأدب والبيان ، ومن أقطاب الثقافة في العالم العربي ، وكان لا يدين بإمامة الإمام الصادق عليه‌السلام ، إلّا أنّه صرّح بالحقيقة التي لا مجال للشكّ فيها ، فقد قال : « جعفر بن محمّد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه ، ويقال : إنّ أبا حنيفة من تلامذته ، وكذلك سفيان الثوري ، وحسبك بهما في هذا الباب »[٣].

وألقت هذه الكلمة الأضواء على مدى ما يملكه الإمام من طاقات هائلة من العلوم والمعارف بحيث ملأت الدنيا ، وهذا يكشف عن أصالة ما تذهب إليه الشيعة ، من أنّ الإمام أعلم أهل عصره ، وأنّه ليس أحد يدانيه في فضله وعلمه .

---

(١) تهذيب التهذيب : ٢ : ١٠٤ .

(٢) تهذيب التهذيب : ٢ : ١٠٤ . ضياء العالمين : ٢ (مخطوط) .

(٣) رسائل الجاحظ / السندوبي : ١٠٦ .

٢٠ ـ محمّد بن طلحة

وأدلى كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي بكلمة قيّمة عن شخصيّة الإمام العظيم قال فيها : « جعفر بن محمّد هو من علماء أهل البيت ، وساداتهم ، ذو علوم جمّة ، وعبادة موفورة ، وأوراد متواصلة ، وزهادة بيّنة ، وتلاوة كثيرة ، يتتبّع معاني القرآن ، ويستخرج من بحره جواهره ، ويستنتج عجائبه ، ويقسّم أوقاته على أنواع الطاعات ، بحيث يحاسب عليها نفسه ، رؤيته تذكّر بالآخرة ، واستماع كلامه يزهّد في الدنيا ، والاقتداء بهديه يورث الجنّة ، نور قسماته شاهد أنّه من سلالة النبوّة ، وطهارة أفعاله تصدع أنّه من ذرّيّة الرسالة ، نقل عنه الحديث ، واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأمّة وأعلامهم ، مثل يحيى بن سعيد الأنصاري ، وابن جريج ، ومالك بن أنس ، والثوري ، وابن عيينة ، وأيّوب السجستاني وغيرهم ، وعدّوا أخذهم منه منقبة شرّفوا بها ، وفضيلة اكتسبوها »(١) .

وحكت هذه الكلمات القيّمة بعض الجوانب المشرقة من حياة الإمام العظيم ، والتي كان منها :

أوّلاً : إحاطة الإمام التامّة ، ودرايته الشاملة بجميع أنواع المعارف والعلوم .

ثانياً : إنّ الإمام كان على جانب كبير من العبادة ، فلم يترك نافلة من النوافل ، ولا ورداً من الأوراد إلّا أتى به .

ثالثاً : إنّ الإمام كان من أزهد الناس في الدنيا ، ومن أكثرهم إعراضاً عن مباهجها وزينتها .

رابعاً : إنّه كان يتلو القرآن العظيم بإمعان وتدبّر ، ويستخرج ما فيه من كنوز وأسرار ، ويذيعها بين الناس .

---

(١) مطالب السؤول : ٢ : ٥٥ .

خامساً: إنّه كان شديد الحرص على أوقاته، فلم ينفق لحظة من عمره إلّا فيما يرضي الله تعالى.

سادساً: إنّ رؤية الإمام عليه السلام تذكّر بالدار الآخرة؛ لأنّها تحكي رؤية آبائه الذين وهبوا حياتهم لله، كما أنّ سماع كلام الإمام ممّا يدعو إلى الزهد في الدنيا، والاقتداء بهديه، والأخذ بسلوكه ممّا يوجب الفوز بالجنة.

سابعاً: إنّ كوكبة من أعلام الإسلام قد تتلمذوا عند الإمام، وقد اعتزّوا بذلك، واعتبروه منقبة وشرفاً لهم.

٢١ ـ الهيثمي

وأحمد بن حجر من كبار علماء المسلمين، وكان لا يدين بإمامة الإمام عليه السلام، وقد أدلى بهذه الكلمة في حقّه قال: «جعفر الصادق نقل النّاس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان، وروى عنه الأئمّة الأكابر كيحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك، والسفيانان، وأبو حنيفة، وشعبة، وأيّوب السجستاني»(١).

وعرض ابن حجر إلى ما نشره الإمام بين المسلمين من العلوم والمعارف، كما عرض إلى ما استفاده أئمّة المسلمين ومشاهير العلماء والفقهاء من علومه وفقهه.

٢٢ ـ الشهرستاني

وبالرغم ممّا عرف به محمّد بن عبدالكريم الشهرستاني من عدم الميل إلى أئمّة أهل البيت عليهم السلام، إلّا أنّه أعلن عن إكباره وإعجابه بشخصيّة الإمام الصادق عليه السلام، قال: «جعفر بن محمّد الصادق هو ذو علم غزير، وأدب كامل في الحكمة، وزهد في

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٢٠.

الدنيا ، وورع تامّ عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدّة يفيد الشيعة المنتمين إليه ، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ، ثمّ دخل العراق وأقام به مدّة ما تعرّض للإمامة قطّ ، ولا نازع في الخلافة أحداً ، ومن غرق في بحر المعرفة لم يقع في شطّ ، ومن تعلّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حطّ »(١) .

وعرض الشهرستاني إلى ما يملكه الإمام من طاقات هائلة من العلوم ، وإلى ما اشتهر من الزهد والورع والتقوى ، وإلى ما أفاضه على شيعته من أسرار الحكمة والعلوم ، وإلى زهده في الخلافة التي ما كان الإمام يبغيها إلّا لأنّها وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعيّة بين الناس ، ولمّا تناهبها الأمويّون والعبّاسيّون ، أعرض عنها ، وزهد فيها ، واتّجه صوب العلم ، فرفع مناره ، وأقام قواعده بين الناس .

٢٣ ـ ابن الصبّاغ

وهام العلّامة ابن الصبّاغ المالكي بالإمام الصادق عليه السلام ، فقال : « كان الإمام جعفر من بين إخوته خليفة أبيه ، ووصيّه ، والقائم بالإمامة من بعده ، وبرز على جماعة في الفضل ، وكان أنبههم ذِكراً ، وأجلّهم قدراً ، نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان ، وانتشر صيته وذِكرُه في سائر البلدان ، ولم ينقل العلماء عن أحدٍ من أهل بيته ما نُقل عنه في الحديث »(٢) .

ومعنى هذا الكلام أنّ الإمام عليه السلام قد فاق جميع إخوانه ، وتميّز عليهم بخلافته عن أبيه باقر علوم الأوّلين والآخرين ، فقد نصّ على إمامته من بعده ، بالإضافة إلى مركزه العلمي ، فقد كان عملاق هذه الأمّة في مواهبه وعبقريّاته .

---

(١) الملل والنحل : ١ : ١٤٧ .

(٢) كشف الغمّة : ٢١١ .

٢٤ ـ أبو نعيم

وترجم الحافظ أبو نعيم للإمام ترجمة وافية ، عرض فيها لبعض شؤونه وأحواله ، وكان ممّا قاله في حقّه : « جعفر بن محمّد الإمام الناطق ، ذو الزمام السابق ، أبو عبدالله جعفر بن محمّد الصادق ، أقبل على العبادة والخضوع ، وآثر العزلة والخشوع ، ونهى عن الرئاسة والجموع »(١).

وعرض أبو نعيم إلى صفة من صفات الإمام ، وهي الزهد في الدنيا ، والإعراض عن مباهج الحياة ، والإقبال على العبادة .

٢٥ ـ محمّد بن حمزة

وأعرب محمّد بن حمزة نقيب حلب عن إعجابه بشخصيّة الإمام عليه‌السلام ، قال : « أبو عبدالله الإمام المعظّم جعفر الصادق ، صاحب الخارقات الظاهرة ، والآيات الباهرة ، المخبر بالمغيّبات الكائنة »(٢).

وأشار السيّد النقيب إلى بعض الخوارق للعادات له ، على ما أجمع عليه المؤرّخون ، كما أنّه أخبر عن كثير من الأحداث أنّها ستقع على مسرح الحياة ، وفعلاً قد وقعت كما أخبر عليه‌السلام ، وقد كان منها أنّه أخبر عن فشل الثورة التي قادها الزعيم الكبير ذو النفس الزكيّة وأخوه ، وأنّ الخلافة ستكون إلى المنصور الدوانيقي ، وتحقّق ذلك .

٢٦ ـ اليافعي

وأعرب اليافعي في ترجمته للإمام عليه‌السلام عن إعجابه البالغ بشخصيّته ، قال :

---

(١) حلية الأولياء : ٣ : ١٩٢.

(٢) غاية الاختصار : ٦٢.

« سلالة النبوّة ، ومعدن الفتوّة ، أبو عبدالله جعفر الصادق ابن أبي جعفر محمّد الباقر ابن زين العابدين عليّ بن الحسين الهاشمي العلوي ، فهو علويّ الأب ، بكريّ الأُمّ ، ولد سنة ثمانين في المدينة ، وفيها توفّي ، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمّد الباقر ، وجدّه زين العابدين ، وعم جدّه الحسن بن عليّ عليهما السلام أكرم بذلك ، وما جمع من الأشراف الكرام ، أُولي المناقب ، وإنّما لُقّب بالصادق لصدقه في مقالته ، وله كلام نفيس في علوم التوحيد وغيرها ، وقد ألّف تلميذه جابر بن حيّان الصوفي كتاباً يشتمل على ألف ورقة يتضمّن رسائله ، وهي خمسمائة رسالة »(١) .

لقد التقت بالإمام جميع عناصر الشرف والمجد ، وبالإضافة لذلك فقد كان عملاق هذه الأُمّة ، ورائد نهضتها العلميّة والفكريّة ، فقد فتح لها أبواباً من العلم لم تكن معروفة من قبل .

٢٧ ـ محمود الخالدي

وكتب الدكتور محمود الخالدي بشرف وأمانة عن الإمام الصادق عليه السلام ، قال : «كان الإمام الصادق من بين إخوته خليفة أبيه الباقر حقّاً ، فقد برز على جماعتهم بالفضل ، وكان أنبههم ذكراً ، وأجلّهم في العامّة والخاصّة ، وبلغ عدد الرواة الثقات من أصحابه أربعة آلاف رجل ، ولسنا نستغرب هذا ، بل قد كان ممكناً أن نستغرب عكسه لو وقع ونُقل ؛ لأنّ النزاع حول الإمامة والعصمة كان قد بلغ في عصر الصادق أشدّه ، فلم يكن بُدّ للشيعة من تتبّع الروايات التي تثبت صحّة عقيدتهم في تلك الشؤون ، وأهل البيت فوق ذلك أعلم الناس بكتاب الله وسنّة نبيّه ، فلا عجب إذا اتّجهوا إلى التعليم والمناظرة والتدريس ، ولا سيّما بعد أن حاول الخلفاء الأمويّون إبعادهم عن الحكم والسياسة »(٢) .

---

(١) مرآة الجنان : ١ : ٢٣٨ .

(٢) الأصول الفكريّة للثقافة الإسلاميّة : ١ : ٣٠ .

وللدكتور الخالدي بحث شيّق ، وتحقيق رائع عن علوم الإمام الصادق عليه السلام ومنهجه في التشريع ، سوف نعرض له في البحوث الآتية .

٢٨ ـ السيّد الهندي

والسيّد مير عليّ الهندي من المحقّقين والمبدعين في بحوثه الإسلاميّة والتاريخيّة ، وقد كتب كلمة قيّمة عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيها : « ولا مشاحّة أنّ انتشار العلم في ذلك الحين قد ساعد على فكّ الفكر من عقاله ، فأصبحت المناقشات الفلسفيّة عامّة في كلّ حاضرة من حواضر العالم الإسلامي ، ولا يفوتنا أن نشير إلى أنّ الذي تزعّم تلك الحركة هو حفيد عليّ بن أبي طالب المسمّى بالإمام جعفر ، والملقّب بالصادق ، وهو رجل رحب أُفق التفكير ، بعيد أغوار العقل ، ملمّ كلّ الإلمام بعلوم عصره ، ويعتبر في الواقع أنّه أوّل من أسّس المدارس الفلسفيّه المشهورة في الإسلام ، ولم يكن يحضر حلقته العلميّة أُولئك الذين أصبحوا مؤسّسي المذاهب الفقهيّة فحسب ، بل كان يحضرها طلاب الفلسفة من الأنحاء القاصية »[١] .

إنّ الطاقات العلميّة الهائلة التي فجّرها الإمام الصادق عليه السلام هي التي فكّت الفكر الإنساني من عقاله ، ودفعت الحياة العلميّة قُدماً لا في دنيا الإسلام وحده ، وإنّما في العالم بأسره . ومن المؤكّد أنّ الحضارة الحديثة ما كانت تقوم لولا ما أسّسه الإمام وتلاميذه العظام من أُسس علميّة في مختلف أنحاء العلوم .

٢٩ ـ أحمد أمين

وأحمد أمين معروف بانحرافه عن أهل البيت عليهم السلام ، وحقده على شيعتهم ، إلّا أنّه اعترف بسموّ مكانة الإمام الصادق عليه السلام زعيم الشيعة ، والمؤسّس الأوّل لفقههم ،

---

(١) تاريخ العرب : ١٧٩ .

قال : « وأكبر شخصيّات ذلك العصر في التشريع الشيعي ، بل ربّما كان أكبر الشخصيّات في ذلك العصر ، بل العصور المختلفة ، الإمام جعفر الصادق ، وعلى الجملة فقد كان الإمام جعفر من أعظم الشخصيّات في عصره وبعد عصره »(١).

ولم يكن الإمام أكبر الشخصيّات في التشريع الشيعي ، وإنّما كان من أعظم أئمّة التشريع الإسلامي ، فقد انتهل من نميره كبار الفقهاء والعلماء ، وتعدّ مدرسته الفقهيّة المصدر الرئيس لتخرّج الفقهاء منها .

٣٠ـ بطرس البستاني

وتحدّث البحّاثة بطرس البستاني عن شخصيّة الإمام العظيم ، فقال : « جعفر الصادق هو ابن محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، أحد الأئمّة الإثنى عشر على مذهب الإماميّة ، وكان من سادات أهل البيت ، ولُقّب بالصادق لصدقه في مقالته ، وفضله عظيم ، وله مقالات في صناعة الكيمياء والزجر والفأل ، وكان تلميذه جابر بن حيّان قد ألّف كتاباً يشتمل على ألف ورقة يتضمّن رسائل جعفر ، وهي خمسمائة رسالة ، وإليه ينسب كتاب الجفر .. وكان جعفر أديباً ، تقيّاً ، ديّناً ، حكيماً في سيرته »(٢).

وهذه الكلمات التي أدلى بها المسيحي بطرس قد حفلت بالثناء على الإمام عليه السلام الذي هو ملء فم الدنيا في مواهبه وعبقريّاته .

٣١ـ محمّد فريد وجدي

وأوجز محمّد فريد وجدي البحث عن سيرة الإمام مفخرة الإسلام في حين أنّه

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة : ١ : ٦٢.

(٢) دائرة المعارف / البستاني : ٦ : ٤٧٨.

أطال البحث عن جعفر البرمكي، وعرض لسيرته وشؤونه بإسهاب، قال: «أبو عبدالله جعفر الصادق ابن محمّد الباقر ابن زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، هو أحد الأئمّة الإثني عشر على مذهب الإماميّة، كان من سادات أهل البيت النبويّ، لقّب بالصادق لصدقه في كلامه، كان من أفاضل الناس، له مقالات في صناعة الكيمياء والزجر والفأل، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيّان الصوفي الطرسوسي قد ألّف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمّن رسائل جعفر الصادق، وهي خمسمائة رسالة»(١).

٣٢ ـ أحمد عطيّة الله

قال أحمد عطيّة الله في ترجمة الإمام عليه السلام: «جعفر الصادق أحد الأئمّة الاثني عشر، من أحفاد عليّ بن أبي طالب، وهو ابن محمّد الباقر ابن زين العابدين، لقّب بالصادق لاشتهاره بالصدق والأمانة، كما اشتهر بصناعة الكيمياء.

قيل: إنّ جابر بن حيّان شيخ كيميائيّ العرب تتلمذ عليه، وأخذ منه أُصول هذا العلم الجديد»(٢).

٣٣ ـ الزركلي

وترجم خير الدين الزركلي هذه الترجمة للإمام، قال فيها: «جعفر بن محمّد الباقر ابن عليّ زين العابدين ابن الحسين السبط الهاشمي القرشي، أبو عبدالله، الملقّب بالصادق، سادس الأئمّة الإثني عشر عند الإماميّة، كان من أجلّاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم، أخذ عنه جماعة منهم الإمامان أبو حنيفة، ومالك.

---

(١) دائرة المعارف / وجدي: ٣: ١٠٩.

(٢) دائرة المعارف الحديثة: ١٢٤.

لقّب بالصادق لأنّه لم يعرف عنه الكذب قطّ ، له أخبار مع الخلفاء من بني العبّاس ، وكان جريئاً عليهم ، صدّاعاً بالحقّ . له رسائل مجموعة في كتاب ، وورد ذكرها في كشف الظنون »[١] .

وعرض الزركلي إلى مكانة الإمام العلميّة التي بلغت القمّة حتّى أخذ عنه العلم أبو حنيفة ، ومالك ، وكبار فقهاء المسلمين ، كما عرض الزركلي إلى مواقفه مع بعض ملوك بني العبّاس ، وقد تميّزت بقول الحقّ ، وإنكار الظلم والجور ، وسنعرض لذلك في بحوث هذا الكتاب .

٣٤ ـ السيّد عبّاس المكّي

وترجم السيّد عبّاس المكّي للإمام الصادق عليه السلام هذه الترجمة ، فقال : « الإمام الصادق أحد الأئمّة الإثني عشر ، كان من سادات أهل البيت ، ولقّب بالصادق لصدقه في مقالته ، وفضله أشهر من نار على علم ، كيف لا وهو ابن سيّد الأمم ، وله كلام في صنعة الكيمياء والجفر ، والفأل ، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيّان الصوفي الطرسوسي قد ألّف كتاباً يشتمل على ألف ورقة يتضمّن رسائل الإمام الصادق وهي خمسمائة رسالة »[٢] .

٣٥ ـ عمر رضا كحّالة

قال عمر رضا كحّالة في الإمام الصادق عليه السلام : « جعفر بن محمّد الباقر ابن زين العابدين ابن الحسين السبط ، الهاشمي ، القرشي ، الملقّب بالصادق ، أبو عبدالله سادس الأئمّة الإثني عشر عند الإماميّة ، أخذ عنه جماعة منهم الإمامان أبو حنيفة

---

(١) الأعلام : ٢ : ١٢١ .

(٢) نزهة المجالس : ٢ : ٥٦ .

ومالك . له رسائل مجموعة في كتاب »[١] .

٣٦ ـ مصطفى غالب

ومصطفى غالب إسماعيلي المذهب ، وهو ممّن يدين بالولاء للإمام الصادق عليه‌السلام ويقول بإمامته ، وقال عنه : «كان الإمام جعفر الصادق من أعظم الشخصيات الإسلاميّة في عصره وبعد عصره ، وبالرغم من أنّ شخصيّته العلميّة لا تزال غامضة أشدّ الغموض تحتاج إلى من يكشف كنهها ، لا لأهمّيتها في تاريخ الفكر الإسلامي فحسب ، بل لأنّ تاريخ العلوم والمعارف يتطلّب منّا أن نكشف القناع عن حقيقة أعظم شخصيّة علميّة أوجدت مدرسة خاصّة في الإسلام كان لها تأثير متباين في التيّارات الفكريّة والإسلاميّة المختلفة ، وقد تخرج من تلك المدرسة فِرق عديدة من (المعتزلة ، والصوفيّة ، والحركات الباطنيّة) ، هذا عدا عن مناهج العلوم الكونيّة المستمدّة في توجيهها من الروح الإسلاميّة ، والفلسفة اليونانيّة » .

وأضاف يقول : « وإذا ما افتخرت المدنيّة الغربيّة بالثقافة الإنسانيّة للأوائل ، فليس علينا إلّا أن نفتخر بالنزعة الإنسانيّة التي أوجدها التيّار الإسلامي ، وضع اُسسه الإمام جعفر الصادق ، وصاحب لواء انبعث من الأعماق لأجله ، بل الصراحة المدوّية لإيقاظ رسالة الإنسان الكاملة في معانيها الرفيعة ، ومطاليبها السامية ، ولقد جعل الإنسان محور القيم ، ومفسّر معالم الكون من الوجهة الإنسانيّة »[٢] .

والحقّ أنّ الإمام عليه‌السلام أسمى شخصيّة عرفتها الإنسانيّة في جميع أدوارها؛ وذلك لما أفاضه على البشريّة من المعارف والعلوم التي لم تكن معروفة من قبل ، وليست شخصيّته غامضة ـ كما يقول السيّد مصطفى ـ وإنّما هي واضحة ومكشوفة ،

---

(١) معجم المؤلّفين : ٣ : ١٤٥ .

(٢) تاريخ الدعوة الإسماعيليّة : ١٣٤ .

فإنّها نفحة من نفحات الرسول ﷺ ، ولطف من ألطاف الله على هذه الأمّة ، فقد خصّه الله بالإمامة والقيادة الروحيّة لهذه الأمّة ، ووهبه من العلوم كما وهب آباءه من قبل .

ومن الحقّ ـ كما يقول السيّد مصطفى ـ أن يفخر المسلمون بالإمام الصادق عليه السلام مفجّر الحكمة والنور في دنيا الإسلام ، وموقظ الضمير الإنساني ، ومحرّر الفكر من سبات الجهل والتأخّر .

٣٧ـ عارف تامر

والسيّد عارف تامر من دعاة الإسماعيليّة ، ومن الذاهبين إلى إمامة الإمام الصادق عليه السلام ، وقد كتب عنه ما يلي : « عندما يتفرّغ الباحث لدراسة شخصيّة الإمام الصادق عليه السلام المصدّق جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام دراسة صحيحة على ضوء الضمير النقي ، والواقع العقلي ، والتجرّد العلمي ، متّبعاً الأصول الحديثة لدراسة حياة العظماء ، مبتعداً عن العاطفة ومرض التعصّب ، وأثر العنصريّة والجنسيّة ، فلا يستطيع إلّا الاعتراف بأنّها مجموعة فلسفيّة قائمة بذاتها ، تزخر بالحيويّة التنكّريّة النابضة ، وبالروحيّة المتجسّدة الوضّاءة ، وبالعقليّة المبدعة الخلّاقة التي استنبطت العلوم ، وأبدعت الأفكار ، وابتكرت السنن والقوانين ، وأوجدت النظم والأحكام .

شخصيّة الإمام الصادق المصدّق جعفر بن محمّد عليه السلام ليست باعتقادي شخصيّة بسيطة عاديّة تسهل دراستها ، والنفاذ إلى كنهها ، ومعرفة تفكيرها ودخائلها ، والوقوف على مجمل أعمالها وواقعها ، بل هي شخصيّة خارقة متفوّقة ، ذات مستوى رفيع ، هامت بجلائل الأعمال والمكرمات ، وارتقت من المستوى المحدود للبشريّة جمعاء ، لتسمو ببصيرتها إلى عالم ما وراء الطبيعة ، المحجوب عن أبصارنا ، محلّقة في أرجائه الفسيحة البعيدة المدى ، ما طاب لها التحليق ، ثمّ تعود أخيراً

لتستقرّ في ظلال المثاليّة السامية والكمال المطلق.

شخصيّة الإمام الصادق المصدّق جعفر بن محمّد، وأعتقد أنّها تسمو بعظمتها ومثاليّتها عن وصف الواصفين، ونعت الناعتين، وأقوال القائلين، فالقول عن الإمام الصادق أنّه كان إمام مذهب أو فقيهاً أو راوية للحديث أو متشرّعاً أو غير ذلك من الألقاب العاديّة التي لا أراها تعطي الدليل القاطع والبرهان الأكيد الدامغ على شخصيّته، وما كانت تتمتّع به من مزايا حميدة عالية، وأخلاق فاضلة نبيلة، وعقل محرّر، وحكمة وأدب وحنكة، واطّلاع على الثقافات والديانات كافّة»(١).

إنّ الإمام الصادق عليه السلام هو العقل المبدع، والدماغ المفكّر في الإنسانيّة، وهو ملء فم الدنيا في فضائله وعبقريّاته ومواهبه، وأنّ الدراسات الحديثة ستكشف عن كنوز من العلم والحكمة عند هذا العملاق العظيم.

٣٨ـ محمود بن وهيب

قال الشيخ محمود بن وهيب البغدادي في ترجمته للإمام عليه السلام: «جعفر الصادق ابن محمّد الباقر ابن عليّ زين العابدين ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. كنيته أبو عبدالله، وقيل: أبو إسماعيل، وألقابه: الصادق والفاضل والطاهر، وأشهرها الأوّل، نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان، وروى عنه الأئمّة الكبار، كيحيى ومالك وأبي حنيفة»(٢).

وألمح الشيخ محمود إلى الشهرة العلميّة للإمام عليه السلام، والتي طبقت العالم بأسره، فقد آمن الجميع أنّ الإمام هو الرائد الأوّل للحركات العلميّة في جميع العصور والأزمان.

---

(١) أخبار القرامطة: ٤٨ و ٤٩. تقديم الجعفريّات: ٩ و ١٠.

(٢) جوهرة الكلام: ١٣.

٣٩ـ الشبراوي

وترجم الشيخ عبدالله الشبراوي للإمام عليه السلام، قال: «جعفر الصادق ذو المناقب الكثيرة، والفضائل الشهيرة. روى عنه الحديث أئمّة كثيرون، مثل: مالك بن أنس، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد، وابن جريج، والثوري، وابن عيينة، وشعبة وغيرهم.

ولد سنة ثمانيه من الهجرة بالمدينة المنوّرة، وغرر فضائله وشرفه على جبهات الأيّام كاملة، وأندية المجد والعزّ بمفاخره ومآثره آهلة»(١).

وعرض الشبراوي إلى الناحية العلميّة من شخصيّة الإمام عليه السلام، وما استفاده أئمّة المسلمين وفقهاؤهم من علومه التي ورثها من آبائه العظام.

٤٠ـ الذهبي

والذهبي معروف بانحرافه عن أهل البيت عليهم السلام وحقده عليهم، إلّا أنّه أعلن عن سموّ مكانة الإمام العلميّة، قال: «جعفر بن محمّد بن عليّ ابن الشهيد الإمام أبو عبدالله العلويّ المدني الصادق، أحد السادة الأعلام. روى عنه مالك والسفيانان، وحاتم بن أبي إسماعيل، ويحيى القطّان، وأبو عاصم النبيل، وخلق كثير»(٢).

٤١ـ ابن أبي حاتم

ترجم ابن أبي حاتم للإمام الصادق عليه السلام ما يلي: «جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، أبو عبدالله. روى عن أبيه، والقاسم، ونافع، والزهري، ومحمّد بن المنكدر ومسلم بن أبي مريم، روى عنه يحيى بن سعيد

---

(١) الإتحاف بحبّ الأشراف: ٥٤.

(٢) تذكرة الحفّاظ: ١: ١٥٧.

الأنصاري، وابن جريج، والثوري، وشعبة، ومالك، وابن إسحاق، وسليمان بن بلال، وابن عيينة، وحاتم، وحفص.

سئل أبو زرعة عمّا يرويه جعفر بن محمّد عن أبيه، وسهيل بن صالح عن أبيه، والعلاء عن أبيه، أيّما أصحّ؟

قال: لا يقرن جعفر إلى هؤلاء، وعلّق ابن أبي حاتم على ذلك بقوله: يريد أنّ جعفر أرفع من هؤلاء في كلّ معنى»[١].

٤٢ ـ الخزرجي

قال أحمد بن عبدالله الخزرجي في ترجمته للإمام عليه السلام: «جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبدالله، الإمام الصادق المدني، أحد الأعلام. روى عن أبيه وجدّه أبي أُمّه: القاسم بن محمّد، وعروة. روى عنه خلق لا يحصون، منهم: ابنه موسى، والسفيانان، ومالك»[٢].

والشيء الذي يلفت النظر في هذه الكلمة هو أنّ من روى عن الإمام عليه السلام لا يحصون، ومعنى ذلك أنّهم كانوا أكثر من أربعة آلاف حسبما ذكره بعض المؤرّخين، وهو الأقرب إلى الصواب؛ لأنّ مركز الإمام الروحي، وعدم فرض الرقابة عليه في أواخر العهد الأموي وأوائل الحكم العبّاسي، ممّا أوجب التفاف الجماهير من مختلف أنحاء العالم الإسلامي حوله، وانتهالهم من نمير علمه.

٤٣ ـ أحمد محمود صبحي

وعرض الدكتور أحمد محمود صبحي إلى بروز شخصيّة الإمام الصادق عليه السلام،

---

(١) الجرح والتعديل: ١: ٤٨٧.

(٢) خلاصة تهذيب الكمال: ٥٤.

وتفسير الشيعة لذلك ، وإلى جدله مع الزنادقة ، وحواره مع عمرو بن عبيد في الإمامة ، وإلى ما أُثر عنه من النصوص في الإمامة وغير ذلك من البحوث المفيدة .

وقال في طليعة بحوثه : « ينسب المذهب الإثنى عشري إليه ـ أي إلى الإمام الصادق عليه السلام ـ ويحمل فقه الطائفة اسمه ، فهو أكثر أئمّة المذاهب آراءً في كلّ لون من ألوان المعرفة المعروفة آنذاك ، ولا تقف معرفته عند علوم الدين فحسب ، بل تجاوز ذلك إلى الكيمياء والطبّ وغير ذلك من العلوم التي تبدو بعيدة الصلة عن الإمامة الدينيّة .

ويثير تفوّق الإمام الصادق على سائر الأئمّة في العلم والدين تساؤلاً ؛ إذ أنّ العلم اللدني الشهودي الصادر عن الوحي والإلهام حسب عقيدة الشيعة في مصدر علم الأئمّة ، يقتضي أن لا تتفاوت درجتهم في العلم ، فالشيعة لا يفسّرون ما أحرزه الصادق من سبق على كثير من أسلافه ، بقصورهم عنه في العلم والفضل ، ولكن المكلّفين هم الذين أعرضوا عن أن ينهلوا من علوم الأئمّة ، فاحتجب نورهم عنهم ، فلم تسنح الفرص لواحد منهم ليظهر ما استودعه الرسول صلى الله عليه وآله إيّاه ، وليبلغ ما استحفظ عليه كما سنحت للصادق عليه السلام »[١] .

إنّ الشيعة ـ باعتزاز وفخر ـ تنسب إلى هذا الإمام العظيم المعلّم الأوّل لأئمّة المذاهب الإسلاميّة ، والمفجّر لينابيع العلم والحكمة في الأرض ، وقد أغنى الشيعة بما تركه لهم من ثروات فقهيّة هائلة ، عرضت بصورة شاملة لجميع ما يحتاجون إليه في عبادتهم ومعاملاتهم ، ولم يجعلهم يستجدون معرفة ، أي حكم من الأحكام التكليفيّة والوضعيّة من غيرهم ، فما أعظم عائدته ولطفه عليهم !

وتعدّت علوم الإمام الصادق عليه السلام أحكام الشريعة الإسلاميّة فشملت أسرار الكون ، وأشعة الكواكب وما فيها ، وجاذبيّة الأرض ، وسرّ الحياة والموت ،

---

(١) نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشريّة : ٣٦٢ .

وغير ذلك ، فالعلوم المدهشة التي دلّلت على أصالة ما تذهب إليه الشيعة في أئمّتهم من أنّهم ورثة علوم النبيّ ﷺ ، وسدنة معارفه .

ومن الجدير بالذكر أنّ الإمام الصادق عليه‌السلام لا يمتاز في علومه على بقيّة أئمّة أهل البيت ، فهم سلام الله عليهم على مستوى واحد في علومهم ، وكمالاتهم النفسيّة ، وإنّما لم يؤثر عنهم كما أُثر عنه من نشر العلوم وإذاعتها بين النّاس بسبب ما قام به أئمّة الظلم والجور من حكّام الأمويّين وإخوانهم العبّاسيّين من حجب الأئمّة عن النّاس ، وفرض الرقابة الشديدة عليهم ، وإنزال أقصى العقوبة بمن يتّصل بهم ، فلذلك قلّ ما أُثر عنهم من العلوم والمعارف .

٤٤ ـ السويدي

قال محمّد أمين السويدي في ترجمته للإمام عليه‌السلام : « جعفر الصادق كان من بين إخوته خليفة أبيه ، ووصيّه ، ونقل عنه من العلوم ما لم ينقل عن غيره ، وكان إماماً في الحديث ، مناقبه كثيرة »(١) .

لقد كان الإمام الصادق عليه‌السلام إماماً في الحديث ، ومرجعاً لأئمّة المذاهب ، فقد اقتبسوا من نمير علومه ، ورووا عنه ما يتعلّق بأحكام الشريعة وآداب الدين .

٤٥ ـ القرماني

وأفاد القرماني في ترجمته للإمام ما نصّه : « الإمام الصادق كان من بين إخوته خليفة أبيه ووصيّه ، نقل عنه من العلوم ما لم ينقل عن غيره ، كان رأساً في الحديث »(٢) .

---

(١) سبائك الذهب : ٧٢ .

(٢) أخبار الدول وآثار الأُول في التاريخ : ١١٢ .

لقد نقل العلماء عن الإمام عليه السلام من صنوف العلوم والمعارف ما لم ينقل عن أي إمام من أئمّة المسلمين ، وكان ذلك آية على ما تذهب إليه الشيعة الإماميّة من أنّ الإمام لا بدّ أن يكون أعلم أهل عصره لا في شؤون الشريعة الإسلاميّة فحسب ، وإنّما في جميع أنواع العلوم .

٤٦ - ابن خلّكان

وترجم شمس الدين أحمد بن محمّد المعروف بابن خلّكان للإمام عليه السلام هذه الترجمة الموجزة ، قال : « أبو عبدالله جعفر الصادق ابن محمّد الباقر ابن عليّ زين العابدين ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، أحد الأئمّة الإثني عشر على مذهب الإماميّة ، وكان من سادات أهل البيت ، ولقّب بالصادق لصدقه في مقالته ، وفضله أشهر من أن يُذكر »(١) .

٤٧ - الاربلي

أمّا أبو الفتح الإربلي الوزير نضّر الله مثواه ، فقد ترجم للإمام عليه السلام ترجمة وافية ، وذكر الكثير من شؤونه ، وجاء في بعض ما كتبه عنه : « مناقب الصادق فاضلة ، وصفاته في الشرف كاملة ، جرى على سنن آبائه الكرام ، وأخذ بهديهم عليهم السلام ، ووقف نفسه الشريفة على العبادة ، وحبسها على الطاعة والزهادة ، واشتغل بأوراده وتهجّده وصلاته وتعبّده لو طاوله الفلك لتزحزح عن مكانه »(٢) .

وعرض السيّد الوزير في هذه الكلمات إلى جانب مشرق من حياة الإمام عليه السلام ، وهو إقباله على العبادة ، فقد كان من أعبد أهل زمانه ، وقد عمل كلّ ما يقرّبه إلى الله زلفى .

---

(١) وفيات الأعيان : ١ : ٢٩١ .

(٢) كشف الغمّة : ٢ : ٢٠٩ .

٤٨ ـ سيّد الأهل

وألّف البحّاثة السيّد عبدالعزيز سيّد الأهل، كتاباً رائعاً في الإمام الصادق عليه السلام، ذكر فيه غرر أحواله، وجواهر حياته، فجزاه الله عن أهل البيت خيراً، وحشره في زمرتهم، وممّا قاله في الإمام: «جعفر بن محمّد كان إماماً مفخرة من مفاخر المسلمين، لم تذهب قطّ، وإنّما بقي منها في كلّ غدٍ قادمٍ حتّى القيامة صوت صارخ، يعلّم الزهّاد زهداً، ويكسب العلماء علماً، يهدّئ المضطرب، ويشجّع المقتحم، يهدِّم الظلم، ويبني العدالة، وهو ينادي بالمسلمين جميعاً أن هلمّوا واجتمعوا، وأنّ قوماً لم يختلفوا في ربّهم وفي كتابهم وفي نبيّهم لمجموعون مهما اختلفوا في يوم قريب»[١].

لقد كان الإمام عليه السلام قبساً من نور الرسالة الإسلاميّة، يلهم العلماء بعلمه، ويغذّي الزهّاد بزهده، ويهدي المضطرب سلوكه، ويبني معالم العدالة، ويهدم صروح الظلم بمواقفه ومناهضته لأئمّة الظلم والجور، وهو الحريص على الوحدة الإسلاميّة من التشتّت والانهيار. هذا هو الإمام الصادق مفخرة الإسلام كما يقول السيّد الأهل.

٤٩ ـ الشيخ أبو زهرة

وألّف العلّامة الشيخ محمّد أبو زهرة كتاباً قيّماً في الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه: «نشأ جعفر في مهد العلم ومعدنه، نشأ ببيت النبوّة الذي توارث علمها كابراً عن كابر، وعاش في مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، فتغذّى من ذلك الغرس الطاهر، وأشرق في قلبه نور الحكمة بما درس وبما تلقّى، وبما فحص ومحّص[٢].

وكان قوّة فكريّة في عصره، فلم يكتفِ بالدراسات الإسلاميّة وعلوم القرآن

(١) جعفر بن محمّد: ٦.

(٢) الإمام الصادق: ٣٧.

والسنّة والعقيدة ، بل اتّجه إلى دراسة الكون وأسراره ، ثمّ حلّق بعقله الجبّار في سماء الأفلاك ، ومدار الشمس والقمر والنجوم ، كما عنى عناية كبرى بدراسة النفس الإنسانيّة ، وإذا ذكر التاريخ أنّ سقراط قد أنزل الفلسفة من السماء إلى الإنسان ، فإنّ الإمام الصادق قد درس السماء والأرض ، والإنسان ، وشرائع الأديان .

وكان في علم الإسلام كلّه الإمام الذي يرجع إليه فهو أعلم الناس باختلاف الفقهاء ، وقوله الفصل والعدل ، وقد اعتبره أبو حنيفة أُستاذه في الفقه .

أمّا صفاته النفسيّة والعقليّة فقد علا بها على أهل الأرض ، وأمّن لأهل الأرض أن يسامتوا أهل السماء ؟! سموّ في الغاية ، وتجرّد في الحقّ ، ورياضة في النفس ، وانصراف إلى العلم والعبادة ، وابتعاد عن الدنيا ومآربها ، وبصيرة تبدّد الظلمات ، وإخلاص لا يفوقه إخلاص؛ لأنّه من معدنه من شجرة النبوّة ، وإذا لم يكن الإخلاص في عترة النبيّ وأحفاد عليّ سيف الله المسلول ، وفارس الإسلام ، فمن يكون ؟

فقد توارث أحفاد عليّ الإخلاص خلفاً عن سلف ، وفرعاً عن أصل ، فكانوا يحبون لله ، ويبغضون لله ، ويعتبرون ذلك من أُصول الإيمان ، وظواهر اليقين » .

لقد أثبتت الدراسات الحديثة التي أجراها علماء الغرب على شخصيّة الإمام الصادق عليه السلام أنّه نسخة لا ثاني لها في تاريخ البشريّة ، فقد منحه الله من المواهب والعبقريّات ما جعله من عمالقة الفكر الإنساني ، وقد أثبتوا بصورة موضوعيّة لا تقبل الشكّ أنّه قد تناول في بحوثه ومحاضراته التي ألقاها على العلماء أسرار الكون ، وأشعّة الكواكب ، وجاذبية الأرض ، وتحويل المادة من عنصر إلى عنصر آخر ، كما تناول فلسفة الحياة والموت ، وغير ذلك من الأُمور المذهلة ، وأنّه لم يقتصر في بحوثه على بيان أحكام الشريعة ، وفلسفة التشريع .

٥٠ ـ محمّد الخفاجي

وقدّم الدكتور محمّد عبدالمنعم الخفاجي الأُستاذ بجامعة الأزهر الشريف ،

السفر الجليل (الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب) ، وهو من أجلّ الكتب الحديثة ، فقد اشترك في تأليفه ٢٥ عالماً من مشاهير علماء الغرب ، وقد بحثوا بصورة موضوعيّة وشاملة شخصيّة الإمام الملهم العظيم الصادق عليه‌السلام ، وما أُثر عنه من مختلف العلوم والفنون ، والكتاب يثبت بصورة لا تقبل الجدل صحّة ما تذهب إليه الشيعة في أئمّتهم من غزارة العلم ، والدراية الواسعة لا في أحكام الدين ، وإنّما في جميع أنواع العلوم .

ولنعد إلى ما قاله الأُستاذ الخفاجي في الكتاب وفي الإمام عليه‌السلام : « وإنّ القارئ لهذه الفصول ليقف أمام صفحاتها المضيئة مذهولاً حقّاً ، ولسوف يجد نفسه أمام عظمة هذه الروح العلميّة التي انعكس ضوءها على هذه الدراسات ، فكان من وراء ذلك عالم فسيح كشف عنه هؤلاء العلماء ، وبدا في صدر هذه الصور الرفيعة صورة الإمام جعفر الصادق مشرقة شامخة بفكره الرفيع ، وبشخصيّته الجليلة المهيبة ، وبحكمته الصادقة ، وتجاربه الواسعة في فهم الحياة والناس .

وتجلّت عظمة هذه الشخصيّة في عظمة هذه البحوث ، فكان من وراء ذلك كلّه حقيقة رائعة لم نكن نعرف عنها شيئاً ، حقيقة هذا العقل العظيم الذي بنى للإنسانيّة وللإنسان أروع ما يمكن أن يبنيه من أُصول حضارة الدنيا ورفاهيّتها .

وإذا ذكرنا الإمام الصادق ذكرنا أرفع منقبة ، وأجلّ مأثره ، وأعظم شخصيّة من الشخصيّات الرائدة في تاريخ الفكر الإسلامي ، والحضارة الإسلاميّة ، وفي نشأة المذاهب الفقهيّة التشريعيّة لأئمّة علماء المسلمين ، وحدّث عن الإمام الصادق ولا حرج ، حدّث عن سليل بيت النبوّة ، ووارث فضائلها ومناقبها ومفاخرها وعلومها وحكمتها .

حدّث عنه في ورعه وزهده ، وفي دينه وتقواه ، وفي علمه وفقهه ، وفي عراكه للأحداث ، ونضاله للخطوب ، وفي مجابهته للظلم ومقاومته للطغيان ، وفي خبرته

بالحياة، ومعرفته العميقة بالزمان وناسه، وفي حبّه للسلام وكراهيّته لإراقة الدماء، بل في كلّ محمدة من المحامد التي يُذكر بها الناس ويُعرف بها عظماء التاريخ..»[١].

لقد فتح هذا العملاق العظيم أنواعاً من العلوم لم تكن معروفة من قبله، وقد ساهمت مساهمة إيجابيّة في تطوّر الفكر البشري، وبناء الحضارة الإنسانيّة، بالإضافة إلى بحوثه المتطوّرة في شؤون الشريعة الإسلاميّة، وبناء هيكل مستقلّ للفقه الشيعي يساير الزمن، ويعالج مشكل الإنسان، ويتبنّى المصالح العامّة التي ينعم في ظلالها الإنسان.

٥١ ـ محمّدجواد فضل الله

بحث العلّامة المغفور له السيّد محمّدجواد فضل الله نضّر الله مثواه، عن الإمام الصادق عليه السلام، فتناول بالبسط والتحليل خصائصه ومميّزاته. قال في طليعة كتابه:

«الحديث عن الإمام الصادق حديث طويل وشاقّ.. إنّه حديث الإيمان والحقيقة.. إنّه حديث الأخلاق والسلوك.. إنّه حديث التاريخ والعلم والمعرفة.. إنّه حديث الإسلام في أروع معطياته ومثله.. إنّه حديث يمثّل عبر حدود الإنسان فيما يملك من طاقات ومواهب وإبداع.

ذلك هو حديث الإمام الصادق الذي يبدأ من اللحظات التي ولد فيها العظيم، ولا ينتهي حتّى ينتهي شيء اسمه الحياة»[٢].

إنّ الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام إنّما هو حديث عن طاقات الإسلام الهائلة وحديث عن الحياة الفكريّة المتطوّرة التي يسمو بها الإنسان.

إنّ الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام إنّما هو حديث عمّن أغنى الفكر الإنساني

---

(١) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ١١ ـ ١٢.

(٢) الإمام الصادق خصائصه ومميّزاته: ١٧.

بأنواع المعارف والعلوم ، وعمّن دفع الحياة إلى الازدهار في مجالاتها الاقتصاديّة والاجتماعيّة والفكريّة .

٥٢ ـ السلمي

وترجم الشيخ أبو عبدالرحمن السلمي في طبقات المشايخ الصوفيّة للإمام الصادق عليه‌السلام ، وقال : « جعفر الصادق فاق جميع أقرانه من أهل البيت ، وهو ذو علم غزير في الدين ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تامّ عن الشهوات ، وأدب كامل في الحكمة »(١) .

وذكر الشيخ السلمي بعض مناحي حياة الإمام عليه‌السلام من العلم ، والزهد ، والورع ، والأدب الكامل في الحكمة ، وقد برز في هذه الصفات ، وبلغ بها الذروة ممّا ميّزته على جميع أقرانه من أهل البيت عليهم‌السلام ، الذين هم مصدر الشرف والكرامة في هذه الأمّة .

٥٣ ـ أسد حيدر

رحم الله صديقنا العلّامة المغفور له الشيخ أسد حيدر ، فقد أنفق معظم حياته في البحث والتنقيب عن الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، وقد أتحف المكتبة الإسلاميّة بموسوعته القيّمة التي لا يستغني عنها الباحث والمؤلّف ، فرحمه الله ، وأجزل له المزيد من الأجر ، قال : « ومثل شخصيّة جعفر بن محمّد ، تلك الشخصيّة الإسلاميّة العظيمة يجب على التاريخ إعطاءها حقّها من البحث ، فهو أبرز شخصيّة في عصره ، وأعلم الأمّة على الإطلاق .

ولا نتجاوز الحقيقة إن قلنا إنّ الإمام الصادق كان أعلم أهل عصره ، وهو أولى

---

(١) ينابيع المودّة : ٤٥٧ .

الناس بحفظ أمانة الدين ، ولا نبعد عن الواقع ، إنّ تلك الخطوات التي سار عليها في عصر ازدهار العلم قد أعطت الأُمّة درساً ، وعلّمتهم كيف يجب أن يكون المصلح الذي يقتدي به عظماء الأمّة ورجال الدعوة ، وأن يستقلّ العلم بمؤهّلاته النفسيّة ، ويفرض نفسه على المجتمع بقيمه الروحيّة بدون التزام بالقوّة ، بل الأوْلى أن يكون مقبولاً من حيث هو لا من حيث الارهاب والسلطة أو المغريات الخدّاعة ، وإنّ الكثير ممّن درسوا حياة الإمام الصادق عليه السلام ، إنّما سلكوا طرق الحذر والتكتّم ، فتلك دراسة سطحيّة لا تتجاوز حدود دائرة الحذر أو التعصّب »[١] .

إنّ الواجب على المؤرّخين المسلمين إبراز شخصيّة الإمام الصادق عليه السلام الحقيقيّة المشرقة إلى العالم الخارجي ، فهي أبرز شخصيّة ظهرت في سماء هذا الشرق ، وأعلم الأمّة على الإطلاق ، كما يقول المغفور له الشيخ أسد حيدر .

٥٤ ـ الشيخ المفيد

قال فخر الإسلام أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد في الإمام عليه السلام : «كان الصادق جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام من بين إخوانه خليفة أبيه محمّد بن عليّ ، ووصيّه القائم بالإمامة من بعده ، برز على جماعتهم بالفضل ، وكان أنبههم ذكراً ، وأعظمهم قدراً ، وأجلّهم في العامّة والخاصّة ، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان ، وانتشر ذكره في البلدان ، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته من العلماء ما نقل عنه ، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ، ونقلة الأخبار ، ولا نقل عنهم كما نقلوا عن أبي عبدالله ، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات ، فكانوا أربعة آلاف رجل .

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة : ١ : ٥٢ .

وكان له عليه السلام من الدلائل الواضحة في إمامته ما بهرت القلوب، وأخرست المخالف عن الطعن فيها بالشبهات»[١].

وحكى الشيخ المفيد بعض فضائل الإمام عليه السلام التي طبق شذاها العالم بأسره، فقد تحدّث عن معارفه وعلومه التي كان لها الأثر في تكوين الثقافة الإسلاميّة، وازدهار الحركة الفكريّة في الإسلام.

٥٥ ـ عمر بن شاهين

قال الحافظ أبو حفص عمر بن شاهين، المتوفّى سنة ٣٨٥هـ: «جعفر بن محمّد الصادق، ثقة مأمون، قاله يحيى: وسئل عثمان بن أبي شيبة عنه، فقال: مثل جعفر يسأل عنه؟! هو ثقة إذا روى عنه الثقات»[٢].

٥٦ ـ فاروق عمر

قال الدكتور فاروق عمر: «وخلف جعفر بن محمّد أباه في رئاسة الشيعة من أنصار الحسينيّين، وقد لعبت شخصيّة الصادق دوراً في تبلور مذهب الشيعة الإماميّة، أو ما يُسمّى بالإثني عشريّة، فلقد استطاع أن يوضّح أُصول هذا المذهب الذي نسب إليه عادة، فيسمّى بالمذهب الجعفري.

ويرى المستشرق هودسون بأنّ هناك ثلاث مبادئ رئيسيّة أسهمت في قوّة مركز الصادق، هي:

أوّلاً: ادّعاؤه بأنّ الإمامة بالنصّ من الله ورسوله، وأنّ الأئمّة الحسينيّين منصوص عليهم.

---

(١) الإرشاد: ٣٠٣ و ٣٠٤.

(٢) تاريخ أسماء الثقات: ٥٤.

ثانياً: ادّعاؤه العلم الغيبي المتوارث، بمعنى أنّ الأئمّة محيطون بالعلوم الإلهيّة، يتوارثونها من إمام إلى إمام. إنّ هذه المعرفة زادت من قدسيّته بين أتباعه، كما أنّها أهّلته لكي يقرّر الوقت المناسب للثورة ضدّ العبّاسيّين، وإعلان الإمامة العلويّة.

ثالثاً: سياسته السلميّة وعزوفه عن حمل السلاح ضدّ السلطة، وإيثاره العلم، وتكوين حلقة من أتباعه الذين نشروا مذهبه بين الناس بصورة سليمة وفي مناطق مختلفة.

ولعلّ هذا العامل الثالث هو الذي أدّى إلى تزايد أتباع الصادق؛ ذلك لأنّ النّاس عامّة تفضّل السلم وعدم التورّط في الفتنة والقتال[١].

٥٧ ـ ابن واضح

قال المؤرّخ الشهير أحمد بن أبي يعقوب المعروف بابن واضح: «كان ـ أي الإمام الصادق عليه السلام ـ أفضل الناس، وأعلمهم بدين الله، وكان أهل العلم الذين سمعوا منه إذا رووا عنه قالوا: أخبرنا العالم»[٢].

لقد كان الامام عليه السلام أفضل علماء عصره لا في أحكام الشريعة الإسلاميّة فحسب، وإنّما في جميع العلوم والفنون على اختلافها وتعدّد مواضيعها.

٥٨ ـ الصاحب بن عبّاد

قال العالم الوزير الصاحب بن عبّاد في الإمام الصادق عليه السلام: «لم يظهر في الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله شخصيّة علميّة معظّمة مثل جعفر الصادق عليه السلام»[٣].

---

(١) التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين: ١٨٢ و ١٨٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٣: ١١٥.

(٣) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ١١٢.

٥٩ ـ آدم هودجسون

قال المستشرق آدم هودجسون: «يُعدّ جعفر عند معظم الشيعة إماماً من أعظم الأئمّة، والمعلّم الثاني للفقه.. ويشير الإثنا عشريّة إلى أنفسهم باعتبار أنّهم أصحاب مذهب سمّوه المذهب الجعفري.

وأضاف يقول: وكان حجّة في الحديث والفقه على الأرجح، وتتحدّث عنه أسانيد أهل السنّة باحترام»[١].

٦٠ ـ الديصاني

وأبو شاكر الديصاني من رؤوس الملاحدة في الشرق، وكان ممعناً في الزندقة والعداء للدين، وفي نفس الوقت كان يكبر الإمام الصادق عليه السلام، وكان ممّا قاله فيه: «إنّك لأحد النجوم الزواهر، وكان آباؤك بدوراً بواهر، وأُمّهاتك عقيلات عباهر، وعنصرك من أكرم العناصر، وإذا ذكر العلماء فعليك تنثني الخناصر»[٢].

٦١ ـ رمضان لاوند

قال الأُستاذ السيّد رمضان لاوند: «لقد كان ـ الإمام الصادق عليه السلام ـ فرعاً من شجرة هي أكرم ما عرف النسب العربي، ورث بها الزخم الروحي الذي تناقله أهل البيت النبوي الهاشمي الكريم، وورث بها الإرادة الفاعلة التي لا تعترف بالهزيمة والفشل، كما ورث عمق الإدراك والحسّاسيّة الشديدة، والخلاصة أنّه ورث الحافز العجيب الذي لم يجد له الدارسون بعد تفسيراً في حدود ما عرفوه من الحقائق الإنسانيّة وجوانب النفس الخفيّة. انّه الذي تظهر به عبقريّة الأمّة، وتتجلّى به طبيعتها الكامنة،

---

(١) دائرة المعارف الإسلاميّة: ١٢: ٥٨.

(٢) الإرشاد: ٣١٦.

علماً أو نضالاً ، في سبيل الخير ، أو قيادة عسكريّة أو نبلاً في الخلق والضمير ، وقد هيّأت له ظروف حياته أن يكون من هذا كلّه موضعاً للعبقريّتين العلميّة والخلقيّة ، فكان إماماً لفرقة دينيّة عظيمة ، أنبتت عبر التاريخ الإسلامي قمماً خالدة في الفنّ والسياسة والفكر ، كان منها العلماء الأجلّاء ، والشعراء الخالدون ، والفلاسفة أصحاب المدارس التاريخيّة الواضحة » .

وأضاف يقول : « كانت حياته كلّها إشعاعاً لا ينقطع ، يصوغ به العلماء ، ويشيع به حبّ المعرفة ، ويشارك في الاستنتاج المنطقي السليم ، والتأمّل الفكري ، كما كانت حياته إشعاعاً لا ينقطع ، يصوغ به الحبّ ، سخاء في اليد ، وسعة في الصدر ، ونبلاً في النفس ، ونقاءً في الضمير »(١) .

٦٢ ـ حسن الأمين

قال العلّامة السيّد حسن الأمين : « لعلّ أوّل ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر الإمام الصادق عليه السلام أنّ ثقافته لا تتجاوز المجال الديني ، ولا تتعدّى التفسير والحديث والفقه ، وما إلى ذلك ممّا لا بدّ منه لإمام في مثل منزلة جعفر الصادق يفترض فيه أن يكون عارفاً بكلّ ما له ارتباط بأحكام الشريعة ومشاكلها .

ولكن الأمر عند الصادق أوسع من هذا ، فقد أحاط إحاطة كاملة بعلوم شتّى تتجاوز الفقه وما إليه ، وتشتمل على جوانب متعدّدة من علوم مختلفة ، كانت في عهدها قمّة الثقافات العالميّة ، ثمّ أخذ في تأسيس المدارس المستندة على هذه العلوم ، فرأينا بين خريجي معاهده الفقيه ، والمحدّث ، والمفسّر ، والفيلسوف ، والرياضي ، والكيمياوي ، والطبيب ، والشاعر ، والكاتب ، والمثقّف ثقافة عامّة »(٢) .

---

(١) الإمام الصادق علم وعقيدة : ١٦ و ١٧ .

(٢) مجلّة العربي : العدد ١٣٤ ، الصفحة ٩١ .

إن شخصيّة الإمام الصادق عليه السلام بما تحمل من عبقريّات ومواهب قد تجاوزت حدود الزمان والمكان ، وأصبحت شخصيّة التاريخ على امتداد الزمان .

٦٣ـ عبدالرحمن الحنفي

قال عبدالرحمن بن محمّد الحنفي : « جعفر بن محمّد ازدحم على بابه العلماء ، واقتبس من مشكاة أنواره الأصفياء ، وكان يتكلّم بغوامض الأسرار ، وعلوم الحقيقة وهو ابن سبع سنين »(١) .

وحفلت هذه الكلمة بما يتمتّع به الإمام عليه السلام من المواهب ، فقد كان المنبع الوحيد الذي ترتوي منه الأصفياء ، وقد ظهرت بوادر علومه في سنّه المبكّر ، فكان ابن سبع سنين من آيات الله العظام ، يتكلّم بغوامض الأسرار وعلوم الحقيقة .

٦٤ـ محمّد الخضري

قال الشيخ محمّد الخضري : « أبو عبدالله جعفر الصادق كان من سادات أهل البيت ، ولقّب بالصادق لصدقه في مقالته . ولد سنة ثمانين . وروى عنه مالك بن أنس ، وأبوحنيفة ، وكثيرون من أهل المدينة »(٢) .

إنّ أشهر ألقاب الإمام عليه السلام هي الصادق ، وذلك لصدقه في حديثه ومقالته ، وكان ذلك من السمات البارزة في شخصيّته العظيمة .

٦٥ـ الزرقاني

قال الزرقاني : « جعفر بن محمّد ، أبو عبدالله ، فقيه صدوق »(٣) .

---

(١) مناهج التوسّل : ١٠٦ .

(٢) التشريع الإسلامي : ٦٧ .

(٣) مرآة الجنان : ١ : ٣٠٤ .

٦٦ ـ محمّد صادق

قال السيّد محمّد صادق نشأت الأُستاذ بكليّة الآداب بجامعة القاهرة : «كان بيت جعفر الصادق كالجامعة يزدان على الدوام بالعلماء الكبار في الحديث والتفسير والحكمة والكلام ، فكان يحضر مجلس درسه في أغلب الأوقات ألفان ، وبعض الأحيان أربعة آلاف من العلماء المشهورين ، وقد ألّف تلاميذه من جميع الأحاديث والدروس التي كانوا يتلقّونها في مجلسه مجموعة من الكتب تعدّ بمثابة دائرة معارف للمذهب الشيعي أو الجعفري»(١) .

إنّ من عائدات الإمام الصادق عليه السلام على هذه الأمّة ، أنّه فتح لها آفاقاً من العلم ، وأشاع فيها الوعي الحضاري ، وأسّس فيها جامعة امتدّت فروعها إلى أغلب البلاد الإسلاميّة ، وقد رفعت منار العلم ، ونمت الفكر ، وأوجدت التطوّر للحياة العامّة .

٦٧ ـ ابن الجوزي

قال عبدالرحمن بن الجوزي : « جعفر بن محمّد كان مشغولاً بالعبادة عن حبّ الرئاسة »(٢) .

لقد شغلته العبادة بنطاقها الواسع الشامل لنشر العلم وإشاعة الثقافة بين المسلمين عن طلب الرئاسة التي لم يطلبها هو ولا آباؤه ، إلّا لتكون وسيلة لخدمة الأمّة ، وإنقاذها من ويلات الفقر وكوارث الحرمان ، ولكن الأطماع والأهواء التي اتّسم بها خصومهم حالت بينهم وبين ما يرومونه من إيجاد الفرص المتكافئة بين المسلمين ، ونشر العدل السياسي والاجتماعي بين المسلمين .

---

(١) الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة : ١ : ٦٣ .

(٢) صفة الصفوة : ٢ : ٩٤ .

٦٨ ـ الرفاعي

قال محمّد بن سراج الدين الرفاعي : « ولد الصادق بالمدينة يوم الجمعة عند طلوع الفجر سنة ثلاث وثمانين هجريّة ، وعاش ٦٥ سنة ، وكانت إمامته أربعاً وثلاثين سنة ، وقد نقل الناس عنه على اختلاف مذاهبهم ودياناتهم ما سارت به الركبان ، وقد عُدّ أسماء الرواة عنه ، فكانوا أربعة آلاف رجل »[١].

٦٩ ـ جمال الدين

قال جمال الدين أبو المحاسن : « جعفر الصادق ابن محمّد الباقر ، السيّد أبو عبدالله الهاشمي العلويّ الحسينيّ المدنيّ ، كان يلقّب بالصابر والفاضل والطاهر ، وأشهر ألقابه الصادق . حدّث عنه أبو حنيفة ، وابن جريج ، وشعبة ، والسفيانان ، ومالك ، وغيرهم »[٢].

إنّ أئمّة المذاهب الإسلاميّة قد تتلمذوا عند الإمام الصادق عليه السلام ، وأخذوا منه علوم الشريعة الإسلاميّة ، وقد اعتزّوا وافتخروا بحضورهم عند حفيد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله .

٧٠ ـ عليّ القاري

قال علي القاري : « جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، الهاشمي ، المدني ، المعروف بالصادق ، أُمّه أُمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر .. متّفق على إمامته وجلالته »[٣].

---

(١) صحاح الأخبار : ٤٤.

(٢) النجوم الزاهرة : ٢ : ٨.

(٣) شرح الشفا : ٢ : ٣٥.

إنّ من أبرز صفات الإمام عليه السلام الصدق في القول ، والصدق في الحديث ، وفي كلّ شيء ، وقد عرف بهذه الظاهرة ولقّب بها .

٧١ـ مصطفى الشكعة

قال الدكتور مصطفى الشكعة : «كانت شخصيّة الإمام جعفر من ناحية العلم والفضل والتقوى والتسامح ، لما يدعو كلّ مسلم مهما كان مذهبه إلى احترامه وإجلاله ، وهل من مسلم إلّا ويحبّ أبناء آل البيت ، فما بالنا إذا كان هذا الابن غزير العلم ، وافر الحكمة ، كامل الأدب ، زاهداً ، ورعاً ، بعيداً عن الغلوّ ، بريئاً من التطرّف ، لا يحبّ الاعتزال ، هكذا كان الإمام جعفر»(١) .

لقد توفّرت في الإمام الصادق عليه السلام جميع صفات الأدب والكمال ، فما من فضيلة من فضائل الدنيا التي يعتزّ بها هذا الكائن الحيّ من بني الإنسان إلّا وهي من عناصر الإمام ومن ذاتيّاته ، مضافاً إلى حسبه الوضّاح فقد تفرّع من دوحة النبوّة من شجرة الإمامة .

٧٢ـ عبدالله اليماني

قال الشيخ عبدالله بن أسعد اليماني : «كان جعفر الصادق واسع العلم ، وافر الحلم ، وله من الفضائل والمآثر ما لا يحصى»(٢) .

إنّ مآثر الإمام عليه السلام وفضائله غير قابلة للإحصاء والعدّ ، فهو من منبع النبوّة والإمامة التي تلتقي بهما جميع الفضائل والمآثر .

---

(١) الأئمّة الأربعة : ٣١٥.

(٢) ينابيع المودّة : ٤٥٩.

٧٣ـ الساجي

قال الساجي : «كان صدوقاً مأموناً ، إذا حدّث عنه الثقات فحديثه مستقيم »[١] .

٧٤ـ أبو الفداء

قال أبو الفداء : « جعفر الصادق أحد الأئمّة الاثني عشر على رأي الإماميّة ، فإنّه تقدّم منهم عليّ بن أبي طالب ، ثمّ ابنه الحسن ، ثمّ الحسين ، ثمّ زين العابدين ، ثمّ الباقر ، ثمّ جعفر الصادق .. وسمّي جعفر بالصادق لصدقه . وله كلام في صنعة الكيمياء »[٢] .

النقاط المهمّة

أمّا النقاط المهمّة والحسّاسة في هذا الزخم من الكلمات التي أدلى بها أئمّة المسلمين وكبار المؤلّفين في مختلف العصور ، في حقّ الإمام عليه‌السلام ، والإشادة بفضله ، فهي :

أوّلاً : إنّه خير البريّة ـ كما يقول أبوه الإمام الباقر عليه‌السلام ـ ولم يُضفِ الإمام عليه‌السلام على ولده هذه الكلمة بما تحوي من أبعاد محاباة أو اندفاعاً وراء العواطف ، فإنّ شأن الإمام أسمى من ذلك ، وإنّما أضفى عليه ذلك بعد أن خبره فرآه نسخة لا ثاني لها في نزعاته الخيّرة ، وصفاته العظيمة .

ثانياً : إنّ الإمام عليه‌السلام قد تفرّد في مواهبه وعبقريّاته ، فلم ترَ عين ، ولا سمعت أُذن ، ولا خطر على قلب بشر أفضل منه ـ كما يقول الإمام مالك ـ ولم يدلِ مالك

---

(١) تهذيب الكمال : ٥ : ٩٧ .

(٢) تاريخ أبي الفداء : ٢ : ٥ .

بذلك إلّا بعد أن خبر الإمام وتتلمذ عليه ، وعرف واقعه المشرق .

ثالثاً : إنّ الإمام ممّن أورثه الله الكتاب ، واصطفاه على عباده ، ومن السابقين بالخيرات ، كما قال بذلك ألدّ أعدائه وخصومه المنصور الدوانيقي .

رابعاً : إنّ الإمام قد ملأ الدنيا بعلمه وفقهه ، وقد أدلى بذلك أبو بحر الجاحظ .

خامساً : إنّ الإمام من سادات أهل البيت في علمه وورعه وتقواه ، وأهل البيت هم سادة الدنيا في تقواهم وشدّة تحرّجهم في الدين ، وقد أعلن ذلك ابن حِبّان وغيره .

سادساً : إنّه في أعلى درجات الثقة والصدق ، وإنّه لا يسأل عن مثله في رواياته ، وقد صرّح بذلك أبو حاتم الرازي .

سابعاً : إنّ الإمام هو الذي تزعّم الحركة العلميّة في عصره ، والتي امتدّت إلى سائر العصور ، وقد أعلن ذلك السيّد مير عليّ الهندي .

ثامناً : إنّ الإمام عليه السلام إنّما لُقّب بالصادق لوثاقته وصدقه في مقالته ، وقد صرّح بذلك بطرس البستاني وغيره .

تاسعاً : إنّ الإمام أنبه وأسمى شخصيّة في العالم الإسلامي ، ومن الحقّ أن يكون مصدر عزّ وفخر لجميع المسلمين ، كما قال بذلك مصطفى غالب وغيره .

عاشراً : إنّ شخصيّة الإمام عليه السلام مجموعة فلسفيّة تزخر بالحيويّة النابضة ، والروحيّة المتجسّدة ، والعقليّة المبدعة ، التي أسّست العلوم ، وأبدعت الأفكار ، وابتكرت السنن ، وأوجدت الأحكام والنظم ، كما قال بذلك عارف تامر .

حادي عشر : إنّ الإمام عليه السلام من أكثر أئمّة المذاهب آراءً في كلّ لون من ألوان المعرفة ، ولا تقف معرفته عند علوم الدين فحسب ، بل تجاوزت إلى الكيمياء والطبّ وغير ذلك ، كما صرّح بذلك الدكتور أحمد محمود صبحي .

ثاني عشر: إنّ الإمام كان قوّة فكريّة مبدعة في عصره، فلم يكتف بالدراسات الإسلاميّة، وعلوم القرآن والسنّة، وإنّما اتّجه إلى دراسة الكون وأسراره، ثمّ حلّق بعقله الجبّار سماء الأفلاك، ومدار الشمس والنجوم، كما عنى بدراسة النفس الإنسانيّة، كما أعلن ذلك الشيخ أبو زهرة.

ثالث عشر: إنّ الإمام عليه السلام هو العقل المتفتّح الذي بنى للإنسانيّة وللإنسان أروع ما يمكن أن يبنيه من أُصول حضارة الدنيا ورفاهيّتها، كما صرّح بذلك الدكتور محمّد عبدالمنعم الخفاجي.

رابع عشر: إنّ الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام إنّما هو حديث عن الإسلام في أروع معطياته ومثله، وحديث يمتدّ عبر حدود الإنسان فيما يملك من طاقات ومواهب، كما صرّح بذلك السيّد محمّدجواد فضل الله.

خامس عشر: إنّ الواجب على المؤرّخين إبراز شخصيّة الإمام وإظهارها إلى العالم لما في ذلك من خدمة للفكر والعلم والحياة.

إنّ الإمام أبرز شخصيّة في عصره، وأعلم الأُمّة على الإطلاق، كما قال بذلك المرحوم العلّامة الشيخ أسد حيدر.

هذه بعض النقاط الحسّاسة والمهمّة في كلمات الأعلام في حقّ الإمام الصادق عليه السلام المبدع، والدماغ المفكّر في الإنسانيّة، الذي ملأ الدنيا بفيض علومه، وأفكاره المتطوّرة التي تساير الزمن في جميع مراحل التاريخ.

حاقدون

وحقد جماعة من المنحرفين على سليل النبوّة، ومعدن الرسالة، الإمام الصادق عليه السلام، فقد وغرت عليه صدورهم، وورمت آنافهم حسداً له، وحقداً عليه، وذلك لانتشار اسمه، وإشاعة ذكره، وتهافت العلماء والفقهاء على رواية حديثه، والحضور في مجلس درسه، وإجماع العالم الإسلامي على تعظيمه وإكباره، وكان من بين الحاقدين عليه هؤلاء:

١ ـ ابن سعد

وعُرف ابن سعد بالانحراف عن أهل البيت عليهم السلام، ومن الحاقدين على الإمام الصادق عليه السلام، وقد قال عنه: «كان كثير الحديث، ولا يحتجّ به، ويستضعف، سئل مرّة: سمعت هذه الأحاديث من أبيك؟ فقال: نعم، وسئل مرّة فقال: إنّما وجدتها في كتبه.

وعلّق ابن حجر على ذلك بقوله: «قلت: يحتمل أن يكون السؤالان وقعا عن أحاديث مختلفة، فذكر فيما سمعه أنّه سمعه، وفيما لم يسمعه أنّه وجده، وهذا يدلّ على تثبّته»(١).

٢ ـ ابن عيّاش

وأبو بكر بن عيّاش معروف بالانحراف عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، ومن الحاقدين على الإمام الصادق عليه السلام، وقد سئل: مالك: لم تسمع عن جعفر بن محمّد وقد

(١) تهذيب التهذيب: ٢: ١٠٣.

أدركته ؟ قال : سألناه عمّا يتحدّث به من الأحاديث أشيء سمعته ؟ فقال : لا ، ولكنها رواية رويناها عن آبائنا »[١] .

إنّا لنتساءل من أبي بكر : هل إنّ رواية الإمام عن آبائه أئمّة الهدى ، وأعلام الإسلام ، عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا يوجب القدح في صحّة الرواية وطرحها ؟ !

إنّ حساب هؤلاء لعسير وشاقّ عند الله تعالى ، فقد تنكّروا لعترة نبيّهم الذين ألزم الله مودّتهم في كتابه ، وجعلهم النبيّ صلى الله عليه وآله سفن النجاة ، وأمن العباد .

٣ ـ يحيى بن سعيد

من الحاقدين على الإمام عليه السلام يحيى بن سعيد القطّان ، فقد سئل عن الإمام عليه السلام ، فقال : « في نفسي منه شيء ، ومجالد أحبّ إليّ منه »[٢] .

لم يبيّن يحيى عن الشيء الذي يكمن في نفسه من الإمام حتّى توقّف من قبول روايته ، أليس الإمام من سلالة النبوّة ومن معادن العلم والحكمة في الإسلام ؟ ألم يكن الإمام هو المجدّد للإسلام والمحيي لسننه وآثاره ؟ فلماذا يحقد عليه يحيى ؟

وعلّق المرحوم السيّد محمّدجواد فضل الله على ذلك بقوله : « ولو أنّ روايات الإمام الصادق عليه السلام كانت عن أبي هريرة ، ومعاوية ، ومروان ، لكان في أعلى درجات الوثاقة ، ولكن عيب رواياته أنّها عن آبائه وصحفهم التي تلقّوها عن رسول الله صلى الله عليه وآله »[٣] .

وهو تعليل وثيق للغاية ، فإنّ السرّ في توقّف يحيى وأمثاله من رواية الإمام عليه السلام

---

(١) تهذيب التهذيب : ٢ : ١٠٣ .

(٢) المصدر المتقدّم .

قال الذهبي : « هذه من زلقات يحيى القطّان ، بل أجمع أئمّة هذا الشأن على أنّ جعفر أوثق من مجالد ، ولم يلتفتوا إلى قول يحيى » ـ سير أعلام النبلاء : ٦ : ٢٥٦ .

(٣) الإمام الرضا عليه السلام : ٢٠ .

هو عدم روايته عن أبي هريرة وأمثاله من الوضّاعين.

٤ـ البخاري

من الحاقدين على الإمام الصادق عليه السلام، والمستضعفين لرواياته محمّد بن إسماعيل في كتابه المعروف بصحيح البخاري، وقد اعتذر ابن حجر عنه في تركه للرواية عن الإمام بقوله: «إنّ صعوبة التمييز بين ما هو صحيح وغير صحيح حملت البخاري على أن لا يروي شيئاً من حديثه».

وعلّق المرحوم السيّد محمّدجواد فضل الله على ذلك بقوله: «ولم يذكر لنا ابن حجر كيف ميّز البخاري بين ما هو صحيح وغير صحيح ممّا رواه أبو هريرة وأمثاله من واضعي الحديث ومخترعيه، ولعلّه يعتلّ بأنّ الصحابة عدول، وهو عذر أقبح من ذنب بعدما ثبت كذب ذلك بسلوك الصحابة بعضهم مع بعضهم، وتفسيق البعض منهم للبعض الآخر، ولا نفهم تفسيراً لهذه الظاهرة الغريبة غير التعصّب، والتأثّر بالأجواء المذهبيّة القاتمة التي تعبّأت بسموم الحقد والبغض المريرَين لأهل هذا البيت، والتي هي امتداد للجهود المستميتة التي بذلها معاوية وعمّاله وخلفاء الجور من بعده، في سبيل تعميق الفجوة التي افتعلوها بين الأُمّة وأهل البيت النبويّ، وعزلهم بعيداً عن الواقع العملي للحياة العامّة»[١].

وعلى أي حال، فقد تعرّض البخاري لحملة من النقد والتشهير في تركه للرواية عن الإمام، وقد نقده العلاّمة أبو بكر بن شهاب الدين، وهو من مشاهير علماء السنّة بهذه المقطوعة:

قَضيَّةٌ أَشْبَهُ بالمُرزِئَة ... هذا البُخاريُّ إمامُ الفِئَة
بالصّادقِ الصِّدّيقِ ما احتَجَّ في ... صَحيحِهِ واحتَجَّ بالمُرجِئَة

---

(١) الإمام الرضا عليه السلام: ٢٥.

ومِـثْلِ عِـمرانَ بنِ حَـطّانَ أوْ ... مَـروانَ وَإبـنِ المَرأةِ المُـخطِئَة
مشكِـــلَةٌ ذاتُ عُـــوارٍ إلى ... حَـيرَةِ أربـابِ النُّـهى مُـلجِئَة
وحَـــقُّ بَـيتٍ يـمَّمَتهُ الوَرى ... مُـغذَّةٌ فـي السَّيرِ أو مُـبطِئَة
إنَّ الإمـامَ الصّـادقَ المُجتَبى ... بـــفَضلِهِ الآيُ أتَت مُـــنبِئَة
أَجَـلُّ مَـنْ فـي عَـصرِهِ رتبَةً ... لَـمْ يـقتَرِفْ في عُـمرِهِ سَـيِّئَة
قُـــلامَةٌ مِـــنْ ظِـفرِ إبـهامِهِ ... تَعدِلُ مِنْ مِثْلِ البُخاري مِـئَة(١)

لقد تحرّج البخاري من الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام سليل النبوّة ، والعقل المبدع للإنسانيّة ، وفي نفس الوقت قد ملأ صحيحه بالرواية عمّن لا حريجة له في الدين ، وفيما يلي بعض النماذج من رواته :

٥ـ عمران بن حطّان

وعمران بن حطّان السدوسي البصري من أعلام الخوارج الذين ناصبوا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وأعلنوا بغضه ، وهو القائل يمدح ابن ملجم :

يا ضَـربَةً مِـنْ تَـقيٍّ مـا أرادَ بِـها ... إلّا لِيَبلُغَ مِنْ ذي العَرشِ رِضوانا

يا لله ! أمثل هذا الشقي المنحرف عن الإسلام يعوّل البخاري على رواياته ، ويترك الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام ، الذي هو من أعلام الدين ، ومن سادات أهل البيت عليهم السلام !

٦ـ أبو العبّاس الأعمى

وأبو العبّاس السائب بن فروخ ، كان من أشهر المبغضين لآل النبيّ صلى الله عليه وآله ، وهو القائل لأبي الطفيل عامر بن واثلة الموالي لأهل البيت عليهم السلام :

---

(١) العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل : ٣٣.

لَـعَمرُكَ إنَّـني وأَبـا طُـفَيلٍ ... لَـمُختلِفانِ واللهُ الشَّـهيدُ
لَـقَدْ ضَلّوا بـحُبِّ أَبـي تُـرابٍ ... كَما ضَلَّتْ عَنِ الْحَقِّ اليَهودُ(١)

وهذا الشخص المصاب بعقيدته ودينه يعوّل البخاري على رواياته ويأخذ عنه ، ولا يروي عن أئمّة الهدى ، ومصابيح الإسلام ، وسادات الأنام !

٧ـ جرير بن عثمان

أمّا جرير بن عثمان الحمصي فقد أعلن عداءه العارم لآل رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان ينال من سيّد العترة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو القائل : « لا أُحبّ علياً ، فقد قتل آبائي » ، وكان يقول : « لنا إمامنا ـ يعني معاوية ـ ولكم إمامكم ـ يعني الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ـ »(٢) .

٨ـ إسحاق بن سويد

التميمي ، المتوفّى سنة ١٣١هـ ، وهو ممّن عرف بالنصب والعداء لأخي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وباب مدينة علمه .

٩ـ عبدالله بن سالم

الأشعري ، المتوفّى سنة ١٧٩هـ ، كان ناصبياً شديد العداء للإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان مع القرآن ، والقرآن معه ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله .

هؤلاء بعض من يروي عنهم البخاري في صحيحه في حين أنّه ترك الرواية عن أئمّة الهدى عليهم السلام .

---

(١) نكت الهميان / الصفدي : ١٥٤ .

(٢) تهذيب التهذيب : ١ : ٣٨ . تاريخ بغداد : ٢ : ٢٩٥ .

إِحتجاجاتُهُ وَمُناظراتُهُ عليه السلام

وتصدّى الإمام الصادق عليه السلام مع المتكلّمين من تلاميذه إلى تفنيد الشبه والشكوك التي أثارها الحاقدون على الإسلام لتشكيك المسلمين في واقع دينهم العظيم الذي جعلهم سادة الأُمم والشعوب.

وكانت تلك الشبه تحمل طابع الحقد والكراهية للإسلام، والنكاية بالمسلمين. يقول بعض الكتّاب المعاصرين: «إنّ الدعوات الإلحاديّة في عصر الإمام قد تبرقعت ببرقع العلم، وهي تبغي هدم الإيمان بالله تعالى، وقد تصدّى لها الإمام الصادق عليه السلام بالردّ، فقد كان على يقين أنّ هذه الدعوات تهدّد الأُمّة الإسلاميّة، فإنّها إنّما سادت الأُمم بالإيمان بالله، وهي إذا فقدت هذه الجهة فإنّها تفقد وجودها وكيانها.

ومن الجدير بالذكر أنّ فرنسا لمّا فقدت هذا العنصر من حياتها خسرت نفسها وكيانها. يقول «ديغول» رئيس الجمهوريّة الفرنسيّة: «إنّ فرنسا قد فقدت مكانتها كدولة عظمى لأنّها فقدت الإيمان بالله، وإنّها لكي تستردّ مكانتها يجب أن تستردّ إيمانها بالله»[١].

ونعرض لبعض ما أُثر عنه من غرر الاحتجاجات الرائعة، التي أفحم بها الزنادقة والملحدين، وتركهم يتميّزون من الغيظ، قد سدّ عليهم كلّ نافذة يسلكون منها للتمسّك بشبههم وأوهامهم، وبذلك فقد صان العقيدة الإسلاميّة من هجماتهم،

---

(١) العقيدة الإسلاميّة وأُسسها / عبدالرحمن حسن حنبكة: ١٢٥.

كما نعرض لبعض مناظراته مع بعض الأعلام في عصره ، كأبي حنيفة الذي يتمسّك بالقياس ، ويراه أحد الأدلّة الشرعيّة التي يستنبط منها الحكم الشرعي ، وقد فنّد الإمام عليه السلام ذلك بأوثق الأدلّة ، وفيما يلي ذلك :

إبطاله عليه السلام لشبه الزنادقة

أمّا الزنادقة فهم الممعنون بالكفر والإلحاد والتضليل ، وقد سعوا بقوى محمومة لإفساد أفكار المسلمين وتضليلهم ، وقد انبرى الإمام الصادق عليه السلام مع السادة العلماء من تلاميذه لتفنيد شبههم التي لا سند لها من علم ، خصوصاً فيما يتعلّق بالله تعالى ، فإنّ إنكاره إنكار للبديهيّات والضرورات ، فقد تجلّى الله في كلّ شيء ، وهو من الأمور الفطريّة التي يشعر بها كلّ إنسان في دخائل نفسه ، وأعماق ذاته .

وهذا ما عبّر عنه ديكارت بقوله : « إنّني مع شعوري بنقص في ذاتي أُحسّ في الوقت نفسه بوجود ذات كاملة ، وأرأني مضطرّاً إلى اعتقادي بأنّ هذا الشعور قد غرسته في ذاتي تلك الذات الكاملة المتحلّية بجميع صفات الكمال ، وهي الله تعالى »[١] .

وكان من بين من تصدّى الإمام الصادق عليه السلام للردّ على أضاليلهم ، وإبطال شبههم ، ما يلي :

الجعد بن درهم

وكان الجعد بن درهم ممعناً في الكفر ، ومبتدعاً ومتفانياً في الزندقة ، وكان يعلن الإلحاد ، وقد زعم أنّ الله لم يتّخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلّم موسى[٢] . وقد تتلمذ

---

(١) وجود الله / يوسف القرضاوي : ١٩ .

(٢) ميزان الاعتدال : ١ : ٣٩٩ . لسان الميزان : ٢ : ١٠٥ .

عنده مروان بن محمّد الأموي ، وتغذّى بإلحاده ، فكان يلقّب بمروان الجعدي[١] .

ومن بدعه أنّه جعل في قارورة تراباً وماءً فاستحال دوداً وهواماً ، فقال لأصحابه : إنّي خلقت ذلك لأنّي كنت سبب كونه .

وبلغ ذلك الإمام الصادق عليه السلام ، فردّه بأبلغ البرهان والحجّة قائلاً:

إنْ كانَ خَلَقَهُ فَلْيَقُلْ : كَمْ هُوَ ؟ وَكَمِ الذُّكْرانُ مِنْهُ وَالإِناثُ ؟ وَكَمْ وَزْنُ كُلِّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ ؟ وَلْيَأْمُرِ الَّذي يَسْعى إلى هذا الْوَجْهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلىٰ غَيْرِهِ .

وما أروع هذه الحجّة التي أدلى بها سليل النبوّة ، فقد نسف جميع خرافاته ، ويقول الرواة : « إنّ الجعد لمّا سمع بهذه الحجّة انقطع عن الكلام وبان عليه الضعف والعجز وهرب »[٢] .

عبدالملك المصري

وهو من زنادقة مصر ، وقد بلغه أنّ الإمام الصادق عليه السلام يملك ثروة علميّة هائلة ، فخرج لمحاججته ، وقصد يثرب فأخبر أنّ الإمام عليه السلام في مكّة المكرّمة ، فانتهى إليها ، وقصد الإمام عليه السلام فعرف قصده ، فقدّم عليه السلام له السؤال التالي : **ما اسْمُكَ ؟**

- عبدالملك .

- **فَما كُنْيَتُكَ ؟**

- أبو عبدالله .

ووجّه الإمام عليه السلام سؤالاً محيّراً لم يهتدِ إلى جوابه قائلاً:

---

(١) الكامل في التاريخ / ابن الأثير : ٥ : ١٦٠ .

(٢) أمالي المرتضى : ١ : ٢٨٤ .

فَمَنْ هذا الْمَلِكُ الَّذي أَنْتَ عَبْدٌ لَهُ ؟ أَمِنْ مُلوكِ الْأَرْضِ ، أَمْ مِنْ مُلوكِ السَّماءِ ؟ أَخْبِرْني عَنِ ابْنِكَ ـ واسمه عبدالله ـ **عَبْدُ إِلهِ السَّماءِ أَمْ عَبْدُ إِلهِ الْأَرْضِ ؟**

ووجم الزنديق ولم يطق جواباً ، وأمهله الإمام عليه السلام حتّى يفرغ من الطواف لعلّه يجد الجواب ، ولمّا فرغ من الطواف جلس الزنديق بين يدي الإمام تعظيماً واحتراماً له ، فقال عليه السلام له : **أَتَعْلَمُ أَنَّ لِلْأَرْضِ تَحْتاً وَفَوْقاً ؟**

ـ نعم .

ـ **فَدَخَلْتَ تَحْتَها ؟**

ـ لا .

ـ **فَما يُدْرِيكَ ما تَحْتَها ؟**

ـ لا أدري ، إلّا أنّي أظنّ أن ليس تحتها شيء .

ـ **فَالظَّنُّ عَجْزٌ لِما لا تَسْتَيْقِنُ .**

ـ **أَفَصَعِدْتَ إِلَى السَّماءِ ؟**

ـ لا .

ـ **أَفَتَدْري ما فيها ؟**

ـ لا .

ـ **أَتَيْتَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ فَنَظَرْتَ ما خَلْفَهُما ؟**

ـ لا .

ـ **عَجَباً لَكَ لَمْ تَبْلُغِ الْمَشْرِقَ ، وَلَمْ تَبْلُغِ الْمَغْرِبَ ، وَلَمْ تَنْزِلْ تَحْتَ الْأَرْضِ ، وَلَمْ تَصْعَدْ إِلَى السَّماءِ ، وَلَمْ تُخْبَرْ ما هُنالِكَ فَتَعْرِفْ ما خَلْفَهُنَّ ، وَأَنْتَ جاحِدٌ بِما فيهِنَّ ، وَهَلْ يَجْحَدُ الْعاقِلُ ما لا يَعْرِفُ ؟**

واستولت الحيرة والذهول عليه ، فقد أخذه الإمام عليه السلام من جميع جهاته ، ولم يدرِ

ما يقول، والتفت بكلّ خضوع وإكبار للإمام قائلاً: ما كلّمني بهذا غيرك.

والتفت إليه الإمام ليقيم عليه الحجّة قائلاً:

فَأَنْتَ مِنْ ذٰلِكَ في شَكٍّ؟ فَلَعَلَّهُ هُوَ، وَلَعَلَّهُ لَيْسَ هُوَ.

- لعلّ ذلك.

وانبرى الإمام عليه السلام فأقام كوكبة من الأدلّة الوثيقة على وجود الخالق العظيم قائلاً:

أَيُّها الرَّجُلُ، لَيْسَ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ حُجَّةٌ عَلىٰ مَنْ يَعْلَمُ، وَلَا حُجَّةَ لِلْجاهِلِ عَلَى الْعالِمِ بَعْدَ هٰذا.

يا أَخا أَهْلَ مِصْرَ، تَفَهَّمْ عَنّي، فَإِنّا لَا نَشُكُّ في اللهِ أَبَداً، أَما تَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَاللَّيْلَ وَالنَّهارَ، يَلِجانِ وَلَا يَسْتَبِقانِ، يَذْهَبانِ وَيَرْجِعان، قَدِ اضْطَرّا لَيْسَ لَهُما مَكانٌ إِلّا مَكانُهُما، فَإِنْ كانا يَقْدِرانِ عَلىٰ أَنْ يَذْهَبا فَلَا يَرْجِعانِ؟ وَإِنْ كانا غَيْرَ مُضْطَرَّيْنِ فَلِمَ لَا يَصيرُ اللَّيْلُ نَهاراً، وَالنَّهارُ لَيْلاً؟! اضْطَرّا وَاللهِ يا أَخا أَهْلَ مِصْرَ...

إِنَّ الَّذي تَذْهَبونَ إِلَيْهِ، وَتَظُنُّونَ مِنَ الدَّهْرِ، فَإِنْ كانَ هُوَ يُذْهِبُهُمْ فَلِمَ يَرُدُّهُمْ؟ وَإِنْ كانَ يَرُدُّهُمْ فَلِمَ يَذْهَبُ بِهِمْ؟!

يا أَخا أَهْلَ مِصْرَ، أَما تَرىٰ السَّماءَ مَرْفُوعَةً، وَالْأَرْضَ مَوْضوعَةً، لَا تَسْقُطُ السَّماءُ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا تَنْحَدِرُ الْأَرْضُ فَوْقَ ما تَحْتَها؟ أَمْسَكَها وَاللهِ خالِقُها وَمُدَبِّرُها.

وذهب الشكّ والوهم من المصري، وآمن بالله العظيم بعدما أقام عليه الإمام الأدلّة العلميّة الوجدانيّة على وجود الخالق الحكيم، والتفت الإمام إلى هشام فقال له: **خُذْهُ إِلَيْكَ وَعَلِّمْهُ**(١).

(١) الاحتجاج: ٢: ٧٢ ـ ٧٤. نظريّة الإمامة: ٣٦٤. أُصول الكافي: ١: ١٣٠.

لقد اعتمد الإمام عليه السلام على وجود الخالق العظيم على أوثق الأدلّة وأكثرها وضوحاً ، وأبعدها عن الغموض والتعقيد ، فلم يركن إلى الأدلّة الفلسفيّة الغامضة ، وإنّما اتّجه صوب الأدلّة المحسوسة التي لا يتطرّق إليها الوهم والشكّ ، والتي لا يمكن الجدل والنزاع فيها .

بعض الملحدين

والتقى الإمام عليه السلام مع بعض الملحدين ، وجرى نزاع بينهما ، فقال عليه السلام للملحد :

إنْ كانَ الْأَمْرُ عَلىٰ ما تَقولونَ ـ من إنكار الله ـ **وَهُوَ لَيْسَ عَلىٰ ما تَقولونَ ، فَقَدْ نَجَوْنا وَنَجَوْتُمْ ، وَإنْ كانَ الْأَمْرُ علىٰ ما نَقولُ : فَقَدْ نَجَوْنا وَهَلَكْتُمْ**[١] .

وحفل احتجاج الإمام عليه السلام بالدليل الرائع ، فإنّ الأمر إن كان كما يقول الملاحدة ـ من إنكار الله تعالى ـ فلا يلحق بالمؤمنين ولا بغيرهم أي ضرر أو خسارة ، وإن كان الأمر كما يقول المؤمنون بوجود الله تعالى فقد نجا المؤمنون وفازوا ، وخسر الكافرون .

وقد أطبق العقلاء في جميع العصور والأزمان على أنّ دفع الضرر المحتمل لازم ، فالواجب على الملحدين أن يرجعوا إلى طريق الحقّ لإنقاذ أنفسهم من الضرر المحتمل .

الديصاني

وأبو شاكر الديصاني رجس من أرجاس الكفر والضلال ، وكان من رؤوس الملاحدة في العالم الإسلامي ، وقد جرت بينه وبين الإمام الصادق عليه السلام عدّة مناظرات أفحمه فيها الإمام ، وأبطل مزاعمه ، وكان من بينها ما يلي :

---

(١) المجالس المؤيّديّة / المؤيّد في الدين الشيرازي : ٣٧٧.

١ ـ وجّه أبو شاكر السؤال التالي للإمام الصادق عليه السلام ، قائلاً :

ما الدليل على أنّ لك صانعاً ؟

فأجابه الإمام بأروع الأدلّة التي لا تخطئ قائلاً :

وَجَدْتُ نَفسي لا تَخْلو مِنْ إحْدىٰ جِهَتَيْنِ : إمّا أَنْ أَكونَ صَنَعْتُها أَنا أَوْ صَنَعَها غَيْري ، فَإنْ كُنْتُ صَنَعْتُها فَلا أَخْلو مِنْ أَحَدِ مَعْنَيين : إمّا أَنْ أَكونَ صَنَعْتُها وَكانَتْ مَوْجودَةً ، فَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ بِوجودِها عَنْ صَنْعَتِها ، وَإنْ كانَتْ مَعْدومَةً فَإنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمَعْدومَ لَا يُحْدِثُ شَيْئاً ، فَقَدْ ثَبَتَ الْمَعْنَى الثّالِثُ أَنَّ لي صانِعاً وَهُوَ رَبُّ الْعالَمين(١) .

وبهر أبو شاكر وحار في الجواب ، وبدا عليه العجز ، فقد أقام الإمام عليه السلام عليه الحجّة ، وأثبت ببالغ البرهان وجود الخالق الحكيم المدبّر لهذه الأكوان ، والخالق للإنسان .

٢ ـ دخل الديصاني على الإمام الصادق عليه السلام فقال له :

يا جعفر بن محمّد ، دلّني على معبودي ؟

وكان إلى جانب الإمام غلام بيده بيضة ، فأخذها منه وقال له :

يا دَيْصاني ، هذا حِصْنٌ مَكْنونٌ لَهُ جِلْدٌ غَليظٌ ، وَتَحْتَ الْجِلْدِ الْغَليظِ جِلْدٌ رَقيقٌ ، وَتَحْتَ الْجِلْدِ الرَّقيقِ ذَهَبَةٌ مائِعَةٌ ، وَفِضَّةٌ ذائِبَةٌ ، فَلَا الذَّهَبَةُ الْمائِعَةُ تَخْتَلِطُ بِالْفِضَّةِ الذّائِبَةِ ، وَلَا الْفِضَّةُ الذّائِبَةُ تَخْتَلِطُ بِالذَّهَبَةِ الْمائِعَةِ ، فَهِيَ عَلىٰ حالِها لَا يَخْرُجُ مِنْها خارِجٌ مُصْلِحٌ فَيُخْبِرُ عَنْ صَلاحِها ، وَلَا يَدْخُلُ فيها مُفْسِدٌ فَيُخْبِرُ عَنْ فَسادِها ، لَا يُدْرىٰ لِلذَّكَرِ خُلِقَتْ أَمْ لِلْأُنْثىٰ ، تَنْفَلِقُ عَنْ مِثْلِ أَلْوانِ الطَّواويسِ ، أَترىٰ لَها مُدَبِّراً ؟

---

(١) بحار الأنوار : ٣ : ٥٠ . نور البراهين : ١٢٠ . مستدرك سفينة البحار : ٦ : ٣٧٩ .

وأطرق الديصاني مليّاً إلى الأرض ، وأعلن التوبة والإسلام والبراءة ممّا قاله(١) .

وأقام الإمام عليه السلام الحجّة عليه ، فقد ضرب له مثلاً بتركيب البيضة التي هي من عجائب مخلوقات الله تعالى ، فهي تنتج الأنواع المختلفة من الطيور ، ومن أبدعها الطاووس بما يحمل في ريشه من الألوان الزاهية البديعة ، إنّه من مصنوعات الله الخالق العظيم التي لا يجحدها إلّا الجاهلون .

ابن أبي العوجاء

وعبدالكريم بن أبي العوجاء رأس من رؤوس الكفر والإلحاد في العالم العربي ، وبالإضافة إلى إلحاده إنّه كان يهاجم الأخلاق التي يكبرها الناس ، كما كان يهاجم القيم والتقاليد التي يخضع لها المسلمون .

وبالإضافة إلى إلحاده إنّه كان فاحش اللسان ، وكان في بداية أمره من تلامذة الحسن البصري ، ثمّ انحرف عن التوحيد ، فقيل له : تركت مذهب صاحبك ، ودخلت فيما لا أصل له ؟

فقال : إنّ صاحبي كان مخلطاً يقول : طوراً بالقدر ، وطوراً بالجبر ، فما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه(٢) .

وكان يفسد الأحداث فتهدّده عمرو بن عبيد فلحق بالكوفة ، وفيه يقول بشّار بن برد :

قُلْ لِعَبدِالْكَريمِ يابْنَ أَبـي العَو ... جاء بِعْتَ الإِسلامَ بِالْكُفْرِ فَـوقا

لا تُصَلّي ولا تَصومُ فَإِنْ صُمتَ ... فَـبعضُ النَّـهارِ صَـوماً رَقـيقا

---

(١) الاحتجاج : ٢ : ٢٠١ و ٢٠٢ . اُصول الكافي : ١ : ٨٠ .

(٢) الاحتجاج : ٢ : ٢٠٦ و ٢٠٧ .

ما تُبالي إذا شَرِبتَ مِنَ الخَمْرِ   عَتيقاً أو لا يكونُ عَتيقا [١]

وقد جرت بينه وبين الإمام الصادق عليه السلام عدّة مناظرات أفحمه فيها الإمام، وبان عليه العجز، ولم يستطع الكلام، كان من بينها ما يلي:

١ ـ إنّ عصابة من الملحدين كانوا في مكّة المكرّمة أيّام موسم الحجّ، وهم: عبدالكريم، وابن طالوت، وابن الأعمى، وابن المقفّع مع نفر من الزنادقة، وكان الإمام الصادق عليه السلام آنذاك في الجامع الأعظم، وقد احتفّ به المسلمون يسألونه عن معالم دينهم، وأحكام حجّهم، وهو يجيبهم عن مسائلهم.

فقال أصحاب ابن أبي العوجاء له: هل لك في تغليط هذا الجالس وسؤاله عمّا يفضحه عند هؤلاء المحيطين به، فقد ترى فتنة الناس به وهو علّامة زمانه؟

فأجابهم ابن أبي العوجاء إلى ذلك، وانبرى نحو الإمام، فلمّا مثل أمامه قال له:

يا أبا عبدالله، إنّ المجالس أمانات، ولا بدّ لكلّ من كان به سعال أن يسعل، فتأذن لي في السؤال؟

وسمح له الإمام بالسؤال، وانبرى ابن أبي العوجاء بلا أدب قائلاً:

إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر ـ يعني الحجر الأسود ـ وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب ـ أي الآجر ـ والمدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر، مَن فكّر هذا وقدّر علم أنّه فعل غير حكيم، ولا ذي نظر، فقل فإنّك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك اُسّه ونظامه.

وتأثّر الإمام عليه السلام من كلام هذ الملحد الذي لا نصيب له من الأدب، فقال له:

إنَّ مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ وَأَعْمىٰ قَلْبَهُ اسْتَوْخَمَ الْحَقَّ وَلَمْ يَسْتَعْذِبْهُ، وَصارَ الشَّيْطانُ وَلِيَّهُ

---

(١) لسان الميزان: ٤: ٥٢.

وَرَبَّهُ ، وَيورِدُهُ مَوارِدَ الْهَلَكَةِ وَلا يُصْدِرُهُ ، وَهذا بَيْتٌ اسْتَعْبَدَ اللهُ بِهِ خَلْقَهُ لِلْمُصَلِّينَ لَهُ ، فَهُوَ شُعْبَةٌ مِنْ رِضْوانِهِ ، وَطَريقٌ يُؤَدّي إلىٰ غُفْرانِهِ ، مَنْصوبٌ عَلى اسْتِواءِ الْكَمالِ ، وَمَجْمَعُ الْعَظَمَةِ وَالْجَلالِ ، خَلَقَهُ اللهُ تَعالىٰ قَبْلَ دَحْوِ الْأَرْضِ بِأَلْفَي عامٍ ، فَأَحَقُّ مَنْ أُطيعَ فيما أَمَرَ ، وَانْتَهِيَ عَمّا زَجَرَ الْمُنْشِئُ لِلْأَرْواحِ وَالصُّوَرِ .

واندفع ابن أبي العوجاء فقطع على الإمام كلامه الذي أعرب فيه عن سموّ منزلة الكعبة المقدّسة ، فقال : ذكرت يا أبا عبدالله فأحلت على غائب .

وزجره الإمام فقال له : **كَيْفَ يَكونُ** ـ يعني الله تعالى ـ **يا وَيْلَكَ غائِباً مَنْ هُوَ مَعَ خَلْقِهِ شاهِدٌ ، وَإِلَيْهِمْ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَريدِ ، يَسْمَعُ كَلامَهُمْ ، وَيَعْلَمُ أَسْرارَهُمْ ، لا يَخْلو مِنْهُ مَكانٌ ، وَلا يَشْغَلُ بِهِ مَكانٌ ، وَلا يَكونُ مِنْ مَكانٍ أَقْرَبَ مِنْ مَكانٍ ، تَشْهَدُ لَهُ بِذلِكَ آثارُهُ ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ أَفْعالُهُ ، وَالَّذي بَعَثَهُ بِالآياتِ الْمُحْكَمَةِ ، وَالْبَراهينِ الْواضِحَةِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله جاءَنا بِهٰذِهِ الْعِبادَةِ ، فَإِنْ شَكَكْتَ في شَيْءٍ فَسَلْ عَنْهُ أُوَضِّحْهُ لَكَ .**

وحار ابن أبي العوجاء ، وورم أنفه ، ولم يدرِ ما يقول ، وقام منهزماً نحو أصحابه ، وقد بان عليه العجز ، وأخذ يعتب على أصحابه قائلاً لهم : سألتكم أن تلتمسوا لي خمرة[١] فألقيتموني على جمرة .

فصاح به أصحابه محتقرين له قائلين : اسكت فوالله لقد فضحتنا بحيرتك وانقطاعك ، ما رأينا أحقر منك اليوم في مجلسه ؟

وردّ عليهم قائلاً : إليَّ تقولون هذا ؟ إنّه ابن مَن حلق رؤوس من ترون ، وأومأ بيده إلى أهل الموسم[٢] .

---

(١) **الخمرة** : الخمر .

(٢) الكنى والألقاب : ١ : ١٩٢ و ١٩٣ .

وكيف يقف هذا الجاهل الغبي الذي أنكر الله تعالى أمام سليل النبوّة ومفجّر العلم والحكمة في الأرض ؟!

٢ ـ وحضر موسم الحجّ ابن المقفّع وعبدالكريم بن أبي العوجاء ليبثّا بين صفوف المسلمين أفكارهم الإلحاديّة ، وكان الإمام الصادق عليه السلام في المسجد الحرام ، فقال ابن المقفّع يخاطب أصحابه : ترون هذا الخلق ـ وأومأ إلى الحجّاج الذين يطوفون حول البيت الحرام ـ ما منهم أحد أوجب له إسم الإنسانيّة ، إلّا ذلك الشيخ الجالس ، وأشار إلى الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام .

فبهر عبدالكريم وقال : كيف أوجبت هذا الإسم ـ يعني الإنسانيّة ـ له دون هؤلاء ؟

وانبرى ابن المقفّع قائلاً : لأنّي رأيت عنده ما لم أره عندهم .

وأخذ الحسد أي مأخذ من ابن أبي العوجاء ، وراح يقول : لا بدّ من اختبار ما قلت فيه منه .

فنهاه ابن المقفّع وقال له : لا تفعل ، فإنّي أخاف أن يفسد عليك ما في يدك[١] .

وأصرّ ابن أبي العوجاء على فكره قائلاً : ليس ذا رأيك ، ولكن تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إيّاه المحلّ الذي وصفت .

وردّ عليه ابن المقفّع قائلاً : أما إذا توهّمت عليَّ هذا فقم إليه ، وتحفّظ ما استطعت من الزلل ، ولا تثني عنانك[٢] إلى استرسال فيسلمك إلى عقال ، وسمه ما لك أو عليك .

وانطلق ابن أبي العوجاء صوب الإمام عليه السلام ، وجرت بينهما مناظرة أُفْحِمَ فيها ابن أبي العوجاء ، وخرج مبهوراً ، قد ملك الإمام قلبه ومشاعره ، ورجع إلى قومه

---

(١) **ما في يدك** : يعني معتقدك .

(٢) **لا تثني عنانك** : أي لا ترخي عنانك له .

يحدّثهم بما جرى بينه وبين الإمام قائلاً لابن المقفّع : ويلك يابن المقفّع ما هذا ببشر ، وإن كان في الدنيا روحاني يتجسّد إذا شاء ظاهراً ، ويتروّح إذا شاء باطناً فهو هذا !

أرأيتم ما أبداه هذا الملحد من الإعجاب والإكبار للإمام عليه السلام الذي هو ملء فم الدنيا في علومه ومواهبه وعبقريّاته .. وانبرى أصحاب ابن أبي العوجاء يسألونه عمّا دار بينه وبينه الإمام من الحديث فأجابهم قائلاً : جلست إليه ، فلمّا لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال :

إنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلىٰ ما يَقولُ هؤُلاءِ وَهُوَ عَلىٰ ما يَقُولونَ - يعني أهل الطواف - فَقَدْ سَلِموا وَعَطِبْتُمْ ، وَإنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلىٰ ما تَقولونَ ، وَلَيْسَ كَما تَقولونَ ، فَقَدِ اسْتَوَيْتُمْ وَهُمْ .

وفزع ابن أبي العوجاء لما علم الإمام بقصده ومحاورته التي جاء من أجلها ، فأسرع قائلاً :

يرحمك الله ، وأي شيء نقول ؟ وأي شيء يقولون ؟ ما قولي وقولهم إلّا واحد .

وأنكر الإمام عليه السلام أن يكون رأي ابن أبي العوجاء متّفقاً مع رأي الموحّدين قائلاً :

وَكَيْفَ يَكونُ قَوْلُكَ وَقَوْلُهُمْ واحِداً ؟ وَهُمْ يَقولونَ : إنَّ لَهُمْ مَعاداً وَثَواباً وَعِقاباً ، وَيَدِينونَ بِأَنَّ في السَّماءِ إلهاً ، وَأَنَّها عُمْرانٌ ، وَأَنْتُمْ تَزْعُمونَ أَنَّ السَّماءَ خَرابٌ لَيْسَ فيها أَحَدٌ .

واغتنم ابن أبي العوجاء كلام الإمام وراح يُشكل عليه قائلاً : فما منعه - أي : الله تعالى - إن كان الأمر كما يقولون - يعني أهل التوحيد - أن يظهر لخلقه ، ويدعوهم إلى عبادته ، حتّى لا يختلف منهم اثنان ، ولِمَ احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل ؟ ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به ؟

وردّ الإمام عليه السلام أوهامه قائلاً:

وَيْلَكَ! كَيْفَ احْتَجَبَ عَنْكَ مَنْ أَراكَ قُدْرَتَهُ في نَفْسِكَ، نُشُوءَكَ وَلَمْ تَكُنْ، وَكِبَرَكَ بَعْدَ صِغَرِكَ، وَقُوَّتَكَ بَعْدَ ضَعْفِكَ وَضَعْفَكَ بَعْدَ قُوَّتِكَ، وَسُقْمَكَ بَعْدَ صِحَّتِكَ وَصِحَّتَكَ بَعْدَ سُقْمِكَ، وَرِضاكَ بَعْدَ غَضَبِكَ وَغَضَبَكَ بَعْدَ رِضاكَ، وَحُزْنَكَ بَعْدَ فَرَحِكَ وَفَرَحَكَ بَعْدَ حُزْنِكَ، وَحُبَّكَ بَعْدَ بُغْضِكَ وَبُغْضَكَ بَعْدَ حُبِّكَ، وَعَزْمَكَ بَعْدَ أَناتِكَ وَأَناتَكَ بَعْدَ عَزْمِكَ، وَشَهْوَتَكَ بَعْدَ كَراهَتِكَ وَكَراهَتَكَ بَعْدَ شَهْوَتِكَ، وَرَغْبَتَكَ بَعْدَ رَهْبَتِكَ وَرَهْبَتَكَ بَعْدَ رَغْبَتِكَ، وَرَجائَكَ بَعْدَ يَأْسِكَ وَيَأْسَكَ بَعْدَ رَجائِكَ، وَخاطِرَكَ بِما لَمْ يَكُنْ في وَهْمِكَ، وَعُزُوبَ ما أَنْتَ مُعْتَقِدُهُ عَنْ ذِهْنِكَ.

وأخذ الإمام يعدّد ما يطرأ على النفس من الحالات المختلفة والمتباينة، والتي تدلّ -بوضوح- على وجود خالقها العظيم الذي أوجد فيها هذه التطوّرات، التي هي شبيهة بالأمواج التي تنحلّ بعضها ببعض، ورحم الله السماوي إذ يقول في تغيّرات النفس:

فيكِ يا نَفسُ كَما في الكَونِ نورٌ وظَلام
أَنتِ حَربٌ وسَلامٌ وهوَ حَربٌ وَسلام
كُلَّما سادَ نِظامٌ فيكِ يَنْدَكُّ نِظام

إنّ النفس بما انطوت عليه من العوالم الغريبة لتنادي بوجود الله تعالى، وإنّ الذي يشكّ في ذلك، فهو غير مستقيم الفكر، قد زاغ قلبه، وضلّ عن الطريق القويم.

وعلى أي حال، فإنّ ابن أبي العوجاء لمّا سمع هذه الحجج الدامغة من سليل النبوّة انهزم، وأخذ ينفق ليله ساهراً يفتّش عن دليل يتمسّك به للردّ على الإمام عليه السلام، وفي اليوم الثاني خفّ مسرعاً نحو الإمام عليه السلام، فجلس ساكتاً لا ينطق بشيء، فقال له

الإمام: **كَأَنَّكَ جِئْتَ تُعِيدُ بَعْضَ ما كُنّا فيه ؟**

فأسرع ابن أبي العوجاء قائلاً: أردت ذلك يابن رسول الله ؟

وسخر منه الإمام قائلاً: **ما أَعْجَبَ هٰذا ، تُنْكِرُ اللهَ وَتَشْهَدُ أَنّي ابْنُ رَسولِ اللهِ !**

واعتذر ابن أبي العوجاء فقال: العادة تحملني على ذلك.

وظلّ ابن أبي العوجاء ساكتاً لا ينطق ببنت شفة ، فقال له الإمام: **ما يَمْنَعُكَ مِنَ الْكَلامِ ؟**

وكشف ابن أبي العوجاء السرّ في إحجامه عن الكلام قائلاً: إجلالاً لك ومهابة ، ما ينطق لساني بين يديك ، فإنّي شاهدت العلماء ، وناظرت المتكلّمين ، فما تداخلني هيبة قطّ مثل ما تداخلني من هيبتك.

وبادر الإمام يفنّد شبهه وأوهامه ، قائلاً له: **أَمَصْنوعٌ أَنْتَ أَوْ غَيْرُ مَصْنوعٍ ؟**

وانبرى ابن أبي العوجاء مصرّاً على كفره قائلاً: أنا غير مصنوع.

وأجابه الإمام قائلاً: **صِفْ لي لَوْ كُنْتُ مَصْنوعاً كَيْفَ كُنْتَ تَكون ؟**

ووجم ابن أبي العوجاء لا يستطيع أن يتكلّم ، فقد سدّ عليه الإمام كلّ نافذة ، وكانت بين يديه خشبة ، فاعتمد عليها ، ورفع رأسه ليصف نفسه إلى الإمام عليه السلام قائلاً: طويل ، عريض ، عميق ، قصير ، متحرّك ، ساكن ، كلّ ذلك صفة خلقه.

وأسرع الإمام عليه السلام قائلاً:

فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَعْلَمْ صِفَةَ الصَّنْعَةِ غَيْرَها ، فاجْعَلْ نَفْسَكَ مَصْنوعاً ، لِما تَجِدُ في نَفْسِكَ مِمّا يَحْدُثُ مِنْ هٰذِهِ الأُمورِ.

وارتبك ابن أبي العوجاء فلم يدرِ ما يقول ، واعترف بالعجز قائلاً: سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك ، ولا يسألني أحد بعدك عن مثلها.

وبادر الإمام قائلاً: **هَبْكَ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَسْأَلْ فيما مَضىٰ ، فَما عِلْمُكَ أَنَّكَ لا تُسْأَلُ**

فيما بَعْدُ ، علىٰ أَنَّك يا عَبْدَالكَريمِ نَقَضْتَ قَوْلَكَ لأَنَّك تَزْعَمُ أَنَّ الْأَشْياءَ مِنَ الْأَوَّلِ سَواءٌ ، فَكَيْفَ قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ .

يا عَبْدَالْكَريمِ أُزيدُكَ وُضوحاً ، أَرَأَيْتَ لَوْ كانَ مَعَكَ كيسٌ فيهِ جَواهِرٌ ، فَقالَ لَكَ قائِلٌ : هَلْ في الْكيسِ دينارٌ ؟ فَنَفَيْتَ كَوْنَ الدِّينارِ في الْكيسِ ، فَقالَ لَكَ : صِفْ لي الدِّينارَ ، وَكُنْتَ غَيْرَ عالِمٍ بِصِفَتِهِ ، هَلْ كانَ لَكَ أَنْ تَنْفي كَوْنَ الدّينارِ عَنِ الْكيسِ ، وَأَنْتَ لا تَعْلَمْ .

قال ابن أبي العوجاء : لا .

فقال عليه السلام له : الْعالِمُ أَكْبَرُ ، وَأَطْوَلُ ، وَأَعْرَضُ مِنَ الْكيسِ ، فَلَعَلَّ في الْعالَمِ صَنْعَةٌ مِنْ حَيْثُ لا تَعْلَمْ صِفَةَ الصَّنْعَةِ مِنْ غَيْرِ الصَّنْعَة .

فانقطع ابن أبي العوجاء عن الكلام ، واعترف بواقعيّة التوحيد في لسانه ، إلّا أنّه لم يؤمن به بقلبه .. وعاد إلى مجلس الإمام الصادق عليه السلام في اليوم الثالث ، وطلب من الإمام عليه السلام أن يسمح له بالسؤال ، فسمح له ، فقال : ما الدليل على حدوث الأجسام ؟

فأجابه الإمام عليه السلام جواباً فلسفيّاً مبنيّاً على الدقّة قائلاً :

إنّي ما وَجَدْتُ شَيْئاً صَغيراً وَلا كَبيراً إذا ضُمَّ إلَيْهِ مِثْلُهُ ـ وذلك بأن يمتزجا ـ صارَ أَكْبَرَ ، وَفي ذلِكَ زَوالٌ وَانْتِقالٌ عَنِ الْحالَةِ الأُولى ـ أي الصغر ـ وَلَوْ كانَ قَديماً ما زالَ وَلا حالَ؛ لأَنَّ الَّذي يَزولُ وَيَحولُ يَجوزُ أَنْ يوجَدَ وَيَبْطَلَ ، فَيَكونُ بِوجودِهِ بَعْدَ عَدَمِهِ دُخولٌ في الحَدَثِ ، وَفي كَوْنِهِ في الْأَزَلِ دُخولُهُ في الْعَدَمِ ، وَلَنْ تَجْتَمِعَ صِفَةُ الْأَزَلِ وَالْعَدَمِ ، وَالْحدوثِ وَالْقِدَمِ في شَيْءٍ واحِد .

وانبرى عبدالكريم قائلاً : هبك علمت في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت ، واستدللت بذلك على حدوثها ، فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدلّ على حدوثهنّ ؟

فقال عليه السلام: **إنَّما نَتَكَلَّمُ عَلىٰ هـذَا الْعالَمِ الْمَوْضوعِ، فَلَوْ رَفَعْناهُ، وَوَضَعْنا عالَماً آخَرَ كانَ لَا شَيْءَ أَدَلَّ عَلَى الْحَدَثِ مِنْ رَفْعِنا إيّاهُ وَوَضْعِنا غَيْرَهُ، وَلكِنْ أُجيبُكَ مِنْ حَيْثُ قَدَرْتَ أَنْ تَلْزِمَنا، فَنَقولُ: إنَّ الْأَشْياءَ لَوْ دامَتْ عَلىٰ صِغَرِها لَكانَ في الْوَهْمِ أَنَّهُ مَتىٰ ضُمَّ شَيْءٌ إلَيْهِ مِثْلُهُ كانَ أَكْبَرَ، وَفي جَوازِ التَّغْييرِ عَلَيْهِ خُروجُهُ مِنَ الْقِدَمِ، كَما أَنَّ في تَغْييرِهِ دُخولَهُ في الْحَدَثِ لَيْسَ لَكَ وَراءَهُ شَيْءٌ يا عَبْدَالْكَريمِ.**

وقام ابن أبي العوجاء يجرّ رداء الخزي والخيبة والخسران، وبقي مصرّاً على كفره وإلحاده، لم تنفع معه الحجج الباهرة والأدلّة الساطعة التي أقامها الإمام عليه السلام على بطلان معتقده.. ويقول الرواة: إنّه عاد إلى مقابلة الإمام في السنة الثانية، وكان الإمام عليه السلام في حرم البيت العظيم، فقال له: **ما جاءَ بِكَ إلىٰ هذا الْمَوْضِعِ ؟**

فقال ابن أبي العوجاء: عادة الجسد، وسنّة البلد، ولننظر ما الناس فيه من الجنون، والحلق، ورمي الحجارة.. فنهره الإمام وقال له: **أَنْتَ بَعْدَكَ عَلىٰ عُتُوِّكَ وَضَلالِكَ يا عَبْدَالْكَريمِ.**

ورام أن يتكلّم ابن أبي العوجاء، فصدّه الإمام عن الكلام وقال له: **لَا جِدالَ في الْحَجِّ**. وأضاف يقول: **إنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَما تَقولُ وَلَيْسَ كَما نَقولُ نَجَوْنا وَنَجَوْتَ، وَإنْ كانَ الْأَمْرُ كَما نَقولُ، وَهُوَ كَما نَقولُ، نَجَوْنا وَهَلَكْتَ.**

وورم أنف ابن أبي العوجاء، وانتفخت أوداجه من الغيظ، وأصيب في الوقت بعارض خطير في قلبه، فأمر أصحابه بحمله، ولم يلبث إلّا قليلاً من الوقت حتّى هلك، وبذلك انطوت حياة هذا الملحد الخطير الذي هو رأس الكفر والإلحاد في العالم الإسلامي، والذي عمل جاهداً على تضليل المسلمين، وإفساد عقائدهم بشبهه وأوهامه التي أبطلها الإمام الصادق عليه السلام[1].

---

(١) توحيد المفضّل ـ المقدّمة (ترجمة العلّامة المجلسي): ٧ ـ ١١.

زنديق

ووفد زنديق على الإمام الصادق عليه السلام ، ولم يذكر الرواة اسمه ، وفيما أحسب أنّه من الزنادقة البارزين في عصر الإمام ، والممعنين في الزندقة والإلحاد ، وقد قدّم للإمام عليه السلام مسائل حسّاسة ، فأجاب الإمام عنها ، كان منها ما يلي :

١ ـ كيف يعبد الله الخلقُ ولم يروه ؟

رَأَتْهُ الْقُلوبُ بِنورِ الْإِيمانِ ، وَأَثْبَتَتْهُ الْعُقولُ بِيَقْظَتِها إِثْباتَ الْعَيانِ ، وَأَبْصَرَتْهُ الْأَبْصارُ بِما رَأَتْهُ مِنْ حُسْنِ التَّركيبِ وَإِحْكامِ التَّأْليفِ ، ثُمَّ الرُّسُلُ وَآياتُها ، وَالْكُتُبُ وَمُحْكَماتُها ، وَاقْتَصَرَتِ الْعُلماءُ عَلىٰ ما رَأَتْ مِنْ عَظَمَتِهِ دونَ رُؤْيَتِه .

وحفل جواب الإمام عليه السلام بأروع الأدلّة الوجدانيّة التي لا تقبل الجدل على وجود الخالق العظيم الذي أقام المجرّات في الفضاء ، لا تعتمد على شيء سوى قدرة الله تعالى . إنّ العقول الواعية ، والقلوب المطمئنّة بالإيمان هي التي ترى الله تعالى ، وذلك بما تبصره من بدائع مخلوقاته التي ركّبت بأحسن تركيب ، وأحكم تأليف . والأثر ـ كما يقول المنطقيّون ـ يدلّ على المؤثّر ، والمعلول يدلّ على علّته . إنّ قضيّة وجود الله تعالى أصبحت من القضايا البديهيّة التي لا ينكرها إلّا من زاغ قلبه ، وعميت بصيرته ، وضلّ عن طريق الحقّ .

٢ ـ من أين أثبت أنبياء ورسلاً ؟

إِنّا لَمّا أَثْبَتْنا أَنَّ لَنا خالِقاً صانِعاً مُتَعالياً عَنّا وَعَنْ جَميعِ ما خَلَقَ ، وَكانَ ذلِكَ الصّانِعُ حَكيماً ، لَمْ يَجُزْ أَنْ يُشاهِدَهُ خَلْقُهُ ، وَلا أَنْ يُلامِسوهُ ، وَلا أَنْ يُباشِرَهُمْ وَيُباشِروهُ ، وَيُحاجِجَهُمْ وَيُحاجّوهُ ، ثَبَتَ أَنَّ لَهُ سُفَراءَ في خَلْقِهِ وَعِبادِهِ ، يَدُلّونَهُمْ عَلىٰ مَصالِحِهِمْ وَمَنافِعِهِمْ ، وَما بِهِ بَقاؤُهُمْ ، وَفي تَرْكِهِ فَناؤُهُمْ ، فَثَبَتَ الْآمِرونَ وَالنّاهونَ عَنِ الْحَكيمِ

الْعَليمِ في خَلْقِهِ ، وَثَبَتَ عِنْدَ ذلِكَ أَنَّ لَهُ مُعبدينَ ، هُمْ أَنْبياءُ اللهِ وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ ، حُكَماءُ مُؤَدّينَ بِالْحِكْمَةِ ، مَبْعوثينَ عَنْهُ ، مُشارِكينَ للنّاسِ في أَحْوالِهِمْ عَلىٰ مُشارَكَتِهِمْ لَهُمْ في الْخَلْقِ وَالتَّركيبِ ، مُؤَيَّدينَ مِنْ عِنْدِ الْحَكيمِ الْعَليمِ بِالْحِكْمَةِ وَالدَّلائِلِ وَالْبَراهينِ وَالشَّواهِدِ ، مِنْ إِحْياءِ الْمَوْتىٰ ، وَإِبْراءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ ، فَلا تَخْلو الْأَرْضَ مِنْ حُجَّةٍ يَكونُ مَعَهُ عِلْمٌ يَدُلُّ عَلىٰ صِدْقِ مَقالِ الرَّسولِ ، وَوجوبِ عَدالَتِهِ .

وأضاف الإمام عليه السلام قائلاً :

نَحْنُ نَزْعَمُ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلو مِنْ حُجَّةٍ ، وَلَا تَكونُ الْحُجَّةُ إِلَّا مِنْ عَقِبِ الْأَنْبياءِ ، ما بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً قَطُّ مِنْ غَيْرِ نَسْلِ الْأَنْبياءِ ، وَذلِكَ أَنَّ اللهَ شَرَّعَ لِبَني آدَمَ طَريقاً مُنيراً ، وَأَخْرَجَ مِنْ آدَمَ نَسْلاً طاهِراً طَيِّباً ، أَخْرَجَ مِنْهُ الْأَنْبياءَ وَالرُّسُلَ هُمْ صَفْوَةُ اللهِ ، وَخَلَصَ الْجَوْهَرِ ، طُهِّروا في الْأَصْلابِ ، وَحُفِظوا في الْأَرْحامِ ، لَمْ يُصِبْهُمْ سِفاحُ الْجاهِلِيَّةِ وَلَا شابَ أَنْسابَهُمْ ؛ لأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَهُمْ في مَوْضِعٍ لَا يَكونُ أَعْلىٰ دَرَجَةً وَشَرَفاً مِنْهُ ، فَمَنْ كانَ خازِنُ عِلْمِ اللهِ ، وَأَمينُ غَيْبِهِ ، وَمُسْتَوْدَعُ سِرِّهِ ، وَحُجَّتُهُ عَلىٰ خَلْقِهِ ، وَتُرْجُمانُهُ وَلِسانُهُ لَا يَكونُ إِلَّا بِهٰذِهِ الصِّفَةِ ، فَالْحُجَّةُ لَا يَكونُ إِلَّا مِنْ نَسْلِهِمْ ، يَقومُ مَقامَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله في الْخَلْقِ بِالْعِلْمِ الَّذي عِنْدَهُ ، وَوَرِثَهُ عَنِ الرَّسولِ ، إِنْ جَحَدَهُ النّاسُ سَكَتَ ، وَكانَ بَقاءُ ما عَلَيْهِ النّاسُ قَليلاً مِمّا في أَيْديهِمْ مِنْ عِلْمِ الرَّسولِ عَلَى اخْتِلافٍ مِنْهُمْ فيهِ ، قَدْ أَقاموا بَيْنَهُمُ الرَّأْيَ وَالْقِياسَ ، وَأَنَّهُمْ إِنْ أَقَرّوا بِهِ وَأَطاعوهُ وَأَخَذوا عَنْهُ ، ظَهَرَ الْعَدْلُ ، وَذَهَبَ الْاخْتِلافُ وَالتَّشاجُرُ ، وَاسْتَوَى الْأَمْرُ ، وَبانَ الدّينُ ، وَغَلَبَ عَلَى الشَّكِّ الْيَقينُ ، وَلَا يَكادُ أَنْ يَقِرَّ النّاسُ بِهِ ، وَلَا يُطيعوا لَهُ ، أَوْ يَحْفَظوا لَهُ بَعْدَ فَقْدِ الرَّسولِ ، وَما مَضىٰ رَسولٌ وَلَا نَبِيٌّ قَطُّ لَمْ تَخْتَلِفْ أُمَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَإِنَّما كانَ عِلَّةُ اخْتِلافِهِمْ عَلَى الْحُجَّةِ وَتَرْكِهِمْ إِيّاهُ .

وحكى هذا المقطع من جواب الإمام عليه السلام أموراً بالغة الأهمّية ، وهي :

أوّلاً : إنّه بعدما ثبت من الأدلّة الحاسمة العقليّة والحسّيّة أنّ لهذا الكون خالقاً حكيماً مدبّراً لطيفاً هو أعظم وأجلّ وأسمى من أن يشاهده خلقه . وكان من منّه وألطافه على عباده أن بعث إليهم رسلاً منهم يهدونهم إلى ما يصلحهم ، ويقيمون أودهم ، ويرشدونهم إلى سبل النجاة .

ثانياً : إنّ أنبياء الله ورسله هم صفوة الخلق وخيرتهم ، قد منحهم الله الحكمة وفصل الخطاب ، وأيّدهم بالمعجزات والبراهين لتكون شاهد صدق على ما جاءوا به من المبادئ التي تسمو بالإنسان وترفع مستواه .

ثالثاً : إنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله على عباده ، تذيع أحكامه ، وتنشر معالم دينه ، لئلا تكون للنّاس الحجّة على الله . وإنّ الحجّة بعد موت الأنبياء عليهم السلام هم الأوصياء الذين يقومون بدور إيجابي وفعّال في تبليغ الناس بأحكام الشريعة ، ولا بدّ أن يكونوا من نسل الأنبياء الذين لم تنجّسهم الجاهليّة بأنجاسها ، ولم تلبسهم من مدلهمّات ثيابها ، فقد خلقوا من الأرحام الطاهرة ، والأصلاب المطهّرة .

رابعاً : إنّ الواجب على الناس إطاعة أوصياء الرسل وأئمّة الهدى ، فإنّ طاعتهم طاعة لله ورسوله . ومن المؤكّد أنّ الناس لو أطاعوهم وساروا على ضوء تعاليمهم لظهر العدل ، وساد الحقّ ، وانحسم الجور ، وانحسر الظلم .

هذه بعض المعالم في جواب الإمام عليه السلام .

٣ ـ ما يصنع بالحجّة إذا كان بهذه الصفة ؟

قَدْ يُقْتَدىٰ بِهِ ، وَيَخْرُجُ عَنْهُ الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ ، مَكانُهُ مَنْفَعَةُ الْخَلْقِ وَصَلاحُهُمْ ، فَإِنْ أَحْدَثوا في دينِ اللهِ شَيْئاً أَعْلَمَهُمْ ، وَإِنْ زادوا فيهِ أَخْبَرَهُمْ ، وَإِنْ نَفَدوا مِنْهُ شَيْئاً أَفادَهُمْ .

لقد ذكر عليه السلام الفوائد المهمّة التي تترتّب على الأئـمّة عليهم السلام ، وأنّـهم مـصدر خير وهدى للنّاس .

٤ ـ من أي شيء خلق الله الأشياء ؟

لَا مِنْ شَيْءٍ .

٥ ـ كيف يجيء من لا شيء شيء ؟

إنَّ الْأَشْياءَ لَا تَخْلو إمّا أَنْ تَكونَ خُلِقَتْ مِنْ شَيْءٍ ، أَوْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ، فَإِنْ خُلِقَتْ مِنْ شَيْءٍ كانَ مَعَهُ ، فَإِنَّ ذلِكَ الشَّيْءَ قَديمٌ ، وَالْقَديمُ لَا يَكونُ حَديثاً وَلَا يَفْنىٰ وَلَا يَتَغَيَّرُ ، وَلَا يَخْلو ذلِكَ الشَّيْءُ مِنْ أَنْ يَكونَ جَوْهَراً واحِداً ، وَلَوْناً واحِداً ، فَمِنْ أَيْنَ جاءَتْ هـٰذِهِ الْأَلْوانُ الْمُخْتَلِفَةُ ، وَالْجَواهِرُ الْكَثيرَةُ الْمَوْجودَةُ في هـٰذَا الْعالَمِ مِنْ ضُروبٍ شَتّىٰ ؟ وَمِنْ أَيْنَ جاءَ الْمَوْتُ إنْ كانَ الشَّيءُ الَّذي اُنْشِئَتْ مِنْهُ الْأَشْياءُ حَيّاً ؟ وَمِنْ أَيْنَ جاءَتِ الْحَياةُ إن كانَ ذلِكَ الشَّيْءُ مَيّتاً ؟ وَلَا يَجوزُ أَنْ يَكونَ مِنْ حَيٍّ وَمَيِّتٍ قَديمَيْنِ لَـمْ يَـزالا ؛ لأَنَّ الْحَيَّ لَا يَجيءُ مِنْهُ مَيِّتٌ ، وَهُوَ لَمْ يَزَلْ حَيّاً ، وَلَا يَجوزُ أَيْضاً أَنْ يَكونَ الْمَيِّتُ قَديماً لَمْ يَزَلْ لِما هُوَ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ؛ لأَنَّ الْمَيِّتَ لَا قُدْرَةَ لَهُ وَلَا بَقاء .

وفي هذا المقطع من كلام الإمام عليه السلام بحوث فلسفيّة غامضة عرضت لها بالتفصيل الموسوعات الفلسفيّة ، كالأسفار وغيرها ، والتعرّض لها مـمّا يـوجب الإطـالة فـي هذا الكتاب .

٦ ـ فمن أين قالوا : إنّ الأشياء أزليّة ؟

هـٰذِهِ مَقالَةُ قَوْمٍ جَحَدوا مُدَبِّرَ الْأَشْياءِ ، فَكَذَّبوا الرُّسُلَ وَمَقالَتَهُمْ ، وَالْأَنْبياءَ وَما أَنْبَأوا عَنْهُ ، وَسَمّوا كُتُبَهُمْ أَساطيرَ ، وَوَضَعوا لأَنْفُسِهِمْ ديناً بِآرائِهِمْ وَاسْتِحْسانِهِمْ ، إنَّ الْأَشْياءَ

تَدُلُّ عَلىٰ حُدوثِها مِنْ دورانِ الْفَلَكِ بِما فيهِ ، وَهِيَ سَبْعَةُ أَفْلاكٍ ، وَتَحَرُّكِ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْها ، وَانْقِلابِ الْأَزْمِنَةِ ، وَاخْتِلافِ الْوَقْتِ ، وَالْحَوادِثِ الَّتي تَحْدُثُ في الْعالَمِ ، مِنْ زِيادَةٍ وَنُقْصانٍ ، وَمَوْتٍ وَبَلاءٍ ، وَاضْطِرارِ النَّفْسِ إِلَى الْإِقْرارِ بِأَنَّ لَها صانِعاً وَمُدبِّراً ، أَلا تَرَى الْحُلْوَ يَصيرُ حامِضاً ، وَالْعَذْبَ مُرّاً ، وَالْجَديدَ بالياً ، وَكُلٌّ إِلىٰ تَغَيُّرٍ وَفَناء .

وعرض الإمام الحكيم في هذا الفصل من أجوبته إلى بطلان أزليّة الأشياء ، وأثبت أنّها حادثة وليست بقديمة منذ الأزل ، وأنّ من يؤمن بأزليّتها إنّما هم الجاحدون لله تعالى ، وقد أقام الإمام عليه السلام أروع الأدلّة على حدوث الأشياء ، والتي منها دوران الأرض ، واختلاف الأزمنة والحوادث التي تجري في العالم ، وغير ذلك من الأحداث التي تدلّل بوضوح على عدم أزليّة الأشياء .

٧ ـ فلم يزل صانع العالم عالماً بالأحداث التي أحدثها قبل أن يُحدثها ؟

فَلَمْ يَزَلْ يَعْلَمُ ، فَخَلَقَ ما عَلِم .

إنّ الله تعالى قد أحاط بكلّ شيء علماً ، وقد خلق وصوّر وأبدع ما علم به .

٨ ـ أمختلف هو أم مؤتلف ؟

لا يَليقُ بِهِ الْاخْتِلافُ ، وَلَا الْائْتِلافُ ، وَإِنَّما يَخْتَلِفُ الْمُتَجَزِّئُ ، وَيَأْتَلِفُ الْمُتَبَعِّضُ ، فَلا يُقالُ لَهُ مُؤْتَلِفٌ وَلَا مُخْتَلِفٌ .

إنّ الاختلاف والائتلاف ، سواء أكانا في الأبعاض والأجزاء أم في الشؤون والأحوال ، إنّما هما من صفات الممكن ، ومن عوارضه ، أمّا واجب الوجود تعالى اسمه فإنّه يستحيل أن يتّصف بذلك أو تطرأ عليه مثل هذه الأحوال ، كما دلّل على ذلك في البحوث الفلسفيّة والكلاميّة .

٩ ـ فكيف هو الله الواحد ؟

واحِدٌ في ذاتِهِ ، فَلا واحِدٌ كَواحِدٍ؛ لأَنَّ ما سِواهُ مِنَ الْواحِدِ مُتَجَزِّئٌ ، وَهُوَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ واحِدٌ لَا يَتَجَزّأُ ، وَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْعَدُّ .

إنّ الواحد الذي يُطلق على الله تعالى ليس كالواحد الذي يطلق على غيره؛ وذلك لأنّ الغير متجزّئ ، وقابل لأن يُطلق عليه غير الواحد من الأعداد ، وتعالى الله عن ذلك .

١٠ ـ لأي علّة خلق الخلق وهو غير محتاج إليهم ، ولا مضطرّ إلى خلقهم ، ولا يليق به العبث بنا ؟

خَلَقَهُمْ لإظْهارِ حِكْمَتِهِ ، وَإِنْفاذِ عِلْمِهِ ، وَإِمْضاءِ تَدْبيرِهِ .

إنّ الله تعالى خلق الخلق ، وخلق غيرهم من العوالم المذهلة والمحيّرة للأفكار ، وذلك لإظهار قدرته اللامتناهية ، وفيضه اللامحدود على جميع العوالم والكائنات .

١١ ـ كيف لا يقتصر على هذه الدار فيجعلها دار ثوابه ، ومحتبس عقابه ؟

إِنَّ هٰذِهِ الدّارَ دارُ ابْتِلاءٍ ، وَمَتْجَرُ الثَّوابِ ، وَمُكْتَسَبُ الرَّحْمَةِ ، مُلِئَتْ آفاتٍ ، وَطَبَقَتْ شَهَواتٍ لِيَخْتَبِرَ فيها عَبيدَهُ بِالطّاعَةِ ، فَلا تَكونُ دارُ عَمَلٍ دارَ جَزاء .

إنّ هذه الدار التي خلقها الله تعالى إنّما هي دار امتحان واختبار ، فمن زكّى نفسه ، وعمل ما يقرّبه إلى الله زلفى ، فقد فاز في الدار الآخرة ، وأمّا من عصى ، وضلّ عن طريق الهدى ، فإنّ جهنّم هي المأوى .

١٢ ـ أمِنْ حكمته أن جعل لنفسه عدوّاً ، وقد كان ولا عدوّ له ، فخلق ـ كما زعمت ـ إبليس ، فسلّطه على عبيده يدعوهم إلى خلاف طاعته ، ويأمرهم بمعصيته ، وجعل له من القوّة ـ كما زعمت ـ ما يصل بلطف الحيلة إلى قلوبهم فيوسوس إليهم ، فيشكّكهم في ربّهم ، ويُلبس عليهم دينهم ، فيزيلهم عن معرفته ، حتّى أنكروا قوم لما وسوس إليهم ربوبيّته ، وعبدوا سواه ، فلِمَ سلّط عدوّه على

عبيده، وجعل له السبيل إلى إغوائهم؟

إِنَّ هٰذَا الْعَدُوَّ الَّذي ذَكَرْتَ لَا تَضُرُّهُ -أي الله تعالى- عَداوَتُهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ وَلايَتُهُ، وَعداوَتُهُ لَا تُنْقِصُ مِنْ مُلْكِهِ شَيْئاً، وَوَلايَتُهُ لَا تَزيدُ فيهِ شَيْئاً، وَإِنَّما يُتَّقَى الْعَدُوُّ إذا كانَ في قُوَّةٍ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، إنْ هَمَّ بِمُلْكٍ أَخَذَهُ، أَوْ بِسُلْطانٍ قَهَرَهُ، فَأَمّا إِبْليسُ فَعَبْدٌ خَلَقَهُ لِيَعْبُدَهُ وَيُوَحِّدَهُ، وَقَدْ عَلِمَ حينَ خَلَقَهُ ما هُوَ، وَإِلىٰ ما يَصيرُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَعْبُدُهُ مَعَ مَلائِكَتِهِ حَتَّى امْتَحَنَهُ بِسُجودِ آدَمَ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذلِكَ حَسَداً وَشَقاوَةً غَلَبَتْ عَلَيْهِ، فَلَعَنَهُ عِنْدَ ذلِكَ، وَأَخْرَجَهُ عَنْ صُفوفِ الْمَلائِكَةِ، وَأَنْزَلَهُ إِلَى الْأَرْضِ مَلْعوناً مَدْحوراً، فَصارَ عَدُوَّ آدَمَ وَوَلَدِهِ بِذلِكَ السَّبَبِ، ما لَهُ مِنَ السَّلْطَنَةِ عَلىٰ وَلَدِهِ إِلَّا الْوَسْوَسَةَ، وَالدُّعاءَ إِلىٰ غَيْرِ السَّبيلِ، وَقَدْ أَقَرَّ مَعَ مَعْصِيَتِهِ لِرَبِّهِ بِرُبوبِيَّتِهِ.

وحكى هذا المقطع من جواب الإمام عليه السلام أنّ الله تعالى لا تنفعه طاعة من أطاعة، ولا تضرّه معصية من عصاه؛ لأنّه صاحب القوّة العظمى، وبيده ملكوت كلّ شيء.

أمّا إبليس فقد علم الله تعالى حين خلقه له ما هو عليه من التمرّد والعصيان، فامتحنه بالسجود لآدم فأبى واستكبر، وقد أظهره بذلك لملائكته، وقد أنزل به عقابه، ولعنته إلى يوم الدين، وحينما استقرّ في الأرض أظهر العداوة القصوى لآدم وذرّيّته، وزيّن لهم كلّ ما يغويهم ويصدّهم عن الطريق المستقيم، وقد أنذر تعالى ابن آدم من اتّباعه، وحذّرهم من سطوته ومكره، وتوعّد التابعين له بالعذاب الأليم.

١٣ ـ أيصلح السجود لغير الله؟

لا.

١٤ ـ كيف أمر الله الملائكة بالسجود لآدم؟

إِنَّ مَنْ سَجَدَ بِأَمْرِ اللهِ سَجَدَ لِلّٰهِ إذا كانَ عَنْ أَمْرِ اللهِ.

وهو جواب وثيق للغاية ، فإنّ السجود إذا كان بأمر الله تعالى فهو سجود له لا سجود لغيره .

١٥ ـ من أين أصل الكهانة ؟ ومن أين يخبر الناس بما يحدث ؟

إنَّ الْكَهانَةَ كانَتْ في الْجاهِلِيَّةِ في كُلِّ حينٍ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ كانَ الْكاهِنُ بِمَنْزِلَةِ الْحاكِمِ يَحْتَكِمونَ إِلَيْهِ فيما يَشْتَبِهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الأُمورِ بَيْنَهُمْ ، فَيُخْبِرُهُمْ عَنْ أَشْياءَ تَحْدَثُ ، وَذلِكَ مِنْ وُجوهٍ شَتّىٰ ، فَراسَةِ الْعَيْنِ ، وَذَكاءِ الْقَلْبِ ، وَوَسْوَسَةِ النَّفْسِ ، وَفِتْنَةِ الرُّوحِ ، مَعَ قَذْفٍ في قَلْبِهِ ، لأَنَّ ما يَحْدَثُ في الْأَرْضِ مِنَ الْحَوادِثِ الظّاهِرَةِ ، فَذلِكَ يَعْلَمُهُ الشَّيْطانُ ، وَيُؤَدّيهِ إِلَى الْكاهِنِ ، وَيُخْبِرُهُ بِما يَحْدَثُ في الْمَنازِلِ وَالْأَطْرافِ .

وَأَمّا أَخْبارُ السَّماءِ فَإِنَّ الشَّياطينَ كانَتْ تَقْعُدُ مَقاعِدَ اسْتِراقِ السَّمْعِ إِذْ ذاكَ ، وَهِيَ لَا تُحْجَبُ ، وَلَا تُرْجَمُ بِالنُّجومِ ، وَإِنَّما مُنِعَتْ مِنِ اسْتِراقِ السَّمْعِ لِئَلّا يَقَعَ فِي الْأَرْضِ سَبَبٌ تَشاكُلِ الْوَحْيِ مِنْ خَبَرِ الشُّبْهَةِ .

وَكانَ الشَّيْطانُ يَسْتَرِقُ الْكَلِمَةَ الْواحِدَةَ مِنْ خَبَرِ السَّماءِ ، بِما يَحْدَثُ مِنَ اللهِ في خَلْقِهِ فَيَخْتَطِفُها ، ثُمَّ يَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَيَقْذِفُها إِلَى الْكاهِنِ ، فَإِذا قَدْ زادَ كَلِماتٍ مِنْ عِنْدِهِ ، فَيَخْلُطُ الْحَقَّ بِالْباطِلِ ، فَما أَصابَ الْكاهِنُ مِنْ خَبَرٍ مِمّا كانَ يُخْبِرُ بِهِ فَهُوَ مِمّا أَدّاهُ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ لِما سَمِعَهُ ، وَما أَخْطَأَ فيهِ فَهُوَ مِنْ باطِلِ ما زادَ فيهِ ، فَمُنْذُ مُنِعَتِ الشَّياطينُ عَنِ اسْتِراقِ السَّمْعِ انْقَطَعَتِ الْكَهانَةُ .

وَالْيَوْمَ إِنَّما تُؤَدّي الشَّياطينُ إِلىٰ كُهّانِها أَخْباراً لِلنّاسِ بِما يَتَحَدَّثونَ بِهِ ، وَما تُحَدِّثونَهُ ، وَالشَّياطينُ تُؤَدّي لِلشَّياطينِ ما يَحْدَثُ في الْبُعْدِ مِنَ الْحَوادِثِ مِنْ سارِقٍ سَرَقَ ، وَمِنْ قاتِلٍ قَتَلَ ، وَمِنْ غائِبٍ غابَ وَهُمْ بِمَنْزِلَةِ النّاسِ أَيْضاً صَدوقٌ وَكَذوب .

وحوى هذا المقطع من جواب الإمام عليه السلام ما يلي :

أوّلاً : إنّ الكهانة تأسّست أيّام الجاهليّة ، حينما لم يكن بين الأمم بصيص من الوعي والعلم .

ثانياً : إنّ الكاهن في تلك العصور المظلمة بمنزلة الحاكم ، وكان الناس يرجعون إليه في اُمورهم .

ثالثاً : إنّ أحكام الكاهن تستند تارة إلى الفراسة ، واُخرى إلى ذكاء القلب ، وثالثة إلى ما يوحي به الشيطان إليه .. هذه بعض الاُمور في كلام الإمام عليه السلام .

١٦ ـ وكيف صعدت الشياطين إلى السماء ، وهم أمثال الناس في الخلقة والكثافة ، وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود من البناء ما يعجز عنه ولد آدم ؟

سُخِّروا لِسُلَيْمانَ ، وَهُمْ خَلْقٌ رَقيقٌ غذاؤُهُمُ النَّسيمُ ، وَالدّليلُ عَلىٰ ذلِكَ صُعودُهُمْ إِلَى السَّماءِ لاسْتِراقِ السَّمْعِ ، وَلَا يَقْدِرُ الْجِسْمُ الْكَثيفُ عَلَى الارْتِقاءِ إِلَيْها بِسُلَّمٍ أَوْ بِسَبَبٍ .

وجواب الإمام عليه السلام في منتهى الروعة والدقّة ، فإنّ الجنّ ليسوا كالبشر في كثافة أجسامهم ، وإنّما هم خلق رقيق جدّاً ، قد جعل الله تعالى غذاءهم من النسيم .

١٧ ـ أخبرني عن السحر ما أصله ؟

وكيف يقدر الساحر على ما يوصف من عجائبه ، وما يفعل ؟

إنَّ السِّحْرَ عَلىٰ وُجوهٍ شَتّىٰ :

وَجْهٌ مِنْها بِمَنْزِلَةِ الطِّبِّ ، فَكَما أَنَّ الْأَطِبّاءَ وَضَعوا لِكُلِّ داءٍ دَواءً ، فَكَذلِكَ عِلْمُ السِّحْرِ ، احْتالوا لِكُلِّ صِحَّةٍ آفَةً ، وَلِكُلِّ عافِيَةٍ عاهَةً ، وَلِكُلِّ مَعْنىً حيلَةً .

وَنَوْعٌ آخَرُ مِنْ خَطْفَةٍ وَسُرْعَةٍ ، وَمَخاريقَ وَخِفَّةٍ .

وَنَوْعٌ آخَرُ ما يأْخُذُ أَوْلياءُ الشَّياطينِ عَنْهُمْ .

١٨ ـ من أين علم الشياطين السحر ؟

مِنْ حَيْثُ عَرِفَ الْأَطِباءُ الطِّبَّ بَعْضُهُ تَجْرِبَةٌ ، وَبَعْضُهُ عِلاجٌ .

١٩ ـ ما تقول في الملكين : هاروت وماروت ، وما يقول الناس بأنّهما يعلّمان الناس السحر ؟

إِنَّهُما مَوْضِعُ ابْتِلاءٍ ، وَمَوْضِعُ فِتْنَةٍ ، تَسْبيحُهُما الْيَوْمَ ، لَوْ فَعَلَ الْإِنسانُ كَذا وَكَذا ، وَلَا يُعالِجُ كَذا وَكَذا ، لَكانَ كَذا ، أَصْنافُ السِّحْرِ ، فَيَتَعَلَّمونَ مِنْهُما ما يَخْرُجُ عَنْهُما ، فَيَقولانِ لَهُمْ : إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَأْخُذوا عَنّا ما يَضُرُّكُمْ وَلَا يَنْفَعُكُمْ .

٢٠ ـ أيقدر الساحر أن يجعل الإنسان بسحره في صورة الكلب أو الحمار أو غير ذلك ؟

هُوَ أَعْجَزُ مِنْ ذلِكَ ، وَأَضْعَفُ مِنْ أَنْ يُغَيِّرَ خَلْقَ اللهِ ، إِنَّ مَنْ أَبْطَلَ ما رَكَّبَهُ اللهُ وَصَوَّرَهُ وَغَيَّرَهُ فَهُوَ شَريكُ اللهِ في خَلْقِهِ ، تَعالَى اللهُ عَنْ ذلِكَ عُلُوّاً كَبيراً ، لَوْ قَدَرَ السّاحِرُ عَلىٰ ما وَصَفْتَ لَدَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ الْهَرَمَ وَالْآفَةَ وَالْأَمْراضَ ، وَلَنَفَى الْبَياضَ عَنْ رَأْسِهِ ، وَالْفَقْرَ عَنْ ساحَتِهِ ، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ السِّحْرِ النَّميمَةَ يُفَرِّقُ فيها بَيْنَ الْمُتَحابّينَ ، وَيَجْلِبُ الْعَداوَةَ عَلَى الْمُتَصافينَ ، وَيَسْفِكُ بِها الدِّماءَ ، وَيَهْدِمُ بِها الدّورَ ، وَيَكْشِفُ بِها السُّتورَ ، وَالنَّمّامُ أَشَرُّ مَنْ وَطَأَ الْأَرْضَ بِقَدَمٍ ، فَأَقْرَبُ أَقاويلِ السِّحْرِ مِنَ الصَّوابِ أَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الطِّبِّ ، إِنَّهُ السّاحِرُ عالَجَ الرَّجُلَ فَامْتَنَعَ مِنْ مُجامَعَةِ النِّساءِ ، فَجاءَ الطَّبيبُ فَعالَجَهُ بِغَيْرِ ذلِكَ الْعِلاجِ فَأُبْرِئَ .

إنّ الساحر أعجز وأضعف من أن يغيّر أو يبدّل ما خلق الله تعالى ، ولو كان قادراً على ذلك لأصبح شريكاً له تعالى في خلقه ، ولو كان قادراً لنفى الهرم والشيخوخة

عن نفسه، وهو أعجز من أن يقوم بذلك.

وعرض الإمام عليه السلام إلى النمّام، فشنّ عليه حملة شعواء، وأنّه من مصادر الفساد في الأرض، وأنّ ما يلحق بالناس من أضرار بالغة عن نميمته من سفك الدماء، وهدم المنازل وغير ذلك كلّها مسؤول عنها النمّام ومعاقب عليها.

٢١ ـ ما بال ولد آدم فيهم شريف ووضيع؟

الشَّريفُ الْمُطيعُ، وَالْوَضيعُ الْعاصي.

٢٢ ـ أليس فيهم فاضل ومفضول؟

إِنَّما يَتَفاضَلونَ بِالتَّقْوى.

٢٣ ـ أتقول: إنّ ولد آدم كلّهم سواء في الأصل لا يتفاضلون إلّا بالتقوى؟

نَعَمْ، إِنّي وَجَدْتُ أَصْلَ الْخَلْقِ التُّرابَ، وَالْأَبُ آدَمُ، وَالْأُمُّ حَوّاءُ، خَلَقَهُمْ إِلـهٌ واحِدٌ، وَهُمْ عَبيدُهُ. إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اخْتارَ مِنْ وُلْدِ آدَمَ أُناساً طَهَّرَ ميلادَهُمْ، وَطَيَّبَ أَبْدانَهُمْ، وَحَفِظَهُمْ في أَصْلابِ الرِّجالِ وَأَرْحامِ النِّساءِ. أَخْرَجَ مِنْهُمُ الْأَنْبياءَ وَالرُّسُلَ، فَهُمْ أَزْكىٰ فُروعَ آدَمَ. فَعَلَ ذلِكَ لِأَمْرٍ اسْتَحَقّوهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلكِنْ عَلِمَ اللهُ مِنْهُمْ حينَ ذَرَأَهُمْ أَنَّهُمْ يُطيعونَهُ وَيَعْبُدونَهُ، وَلَا يُشْرِكونَ بِهِ شَيْئاً، فَهؤُلاءِ بِالطّاعَةِ نالوا مِنَ اللهِ الْكَرامَةَ وَالْمَنْزِلَةَ الرَّفيعَةَ عِنْدَهُ، وَهؤُلاءِ الَّذينَ لَهُمُ الشَّرَفُ وَالْفَضْلُ وَالْحَسَبُ، وَسائِرُ النّاسِ سَواءٌ، أَلا مَنِ اتَّقَى اللهَ أَكْرَمَهُ، وَمَنْ أَطاعَهُ أَحَبَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّهُ لَمْ يُعَذِّبْهُ بِالنّارِ.

وحكى جواب الإمام عليه السلام عن المادّة التي تكوّن وخُلق منها الإنسان، فقد تكوّن من التراب، فهو منشأه وأصله، وإليه يعود. وقد اختار الله تعالى من ذرّيّة آدم الصفوة والجوهر، فجعلهم أنبياءً ورسلاً لعباده يبلّغون أحكامه، ويرشدون عباده، ويهدونهم إلى سواء السبيل، وما عدا هؤلاء من الخلق فهم متساوون لا يفضّل أحد

منهم على أحد إلّا بالتقوى ، ألا هي المقياس الصحيح في التفاضل بين النّاس .

٢٤ ـ أخبرني عن الله عزّ وجلّ كيف لم يخلق الخلق كلّهم مطيعين ، موحّدين ، وكان على ذلك قادراً ؟

لَوْ خَلَقَهُمْ مُطيعينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ثَوابٌ؛ لأَنَّ الطّاعَةَ إذا ما كانَتْ مِنْ فِعْلِهِ لَمْ تَكُنْ جَنَّةٌ وَلَا نارٌ ، وَلكِنْ خَلَقَ خَلْقَهُ فَأَمَرَهُمْ بِطاعَتِهِ وَنَهاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِرُسُلِهِ ، وَقَطَعَ عُذْرَهُمْ بِكُتُبِهِ ، لِيَكونوا هُمُ الَّذينَ يُطيعونَ وَيَعْصونَ ، وَيَسْتَوْجِبونَ بِطاعَتِهِمْ لَـهُ الثَّوابَ ، وَبِمَعْصِيَتِهِمْ إيّاهُ الْعِقابَ .

وعرض الإمام عليه السلام في حديث إلى إبطال الجبر ، فإنّ من لوازمه أن لا تكون هناك جنّة ولا نار ، وهذا مستحيل ، فإنّ الله تعالى خلق الجنّة لمن أطاعه ، والنار لمن عصاه ، والطاعة والمعصية خاضعان لإرادة المكلّف واختياره ، ولم يكن مجبوراً على أي واحد منهما ، وقد عرضت الكتب الكلاميّة إلى الاستدلال على ذلك بصورة مفصّلة .

٢٥ ـ فالعمل الصالح من العبد هو فعله ، والعمل الشرّ من العبد هو فعله ؟

الْعَمَلُ الصّالِحُ مِنَ الْعَبْدِ بِفِعْلِهِ ، وَاللهُ بِهِ أَمَرَهُ ، وَالْعَمَلُ الشَّرُّ مِنَ الْـعَبْدِ بِـفِعْلِهِ ، وَاللهُ عَنْهُ نَهاه .

٢٦ ـ أليس فعله بالآلة التي ركّبه فيها ؟

نَعَمْ ، وَلكِنْ بِالآلَةِ الَّتي عَمِلَ بِها الْخَيْرَ ، قَدَرَ عَلَى الشَّرِّ الَّذي نَهاهُ عَنْه .

إنّ الإنسان الذي يعمل الخير هو في نفس الوقت قادر على عمل الشرّ ، وهذا أمر وجداني ، وبهذا الاعتبار استحقّ الثواب ، كما أنّه لو فعل المحرّم استحقّ عليه العقاب .

٢٧ ـ فإلى العبد من الأمر شيء ؟

ما نَهاهُ اللهُ عَنْ شَيْءٍ إلَّا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يُطيقُ تَرْكَهُ ، وَلا أَمَرَهُ بِشَيْءٍ إلَّا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يَسْتَطيعُ فِعْلَهُ ، لأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ الْجَوْرُ وَالْعَبَثُ وَالظُّلْمُ ، وَتَكْليفُ الْعِبادِ ما لا يُطيقون .

إنّ الله تعالى بجميع تكاليفه من واجبات ومحرّمات ، اشترط فيها قدرة العبد على الامتثال ، وقد علم تعالى أنّ العبد قادر على الامتثال ومع قدرة العبد على ذلك ، فلا جبر له على الطاعة ولا على المعصية .

٢٨ ـ فمن خلقه الله كافراً أيستطيع الإيمان ، وله عليه بتركه الإيمان حجّة ؟

إنَّ اللهَ خَلَقَ خَلْقَهُ جَميعاً مُسْلِمينَ ، أَمَرَهُمْ وَنَهاهُمْ ، وَالْكُفْرُ إسْمٌ يَلْحَقُ الْفِعْلَ حينَ يَفْعَلُهُ الْعَبْدُ ، وَلَمْ يَخْلُقِ اللهُ الْعَبْدَ حينَ خَلَقَهُ كافِراً ، إنَّهُ إنَّما كَفَرَ مِنْ بَعْدِ أَنْ بَلَغَ وَقْتاً لَزِمَتْهُ الْحُجَّةُ مِنَ اللهِ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْحَقَّ فَجَحَدَهُ ، فَبِإنْكارِهِ الْحَقَّ صارَ كافِراً .

إنّ الله تعالى خلق عباده على فطرة التوحيد ، وأمرهم بما يقرّبهم إليه زلفى ، وقد اختارت شرائح من الخلق الكفر والإلحاد وجحدوا الحقّ ، وذلك بإرادتهم واختيارهم .

٢٩ ـ أفيجوز أن يقدِّر على العبد الشرّ ، ويأمره بالخير ، وهو لا يستطيع الخير أن يعمله ويعذّبه عليه ؟

إنَّهُ لا يَليقُ بِعَدْلِ اللهِ وَرَأْفَتِهِ أَنْ يُقَدِّرَ عَلَى الْعَبْدِ الشَّرَّ ، وَيُريدَهُ مِنْهُ ، ثُمَّ يَأْمُرَهُ بِما يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَسْتَطيعُ أَخْذَهُ ، وَالإِنْزاعُ عَمّا لا يَقْدِرُ عَلى تَرْكِهِ ، ثُمَّ يُعَذِّبُهُ عَلى أَمْرِهِ الَّذي عَلِمَ أَنَّهُ لا يَسْتَطيعُ أَخْذَه .

وقد أبطل الإمام عليه السلام بذلك جميع الشبه التي أثارها القائلون بالجبر ، وأثبت أنّ

الإنسان مخيّر في فعل الخير والشرّ، وليس هناك إلجاء لأي واحد منهما، فقد منحه الله الإرادة والاختيار في كلّ عمل يعمله.

٣٠ ـ بماذا استحقّ الذين أغناهم، وأوسع عليهم من رزقه الغناء والسعة، وبماذا استحقّ الفقير التقتير والتضييق؟

اخْتَبَرَ الْأَغْنياءَ بِما أَعْطاهُمْ لِيَنْظُرَ كَيْفَ شُكْرُهُمْ، وَالْفُقَراءَ بِما مَنَعَهُمْ لِيَنْظُرَ كَيْفَ صَبْرُهُمْ، وَوَجْهٌ آخَرُ أَنَّهُ عَجَّلَ لِقَوْمٍ في حَياتِهِمْ، وَلِقَوْمٍ أُخَّرَ لِيَوْمِ حاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، وَوَجْهٌ آخَرُ أَنَّهُ عَلِمَ احْتِمالَ كُلِّ قَوْمٍ فَأَعْطاهُمْ عَلىٰ قَدَرِ احْتِمالِهِمْ، وَلَوْ كانَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ أَغْنياءَ لَخَرِبَتِ الدُّنْيا، وَفَسَدَ التَّدبيرُ، وَصارَ أَهْلُها إِلَى الْفَناءِ، وَلكِنْ جَعَلَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ عَوْناً، وَجَعَلَ أَسْبابَ رِزْقِهِمْ في ضُروبِ الْأَعْمالِ، وَأَنْواعِ الصِّناعاتِ، ذٰلِكَ أَدْوَمُ في الْبَقاءِ، وَأَصَحُّ في التَّدبيرِ، ثُمَّ اخْتَبَرَ الْأَغْنياءَ بِالْإِسْتِعْطافِ عَلَى الْفُقَراءِ، كُلُّ ذٰلِكَ لُطْفٌ وَرَحْمَةٌ مِنَ الْحَكيمِ الَّذي لَا يُعابُ تَدْبيرُه.

وأجاب الإمام عليه السلام بثلاثة أجوبة عن التفاوت بين الناس في الغنى والفقر، وهي:

أوّلاً: إنّ هذا التفاوت بين الناس في الغنى والفقر، إنّما هو لاختبار الأغنياء لينظر كيف شكرهم لنعمته، وهل يسعفون الفقراء بما أعطاهم الله من فضله، كما أنّه في نفس الوقت اختبار للفقير هل يصبر على البؤس والحرمان ليعوّضه الله تعالى الجزاء الجزيل؟

ثانياً: إنّه إنّما عجّل الله الثراء لقوم في حياتهم الدنيا، وأمّا الفقراء الصابرون فقد ادّخر لهم الجزاء يوم يلقونه.

ثالثاً: إنّ التفاوت بين الناس في الغنى والثروة، إنّما هو لأجل إقامة النظام الاجتماعي بين الناس، فإنّهم لو أصبحوا كلّهم أغنياء لعطّلت المكاسب، وسادت

البطالة، وفي الحديث الشريف: «لَوْ تَساوَيْتُمْ لَهَلَكْتُمْ»، فالتفاوت إنّما هو لطف ورحمة من الله تعالى على عباده.

٣١ـ فيما استحقّ الطفل الصغير ما يصيبه من الأوجاع والأمراض بلا ذنب عمله، ولا جرم سلف منه؟

إنَّ الْمَرَضَ عَلىٰ وُجوهٍ شَتّىٰ: مَرَضُ بَلْوىٰ، وَمَرَضُ عُقوبَةٍ، وَمَرَضٌ جُعِلَ عِلَّةً لِلْفَناءِ، وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ ذلِكَ مِنْ أَغْذِيَةٍ رَديئَةٍ، وَأَشْرِبَةٍ وَبِيَّةٍ، أَوْ مِنْ عِلَّةٍ كانَتْ بِأُمِّهِ، وَتَزْعُمُ أَنَّ مَنْ يُحْسِنُ السِّياسَةَ لِبَدَنِهِ، وَأَجْمَلَ النَّظَرَ في أَحْوالِ نَفْسِهِ، وَعَرَفَ الضّارَّ مِمّا يَأْكُلُ مِنَ النّافِعِ لَمْ يَمْرَضْ، وَتَميلُ في قَوْلِكَ إِلىٰ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَا يَكونُ الْمَرَضُ وَالْمَوْتُ، إِلَّا مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ! قَدْ ماتَ أَرِسْطاطاليسُ مُعَلِّمُ الْأَطِبّاءِ، وَإِفْلاطونُ رَئيسُ الْحُكَماءِ، وَجالينوسُ شاخَ وَدَقَّ بَصَرُهُ، وَما دَفَعَ الْمَوْتَ حينَ نَزَلَ بِساحَتِهِ، وَلَمْ يَأْلُوا حِفْظَ أَنْفُسِهِمْ وَالنَّظَرَ لِما يُوافِقُها، كَمْ مَريضٍ قَدْ زادَهُ الْمُعالِجُ سَقَماً؟ وَكَمْ مِنْ طَبيبٍ عالِمٍ وَبَصيرٍ بِالْأَدْواءِ وَالْأَدْوِيَةِ ماهِرٍ ماتَ، وَعاشَ الْجاهِلُ بِالطِّبِّ بَعْدَهُ زَماناً؟ فَلَا ذاكَ نَفَعَهُ عِلْمُهُ بِطِبِّهِ عِنْدَ انْقِطاعِ مُدَّتِهِ وَحُضورِ أَجَلِهِ، وَلَا هٰذا أَضَرَّهُ الْجَهْلُ بِالطِّبِّ مَعَ بَقاءِ الْمُدَّةِ وَتَأَخُّرِ الْأَجَلِ.

وأضاف الإمام عليه السلام قائلاً:

إنَّ أَكْثَرَ الْأَطِبّاءِ قالوا: إِنَّ عِلْمَ الطِّبِّ لَمْ تَعْرِفْهُ الْأَنْبِياءُ، فَما نَصْنَعُ عَلىٰ قِياسِ قَوْلِهِمْ بِعِلْمٍ زَعَموا لَيْسَ تَعْرِفُهُ الْأَنْبِياءُ وَيُكَذِّبُ الْكُتُبَ الْمُنْزَلَةَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالىٰ، فَهٰذا أَزْهَدَني في طَلَبِهِ وَحامِليه.

وقسّم الإمام عليه السلام الأمراض إلى أنواع شتّى حسب ما هو مذكور في كلامه، وأكّد أنّها ليست ناجمة فقط عن سوء التغذية، والعدوى من الأمّ، وإنّما لها أسباب أُخرى،

كما فنّد المزاعم التي تحصر المرض والموت في المطعم والمشرب ، فقد لاقى حتفه أرسطاطاليس معلّم الأطباء ، وكذلك إفلاطون رئيس الحكماء ، وجالينوس ، وقد احتاط هؤلاء لأنفسهم كأشّد ما يكون الاحتياط ، فلم ينفعهم ذلك ، وكم بقي على قيد الحياة الجهّال الذين لا معرفة لهم بالطبّ ، وهذا ممّا يدلّل على أنّ الموت بيد الله تعالى ، وأنّ كلّ إنسان يموت بساعته وأجله .

٣٢ ـ كيف تزهد في قوم وأنت مؤدّبهم وكبيرهم ؟

إنّي رَأَيْتُ الرَّجُلَ الْماهِرَ في طِبِّهِ إذا سَأَلْتُهُ لَمْ يَقِفْ عَلىٰ حُدودِ نَفْسِهِ ، وَتَأْليفِ بَدَنِهِ ، وَتَرْكيبِ أَعْضائِهِ ، وَمَجْرَى الْأَغْذيَةِ في جَوارِحِهِ ، وَمَخْرَجِ نَفْسِهِ ، وَحَرَكَةِ لِسانِهِ ، وَمُسْتَقَرِّ كَلامِهِ ، وَنورِ بَصَرِهِ ، وَانْتِشارِ ذَكَرِهِ ، وَاخْتِلافِ شَهَواتِهِ ، وَانْسِكابِ عَبَراتِهِ ، وَمَجْمَعِ سَمْعِهِ ، وَمَوْضِعِ عَقْلِهِ ، وَمَسْكَنِ رَوْحِهِ ، وَمَخْرَجِ عَطَشِهِ ، وَمُهَيِّجِ غُمومِهِ ، وَأَسْبابِ سُرورِهِ ، وَعِلَّةَ ما حَدَثَ فيهِ مِنْ بُكْمٍ وَصَمَمٍ ، وَغَيْرِ ذلِكَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ في ذلِكَ أَكْثَرُ مِنْ أَقاويلَ اسْتَحْسَنوها ، وَعِلَلٍ فيما بَيْنَهُمْ جَوَّزوها .

لقد نعى الإمام الحكيم على الأطباء جهلهم بحقائق الجوارح ، وأعضاء البدن ، والشؤون النفسيّة التي تربط كلّ واحد منها بعدّة أسباب قد جهلوها ولم يقفوا على واقعها ، وليس عندهم من بضاعة سوى أقاويل لا تمتّ إلى العلم بصلة .

٣٣ ـ أخبرني عن الله ، أله شريك في ملكه أو مضادّ له في تدبيره ؟

لا .

٣٤ ـ ما هذا الفساد الموجود في العالم ، من سباع ضارية ، وهوام مخوفة ، وخلق كثير مشوّه ، ودود ، وبعوض ، وحيّات وعقارب ، وزعمت أنّه لا يخلق شيئاً إلّا لعلّة؛ لأنّه لا يعبث ؟

أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ الْعَقارِبَ تَنْفَعُ مِنْ وَجَعِ الْمَثانَةِ وَالْحَصاةِ ، وَلِمَنْ يَبولُ في الْفِراشِ ؟ وَأَنَّ أَفْضَلِ تِرْياقٍ ما عولِجَ مِنْ لُحومِ الْأَفاعي ، فَإِنَّ لَحومَها إذا أَكَلَها الْـمَجْذومُ يَشِبُّ نَفْعُهُ ، وَتَزْعُمُ أَنَّ الدّودَ الْأَحْمَرَ الَّذي يُصابُ تَحْتَ الْأَرْضِ نافِعٌ لِلْآكِلَةِ ؟

الزنديق : نعم .

الإمام : فَأَمّا الْبَعوضُ وَالْبَقُّ فَبَعْضُ سَبَبُهُ أَنَّهُ جَعَلَهُ أَرْزاقَ الطَّيْرِ ، وَأَهانَ بِها جَبّاراً تَمَرَّدَ عَلَى اللهِ وَتَجَبَّرَ ، وَأَنْكَرَ رُبوبِيَّتَهُ ، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ أَضْعَفَ خَلْقِهِ لِيُرِيَهُ قُدْرَتَهُ وَعَظَمَتَهُ ، وَهِيَ الْبَعوضُ ، فَدَخَلَتْ في مَنْخَرِهِ حَتّىٰ وَصَلَتْ إِلىٰ دَماغِهِ فَقَتَلَتْهُ ، وَاعْلَمْ أَنّا لَوْ وَقَفْنا عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ تَعالىٰ لِمَ خَلَقَهُ ؟ وَلِأَيِّ شَيْءٍ أَنْشَأَهُ ؟ لَكُنّا قَدْ ساوَيْناهُ في عِلْمِهِ وَعَلِمْنا كُلَّ ما يَعْلَمُ ، وَاسْتَغْنَيْنا عَنْهُ ، وَكُنّا وَهُوَ في الْعِلْمِ سَواء .

وعرض الإمام عليه السلام في آخر حديثه إلى خلق البعوض والبقّ ، وما يترتّب عليها من فائدة ، فقد جعلهما الله رزقاً للطيور ، خصوصاً المرابطة منها على سواحل البحر في بعض مناطق أفريقيا ، فإنه لولا تلك الطيور ذات الألوان البديعة الممتعة لما عاش إنسان في تلك المناطق من جرّاء البعوض الذي ملأ الفضاء ، فكانت تلك الطيور سدّاً منيعاً من وصولها إلى تلك المناطق ، وهي تعيش عليها (١) .

كما أنّ من حكمة خلق البعوض أنّ الله تعالى أهان بها جبّاراً تمرّد على الله ، وهو نمرود ، فسلّط الله عليه أضعف مخلوقاته ، وهي البعوض فدخلت في أنفه حتّى وصلت إلى دماغه فقتلته .

٣٥ـ أخبرني هل يعاب شيء من خلق الله وتدبيره ؟

لا .

---

(١) من الكفر للإيمان ، وكان ذلك من الأسباب التي دعت المؤلّف مصطفى محمود أن يرفض الشرك والإلحاد ويرجع إلى الإسلام .

٣٦ ـ إنّ الله خلق خلقه عزلاً [١] ، أذلك منه حكمة أم عبث ؟

بَلْ مِنْهُ حِكْمَة .

٣٧ ـ غيّرتم خلق الله ، وجعلتم فعلكم في قطع الغلفة أصوب ممّا خلق الله لها ، وعبتم الأغلف والله خلقه ، ومدحتم الختان وهو فعلكم ، أم تقولون إنّ ذلك من الله كان خطأً غير حكمة ؟

ذلِكَ مِنَ اللهِ حِكْمَةٌ وَصَوابٌ ، غَيْرَ أَنَّهُ سَنَّ ذلِكَ ، وَأَوْجَبَهُ عَلىٰ خَلْقِهِ ، كَما أَنَّ الْمَوْلودَ إِذا خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وَجَدْنا سُرَّتَهُ مُتَّصِلَةً بِسُرَّةِ أُمِّهِ ، كَذلِكَ خَلَقَها الْحَكيمُ ، فَأَمَرَ الْعِبادَ بِقَطْعِها ، وَفي تَرْكِها فَسادٌ بَيِّنٌ لِلْمَوْلودِ وَالْأُمِّ .

وَكَذلِكَ أَظْفارُ الْإِنْسانِ أَمَرَ إِذا طالَتْ أَنْ تُقَلَّمَ ، وَكانَ قادِراً يَوْمَ دَبَّرَ خَلْقَ الْإِنْسانَ أَنْ يَخْلُقَها خِلْقَةً لا تَطولُ .

وَكَذلِكَ الشَّعَرُ مِنَ الشّارِبِ وَالرَّأْسِ يَطولُ ، فَيُجَزُّ .

وَكَذلِكَ الثِّيرانُ خَلَقَها اللهُ فُحولَةً ، وَإِخْصاؤُها أَوْفَقُ ، وَلَيْسَ في ذلِكَ عَيْبٌ في تَقْديرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وكان جواب الإمام عليه السلام عن الإشكال جواباً نقضياً ـ كما يقول الأُصوليّون ـ فقد أنقض عليه بأُمور كثيرة كان منها تقليم الأظافر وإزالة الشعر ، وغيرهما ، وكان باستطاعة الله يوم خلقه لها أن يخلقها خلقة لا تطول كما يقول عليه السلام .

٣٨ ـ ألست تقول : يقول الله تعالى : ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [٢] ، وقد نرى

---

(١) **الأعزل** : الذي لم يُختن.

(٢) غافر ٤٠ : ٦٠.

المضطرّ يدعوه فلا يجاب له ، والمظلوم يستنصره على عدوّه لا ينصره ؟

وَيْحَكَ ! ما يَدْعوهُ أَحَدٌ إِلّا اسْتَجابَ لَهُ ، أَمّا الظّالِمُ فَدعاؤُهُ مَرْدودٌ إِلىٰ أَنْ يَتوبَ إِلَيْهِ ، وَأَمّا الْمُحِقُّ فَإِنَّهُ إِذا دَعاهُ اسْتَجابَ لَهُ ، وَصَرَفَ عَنْهُ الْبَلاءَ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُهُ ، أَوِ ادَّخَرَ لَهُ ثَواباً جَزيلاً لِيَوْمِ حاجَتِهِ إِلَيْهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ الَّذي سَأَلَ الْعَبْدُ خَيْراً لَهُ إِنْ أَعْطاهُ أَمْسَكَ عَنْهُ ، وَالْمُؤْمِنُ العارِفُ بِاللهِ رُبَّما عَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يَدْعوهُ فيما لا يَدْري أَصَوابٌ ذلِكَ أَمْ خَطَأٌ ؟ وَقَدْ يَسْأَلُ الْعَبْدُ رَبَّهُ هَلاكَ مَنْ لَمْ يَنْقَطِعْ مُدَّتُهُ ، أَوْ يَسْأَلِ الْمَطَرَ وَقْتاً ، وَلَعَلَّهُ أَوانٌ لا يَصْلُحُ فيهِ الْمَطَرُ ، لأَنَّهُ أَعْرَفُ بِتَدْبيرِ ما خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ ، وَأَشْباهُ ذلِكَ كَثيرَةٌ ، فَافْهَمْ .

وأدلى الإمام عليه السلام ببعض الشروط التي ينبغي أن تتوفّر لاستجابة الدعاء ، والتي منها أن لا يكون الداعي ظالماً ، فإنّ دعاءه مردود ، فإنّ الله لا يستجيب دعاءه ، وأمّا إذا كان محقّاً ، فإنّ الله تعالى يستجيب دعاءه ويصرف عنه السوء والبلاء من حيث لا يدري ، أو أنّه يدّخره ليوم حاجته له .

وذكر الإمام عليه السلام من موارد استجابة الدعاء أن يكون الموضوع قابلاً للتحقّق ، فإذا لم يكن قابلاً لذلك فإنّه لا يستجاب كما في الدعاء بنزول المطر في غير أوانه ، وأمثال ذلك فإنّه لا يستجاب .

٣٩ ـ أخبرني أيّها الحكيم ما بالُ السماء لا ينزل منها إلى الأرض أحد ، ولا يصعد من الأرض إليها بشر ، ولا طريق إليها ولا مسلك ، فلو نظر العباد في كلّ دهر مرّة من يصعد إليها وينزل ، لكان ذلك أثبت في الربوبيّة ، وأنفى للشكّ ، وأقوى لليقين ، وأجدر أن يعلم العباد أنّ هناك مدبّراً إليه يصعد الصاعد ، ومن عنده يهبط الهابط ؟

إِنَّ كُلَّ ما تَرى في الْأَرْضِ مِنَ التَّدْبيرِ ، إِنَّما هُوَ يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ ، وَمِنْها يَظْهَرُ ، أَما تَرَى الشَّمْسَ مِنْها تَطْلُعُ ، وَهِيَ نورُ النَّهارِ ، وَفيها قِوامُ الدُّنْيا ، وَلَوْ حُبِسَتْ حارَ مَنْ

عَلَيْها وَهَلَكَ ، وَالْقَمَرُ مِنْها يَطْلُعُ ، وَهُوَ نورُ اللَّيْلِ ، وَبِهِ يُعْلَمُ عَدَدُ السِّنينَ وَالْحِسابِ ، وَالشُّهورِ وَالْأَيّامِ ، وَلَوْ حُبِسَ لَحارَ مَنْ عَلَيْها ، وَفَسَدَ التَّدبيرُ ، وَفي السَّماءِ النُّجومُ الَّتي يُهْتَدىٰ بِها في ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَمِنَ السَّماءِ يَنْزِلُ الْغَيْثُ الَّذي فيهِ حَياةُ كُلِّ شَيْءٍ ، مِنَ الزَّرْعِ وَالنَّباتِ وَالْأَنْعامِ ، وَكُلُّ الْخَلْقِ لَوْ حُبِسَ عَنْهُمْ لَما عاشوا ، وَالرِّيحُ لَوْ حَبَسْتَ إِيّاهُ لَفَسَدَتِ الْأَشْياءُ جَميعاً وَتَغَيَّرَتْ ، ثُمَّ الْغَيْمُ وَالرَّعْدُ وَالْبَرْقُ وَالصَّواعِقُ كُلُّ ذٰلِكَ إِنَّما هُوَ دَليلٌ عَلىٰ أَنَّ هُناكَ مُدَبِّراً يُدَبِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَمِنْ عِنْدِهِ يَنْزِلُ ، وَقَدْ كَلَّمَ اللهُ مُوسىٰ وَناجاهُ ، وَرَفَعَ اللهُ عيسى بْنَ مَرْيَمَ ، وَالْمَلائِكَةُ تَنْزِلُ مِنْ عِنْدِهِ ، غَيْرَ أَنَّكَ لا تُؤْمِنُ بِما لَمْ تَرَهُ بِعَيْنِكَ ، وَفيما تَراهُ بِعَيْنِكَ كِفايَةٌ أَنْ تَفْهَمَ وَتَعْقِلَ .

وحكى الإمام الصادق عليه السلام في جوابه أنّ الله تعالى ظهر لعباده بجميع معاني الظهور ، فقد تجلّى لهم في آياته العظام التي منها خلقه للشمس التي تمدّ هذا الكوكب الذي نعيش عليه بجميع مقوّمات الحياة ، فلولا طاقاتها الحراريّة لما عاش الإنسان ، وانعدمت جميع وسائل الحياة ، فهي التي تمدّ الأرض بالعناصر الكيماويّة التي يحتاج إليها الزرع ولولاها لاستحال الزرع .

ومن آياته العظام القمر ، فهو أيضاً يمدّ الأرض ببعض العناصر الكيماويّة التي يحتاج إليها الزرع ، كما أنّ المدّ والجزر في البحار يستندان إلى أشعّته ، وعليهما يتوقّف نظام البحار ، وما فيها من بدائع المخلوقات .

ومن بدائع آياته تعالى الغيث الذي ينزل من السماء ، فقد جعله في وقت محدود ، ولو دام لدمّر ، وبه يحيي الأرض بعد موتها ، ولو حُبس المطر عن الأرض لهلك الإنسان والحيوان .

ومن عظيم آياته الهواء الذي هو العنصر الأساس للحياة ، فلو توقّف لحظة لما عاش الإنسان ، فبالهواء حياته وبقاؤه ، كما أنّه هو العنصر الأساس لبقاء جميع

الكائنات الحيّة على هذا الكوكب.

وهذه الآيات العظيمة كلّها تدلّل على وجود مبدعها ومكوّنها، فالأثر يدلّ على المؤثّر ـ كما يقول علماء المنطق ـ وهي تحكي بلا خفاء وجود الخالق العظيم، خالق الكون وواهب الحياة.

٤٠ ـ فلو أنّ الله ردّ إلينا من الأموات في كلّ مائة عام واحداً لنسأله عن مَن مضى منّا إلى ما صاروا إليه، وكيف حالهم؟ وماذا لقوا بعد الموت؟ وأيّ شيء صُنع بهم؟ ليعمل الناس على اليقين، واضمحلّ الشكّ، وذهب الغلّ عن القلوب؟

إنَّ هٰذِهِ مَقالَةَ مَنْ أَنْكَرَ الرُّسُلَ وَكَذَّبَهُمْ، وَلَمْ يُصَدِّقْ بِما جاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، إذْ أَخْبَروا وَقالوا: إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَ في كِتابِهِ عَلىٰ لِسانِ أَنْبيائِهِ، حالَ مَنْ ماتَ مِنّا، أَفَيَكونُ أَحَدٌ أَصْدَقَ مِنَ اللهِ قَوْلاً وَمِنْ رُسُلِهِ، وَقَدْ رَجَعَ إلَى الدُّنْيا مِمَّنْ ماتَ خَلْقٌ كَثيرٌ مِنْهُمْ (أَصْحابَ الْكَهْفِ) أَماتَهُمُ اللهُ ثَلاثَمائَةِ عامٍ وَتِسْعَةَ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ في زَمانِ قَوْمٍ أَنْكَروا الْبَعْثَ لِيَقْطَعَ حُجَّتَهُمْ، وَلِيُرِيَهُمْ قُدْرَتَهُ، وَلِيَعْلَموا أَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ.

وَأَماتَ اللهُ (أَرمياءَ) النَّبِيَّ الَّذي نَظَرَ إلىٰ خَرابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَما حَوْلَهُ حينَ غَزاهُمْ بُخْتَ نُصَّرُ، وَقالَ: ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾[1]، وَنَظَرَ إلىٰ أَعْضائِهِ كَيْفَ تَلْتَئِمُ، وَكَيْفَ تَلْبَسُ اللَّحْمَ، وَإلىٰ مَفاصِلِهِ وَعُروقِهِ كَيْفَ تُوصَلُ، فَلَمّا اسْتَوى قاعِداً قالَ: ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، وَأَحْيا اللهُ قَوْماً خَرَجوا مِنْ أَوْطانِهِمْ هارِبينَ مِنَ الطّاعونِ لا يُحْصىٰ عَدَدُهُمْ، وَأَماتَهُمُ اللهُ دَهْراً طَويلاً، حَتّىٰ بَلِيَتْ عِظامُهُمْ، وَتَقَطَّعَتْ أَوْصالُهُمْ، وَصاروا تُراباً، فَبَعَثَ اللهُ في وَقْتٍ أَحَبَّ أَنْ يُرِيَ

---

(١) البقرة ٢: ٢٥٩.

خَلْقَهُ قُدْرَتَهُ نَبِيّاً يُقالُ لَهُ : (حِزْقيلُ) ، فَدَعاهُمْ ، فَاجْتَمَعَتْ أَبْدانُهُمْ ، وَرَجَعَتْ أَرْواحُهُمْ ، وَقاموا كَهَيْئَةِ يَوْمَ ماتوا ، لَا يَفْقِدونَ مِنْ أَعْدادِهِمْ رَجُلاً ، فَعاشوا بَعْدَ ذٰلِكَ دَهْراً طَويلاً .

وَأَنَّ اللهَ أَماتَ قَوْماً خَرَجوا مَعَ مُوسىٰ عليه السلام حينَ تَوَجَّهَ إِلَى اللهِ ، فَقالوا : ﴿ أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً ﴾[١] ، فَأَماتَهُمُ اللهُ ثُمَّ أَحْياهُمْ .

وحكى هذا المقطع من جواب الإمام عليه السلام عن جمهرة من الذين أماتهم الله ثمّ أحياهم ، والذين منهم أصحاب الكهف وغيرهم ممّن عدّدهم الإمام ، وقد وجم السائل ، ولم يطق الجواب ، ثمّ توجّه بسؤال آخر إلى الإمام .

٤١ ـ أخبرني عمّن قال بتناسخ الأرواح ، من أي شيء قالوا ذلك ، وبأي حجّة قاموا على مذهبهم ؟

إِنَّ أَصْحابَ التَّناسُخِ قَدْ خَلَّفوا وَراءَهُمْ مَناهِجَ الدّينِ ، وَزَيَّنوا لأَنْفُسِهِمُ الضَّلالاتِ ، وَأَمْرَجوا[٢] أَنْفُسَهُمْ في الشَّهواتِ ، وَزَعَموا أَنَّ السَّماءَ خاوِيَةٌ ، ما فيها شَيْءٌ مِمّا يُوصَفُ ، وَأَنَّ مُدَبِّرَ هٰذَا الْعالَمِ في صورَةِ الْمَخْلوقينَ ، بِحُجَّةِ مَنْ رَوىٰ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلىٰ صورَتِهِ ، وَأَنَّهُ لا جَنَّةَ وَلا نارَ ، وَلا بَعْثَ وَلا نُشورَ ، وَالْقِيامَةُ عِنْدَهُمْ خُروجُ الرّوحِ مِنْ قالَبِهِ ، وَولوجُهُ في قالِبِ آخَرَ ، فَإِنْ كانَ مُحْسِناً في الْقالَبِ الْأَوَّلِ ، أُعيدَ في قالَبِ أَفْضَلَ مِنْهُ حَسَناً في أَعْلىٰ دَرَجَةٍ مِنَ الدُّنْيا ، وَإِنْ كانَ مُسيئاً أَوْ غَيْرَ عارِفٍ صارَ في بَعْضِ الدَّوابِّ الْمُتْعِبضةِ في الدُّنْيا ، أَوْ هَوامٍ مُشَوَّهَةِ الْخِلْقَةِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ صَوْمٌ ، وَلا صَلاةٌ ، وَلا شَيْءٌ مِنَ الْعِبادَةِ أَكْثَرُ مِنْ مَعْرِفَةِ مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِمْ مَعْرِفَتُهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ

---

(١) النساء ٤ : ١٥٣ .

(٢) أمرجوا : أي ذهبوا حيث يشاءون .

شَهَواتِ الدُّنْيا مُباحٌ لَهُمْ ، مِنْ فُروجِ النِّساءِ ، وَغَيْرِ ذلِكَ مِنَ الْأَخَواتِ وَالْبَناتِ وَالْخالاتِ وَذاتِ الْبُعولَةِ ، وَكَذلِكَ الْمَيْتَةُ وَالْخَمْرُ وَالدَّمُ ، فَاسْتَقْبَحَ مَقالاتِهِمْ كُلُّ الْفِرَقِ ، وَلَعَنَتْهُمْ كُلُّ الْأُمَمِ ، فَلَمّا سُئِلوا الْحُجَّةَ زاغوا وَحادوا ، فَكَذَّبَ مَقالَتَهُمُ التَّوْراةُ ، وَلَعَنَهُمُ الْفُرْقانُ ، وَزَعَموا مَعَ ذلِكَ أَنَّ إِلـهَهُمْ يَنْتَقِلُ مِنْ قالَبٍ إِلىٰ قالَبٍ ، وَأَنَّ الْأَرْواحَ الْأَزَلِيَّةَ هِيَ الَّتي كانَتْ في آدَمَ ، ثُمَّ هَلُمَّ جَرّاً ، تَجْري إِلىٰ يَوْمِنا هذا في واحِدٍ بَعْدَ آخَرَ ، فَإِذا كانَ الْخالِقُ في صورَةِ الْمَخْلوقِ ، فَبِما يُسْتَدَلُّ عَلىٰ أَنَّ أَحَدَهُما خالِقُ صاحِبِهِ ؟ !

وَقالوا : إِنَّ الْمَلائِكَةَ مِنْ وُلْدِ آدَمَ كُلُّ مَنْ صارَ في أَعْلىٰ دَرَجَةٍ مِنْ دينِهِمْ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلَةِ الامْتِحانِ وَالتَّصْفِيَةِ فَهُوَ مَلَكٌ ، فَطَوْراً تَخالُهُمْ نَصارىٰ في أَشْياءَ ، وَطَوْراً دَهْرِيَّةً يَقولونَ : إِنَّ الْأَشْياءَ عَلىٰ غَيْرِ الْحَقيقَةِ ، فَقَدْ كانَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ لا يَأْكُلوا شَيْئاً مِنَ اللُّحْمانِ ؛ لأَنَّ الدَّوابَّ كُلَّها مِنْ وُلْدِ آدَمَ حُوِّلوا مِنْ صُوَرِهِمْ ، فَلا يَجوزُ أَكْلُ لُحومِ الْقُرُباتِ .

وقدّم الإمام عليه السلام عرضاً شاملاً عن عقيدة التناسخ ، وما فيها من أوهام وخرافات لا يدعمها منطق ، ولا يساندها فكر ، لا يؤمن بها إلّا من ضلّ عقله ، وانحدر إلى مستوى سحيق من الجهل ما له من قرار .

٤٢ ـ ومن زعم أنّ الله لم يزل ، ومعه طينة مؤذية ، فلم يستطع التفصّي منها إلّا بامتزاجه بها ، ودخوله فيها ، فمن تلك الطينة خلق الأشياء ؟

سُبْحانَ اللهِ وَتَعالىٰ ! أَمّا عَجْزُ إِلـهٍ يوصَفُ بِالْقُدْرَةِ لا يَسْتَطيعُ التَّفَصّي مِنَ الطّينَةِ ! إِنْ كانَتِ الطّينَةُ حَيَّةً أَزَلِيَّةً ، فَكانا إِلـهَيْنِ قَديمَيْنِ فَامْتَزَجا ، وَدُبِّرَ الْعالَمُ مِنْ أَنْفُسِهِما ، فَإِنْ كانَ ذلِكَ كَذلِكَ فَمِنْ أَيْنَ جاءَ الْمَوْتُ وَالْفَناءُ ؟

وَإنْ كانَتِ الطِّينَةُ مَيِّتَةً فَلا بَقاءَ لِلْمَيِّتِ مَعَ الْأَزلي الْقَديمِ ، وَالْمَيِّتُ لا يَجيءُ مِنْهُ حَيٌّ .

وَهٰذِهِ مَقالَةُ الدّيصانِيَّةِ أَشَدِّ الزَّنادِقَةِ قَوْلاً ، وَأَمْهَنِهِمْ مَثَلاً ، نَظَروا في كُتُبٍ قَدْ صَنَّفَها أَوائِلُهُمْ ، وَحَبَّروها بِأَلْغازٍ مُزَخْرَفَةٍ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ ثابِتٍ ، وَلا حُجَّةٍ تُوجِبُ إثْباتَ ما ادَّعوا ، كُلُّ ذٰلِكَ خِلافٌ عَلَى اللهِ ، وَعَلىٰ رُسُلِهِ بِما جاءُوا عَنِ اللهِ .

فَأَمّا مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَبْدانَ ظُلْمَةٌ ، وَالْأَرْواحَ نورٌ ، وَأَنَّ النُّورَ لا يَعْمَلُ الشَّرَّ ، وَالظُّلْمَةَ لا تَعْمَلُ الْخَيْرَ ، فَلا يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَلوموا أَحَداً عَلىٰ مَعْصِيَةٍ ، وَلا رُكوبِ حُرْمَةٍ ، وَلا إتْيانِ فاحِشَةٍ ، وَإنَّ ذٰلِكَ عَنِ الظُّلْمَةِ غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ ؛ لأَنَّ ذٰلِكَ فِعْلُها ، وَلا لَهُ أَنْ يَدْعو رَبّاً ، وَلا يَتَضَرَّعُ إلَيْهِ لأَنَّ النُّورَ الرَّبُّ ، وَالرَّبُّ لا يَتَضَرَّعُ إلىٰ نَفْسِهِ ، وَلا يَسْتَعْبِدُ بِغَيْرِ ، وَلا لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ هٰذِهِ الْمَقالَةِ أَنْ يَقولَ : أَحْسَنْتَ يا مُحْسِنُ أَوْ أَسَأْتَ ؛ لأَنَّ الْإساءَةَ مِنْ فِعْلِ الظُّلْمَةِ ، وَذٰلِكَ فِعْلُها ، وَالْإحْسانُ مِنَ النّورِ ، وَلا يَقولُ النُّورُ لِنَفْسِهِ أَحْسَنْتَ يا مُحْسِنُ ، وَلَيْسَ هُناكَ ثالِثٌ ، وكانَتِ الظُّلْمَةُ عَلىٰ قِياسِ قَوْلِهِمْ ، أَحْكَمَ فِعْلاً وَأَتْقَنَ تَدْبيراً ، وَأَعَزَّ أَرْكاناً مِنَ النّورِ ؛ لأَنَّ الْأَبْدانَ مُحْكَمَةٌ ، فَمَنْ صَوَّرَ هذا الْخَلْقَ صورَةً واحِدَةً عَلىٰ نُعوتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَكُلُّ شَيْءٍ يُرىٰ ظاهِراً مِنَ الزَّهْرِ وَالْأَشْجارِ وَالثِّمارِ ، وَالطَّيْرِ وَالدَّوابِّ ، يَجِبُ أَنْ يَكونَ إلٰهاً ، ثُمَّ حَبَسَتِ النّورَ في حَبْسِها ، وَالدَّوْلَةُ لَها .

وَأَمّا ما ادَّعَوا بِأَنَّ الْعاقِبَةَ سَوْفَ تَكونُ لِلنّورِ ، فَدَعْوىٰ ، وَيَنْبَغي عَلىٰ قِياسِ قَوْلِهِمْ أَنْ لا يَكونَ لِلنُّورِ فِعْلٌ ؛ لأَنَّهُ أَسيرٌ ، وَلَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ ، فَلافِعْلَ لَهُ وَلا تَدْبيرَ ، وَإنْ كانَ لَهُ مَعَ الظُّلْمَةِ تَدْبيرٌ فَما هُوَ بِأَسيرٍ ، بَلْ هُوَ مُطْلَقٌ عَزيزٌ ، فَإنْ لَمْ يَكُنْ كَذٰلِكَ ، وَكانَ أَسيرَ الظُّلْمَةِ ، فَإنَّهُ يَظْهَرُ في هٰذا الْعالَمِ إحْسانٌ ، وَجامِعُ فَسادٍ وَشَرٍّ ، فَهذا يَدُلُّ عَلىٰ أَنَّ الظُّلْمَةَ تُحْسِنُ الْخَيْرَ وَتَفْعَلُهُ ، كَما تُحْسِنُ الشَّرَّ وَتَفْعَلُهُ .

فَإنْ قالوا : مَحالٌ ذٰلِكَ فَلانورُ يَثْبُتُ وَلا ظُلْمَةٌ ، وَبَطَلَتْ دَعْواهُمْ ، وَرَجَعَ الْأَمْرُ إلىٰ أَنَّ

اللهَ واحِدٌ ، وَما سِواهُ باطِلٌ ، فَهٰذِهِ مَقالَةُ ما في الزِّنْديقِ وَأَصْحابِهِ .

وَأَمّا مَنْ قالَ : النُّورُ وَالظُّلْمَةُ بَيْنَهُما حَكَرٌ ، فَلا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكونَ أَكْبَرُ الثَّلاثَةِ الْحَكَمَ ؛ لأَنَّهُ لا يَحْتاجُ إِلَى الْحاكِمِ إِلاَّ مَغْلوبٌ أَوْ جاهِلٌ أَوْ مَظْلومٌ ، وَهٰذِهِ مَقالَةُ الْمانَوِيَّةِ ، وَالْحِكايَةُ عَنْهُمْ تَطولُ .

وحكى الإمام عليه‌السلام بعض المذاهب والأديان الإلحاديّة التي لا تلبث أن تتلاشى وتتهاوى أمام المنطق والدليل ، وقد بيّن الإمام عليه‌السلام ما يواجهها من النقود والمؤاخذات . لقد بنيت تلك المذاهب على فلسفة خرقاء سوداء ، لا سند يدعمها ، ولا برهان يعضدها ، ومن ثمّ اضمحلّت وليس لها أي ركيزة اجتماعيّة .

٤٣ ـ ما قصّة ماني ؟

شَخْصٌ أَخَذَ بَعْضَ الْمَجوسِيَّةِ فَشابَها بِبَعْضِ النَّصرانِيَّةِ فَأَخْطَأَ ، وَلَمْ يُصِبْ مَذْهَباً واحِداً مِنْهُما ، وَزَعَمَ أَنَّ الْعالَمَ دُبِّرَ مِنْ إِلٰهينِ : نورٌ وَظُلْمَةٌ ، وَأَنَّ النُّورَ في حِصارٍ مِنَ الظُّلْمَةِ ، عَلىٰ ما حَكَيْنا مِنْهُ ، فَكَذَّبَتْهُ النَّصارىٰ ، وَقَبِلَتْهُ الْمَجوس .

وحكى الإمام عليه‌السلام بعض المعالم في العقيدة المانويّة التي أباحت كلّ ما حرّمه الله ، وأقرّت كلّ إثم وفساد في الأرض ، وقد لعبت دوراً خطيراً في تضليل الرأي العامّ ، وآمن بها جمهور كبير من المنحرفين والمصابين بأخلاقهم .

٤٤ ـ أخبرني عن المجوس أفبعث الله إليهم نبيّاً ؟ فإنّي أجد لهم كتباً محكمة ومواعظ بليغة ، وأمثالاً شافية ، يقرّون بالثواب والعقاب ، ولهم شرائع يعملون بها ؟

ما مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فيها نَذيرٌ[1] ، وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِمْ نَبِيٌّ بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَأَنْكَروهُ وَجَحَدوه .

---

(١) اقتباس من الآية الكريمة : ﴿ **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ فاطر ٣٥ : ٢٤ .

٤٥ ـ ومن هو ـ أي نبيّ المجوس ـ؟ فإنّ الناس يزعمون أنّه خالد بن سنان ؟

إنَّ خالِداً كانَ عَرَبِيّاً بَدَوِيّاً ، ما كانَ نَبِيّاً ، وَإنَّما ذلِكَ شَيْءٌ يَقولُهُ النّاسُ .

٤٦ ـ افزردشت ؟

إنَّ زَرْدَشْت أَتاهُمْ بِزَمْزَمَةٍ ، وَادَّعى النُّبوَّةَ فَآمَنَ مِنْهُمْ قَوْمٌ وَجَحَدَهُ قَوْمٌ ، فَأَخْرَجوهُ فَأَكَلَتْهُ السِّباعُ في بَرِّيَّةٍ مِنَ الْأَرْضِ .

٤٧ ـ أخبرني عن المجوس كانوا أقرب إلى الصواب في دهرهم أم العرب ؟

الْعَرَبُ في الْجاهِلِيَّةِ كانَتْ أَقْرَبُ إِلَى الدّينِ الْحَنيفِ مِنَ الْمَجوسِ ، وَذلِكَ أَنَّ الْمَجوسَ كَفَرَتْ بِكُلِّ الْأَنْبياءِ ، وَجَحَدَتْ كُتُبَهُمْ ، وَأَنْكَرَتْ بَراهينَهُمْ ، وَلَمْ تَأْخُذْ بِشَيْءٍ مِنْ سُنَنِهِمْ وَآثارِهِمْ ، وَأَنَّ كَيخُسرو مَلِكَ الْمَجوسِ في الدَّهْرِ الْأَوَّلِ قَتَلَ ثَلاثَمائَةِ نَبِيٍّ .

وَكانَتِ الْمَجوسُ لا تَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنابَةِ ، وَالْعَرَبُ كانَتْ تَغْتَسِلُ ، وَالْاغْتِسالُ مِنْ خالِصِ شَرائِعِ الْحَنيفِيَّةِ .

وَكانَتِ الْمَجوسُ لا تَخْتَتِنُ ، وَهُوَ مِنْ سُنَنِ الْأَنْبياءِ ، وَأَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذلِكَ إِبْراهيمُ خَليلُ اللهِ .

وَكانَتِ الْمَجوسُ لا تَغْسِلُ مَوْتاها وَلا تُكَفِّنُها ، وَكانَتِ الْعَرَبُ تَفْعَلُ ذلِكَ .

وَكانَتِ الْمَجوسُ تَرْمي الْمَوْتىٰ في الصَّحاري وَالنَّواويسِ ، وَالْعَرَبُ تُواريها في قُبورِها وَتُلْحِدُها ، وَكَذلِكَ السُّنَّةُ عَلَى الرُّسُلِ . إِنَّ أَوَّلَ مَنْ حُفِرَ لَهُ قَبْرٌ آدَمُ أَبو الْبَشَرِ ، وَأُلْحِدَ لَهُ لَحْدٌ .

وَكانَتِ الْمَجوسُ تَأْتي الْأُمَّهاتِ ، وَتَنْكِحُ الْبَناتِ وَالْأَخَواتِ ، وَحَرَّمَتْ ذلِكَ الْعَرَبُ .

وَأَنْكَرَتِ الْمَجوسُ بَيْتَ اللهِ الْحَرامُ ، وَسَمَّتْهُ بَيْتَ الشَّيْطانِ ، وَالْعَرَبُ كانَتْ تَحِجُّهُ وَتُعَظِّمُهُ ، وَتَقولُ : بَيْتُ رَبِّنا ، وَتُقِرُّ بِالتَّوْراةِ وَالْإِنْجيلِ ، وَتَسْأَلُ أَهْلَ الْكُتُبِ وَتَأْخُذ ، وَكانَتِ الْعَرَبُ في كُلِّ الْأَسْبابِ أَقْرَبُ إِلَى الدّينِ الْحَنيفِيَّةِ مِنَ الْمَجوسِ .

وذكر الإمام عليه السلام الفوارق بين العرب في جاهليّتهم ، وبين المجوس ، فالعرب كانت تتمتّع بكلّ صفة كريمة ، ونزعة شريفة ، وهي أقرب إلى طاعة الله تعالى من غيرهم ، أمّا المجوس فقد اقترفوا كلّ إثم ، فجحدوا الأنبياء ، واستباحوا إتيان الأمّهات ونكح البنات والأخوات ، ولم تكن عندهم أيّة نزعة كريمة ولا صفة شريفة ، وذكر عليه السلام جمهرة من الأمور التي آمن بها العرب وجحدتها الديانة المجوسيّة .

٤٨ ـ إنّهم ـ أي : المجوس ـ احتجّوا بإتيان الأخوات أنّها سنّة من آدم ؟

ما حُجَّتُهُمْ في إِتْيانِ الْبَناتِ وَالْأُمَّهاتِ ، وَقَدْ حَرَّمَ ذلِكَ آدَمُ وَكَذلِكَ نوحٌ وَإِبْراهيمُ وَموسىٰ وَعيسىٰ وَسائِرُ الْأَنْبياءِ ، وَكُلُّ ما جاءَ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وليس عند المجوس أي دليل أو برهان علمي يدلّ على أنّ آدم عليه السلام أجاز نكاح الأخوات ، وإنّما ذلك من إيحاءات الشيطان لهم .

٤٩ ـ لِمَ حرّم الله الخمر ، ولا لذّة أفضل منها ؟

حَرَّمَها لأَنَّها أُمُّ الْخَبائِثِ ، وَرَأْسُ كُلِّ شَرٍّ ، تَأْتي شارِبَها ساعَةٌ يُسْلَبُ لُبُّهُ ، وَلا يَعْرِفُ رَبَّهُ ، وَلا يَتْرُكُ مَعْصِيَةً إِلّا رَكِبَها ، وَلا حُرْمَةً إِلّا انْتَهَكَها ، وَلا رَحِمَ ماسَّةً إِلّا قَطَعَها ، وَلا فاحِشَةً إِلّا أَتاها ، وَالسَّكْرانُ زِمامُهُ بِيَدِ الشَّيْطانِ ، إِنْ أَمَرَهُ أَنْ يَسْجُدَ لِلْأَوْثانِ سَجَدَ

وَيَنْقادُ حَيْثُ ما قادَهُ.

إنّ الخمر أُمّ الخبائث التي تفتك بالإنسان، وتدمّره صحّياً وفكرياً واقتصادياً، فمن مضارّه الصحيّة أنّ الكحول التي فيه تتسرّب إلى الدم، وإذا أخذنا من دم سكران وأدنيناه من النار فإنّه يشتعل كما يشتعل السبيرتو، كما أنّه دائماً يصاب بالتهاب في المعدة، وغيرها من الأجهزة الهضميّة، وإذا أُصيب بالتيفو، فإنّ المضادّات الحياتيّة، كالبنسلين وغيره، لا تجدي معه شيئاً، إلى غير ذلك من المضارّ الخطيرة التي يصاب بها.

وأمّا ضرره الفكري، فإنّه دائماً يكون مشلول الفكر، لا يقوى على النظر والتأمّل في أي شيء من أُموره. وأمّا مضارّه الاقتصاديّة فإنّها من الأُمور الواضحة، فالمدمن على الخمر لا ينفق ما عنده من النقود التي أتعب نفسه على تحصيلها إلّا على هذه المادّة القذرة، ويبقي عياله ينهشهم الجوع والفقر.

٥٠ ـ لِمَ حُرّم الدم المسفوح؟

لأَنَّهُ يورِثُ الْقَساوَةَ، وَيَسْلُبُ الْفُؤادَ رَحْمَتَهُ، وَيُعَفِّنُ الْبَدَنَ، وَأَكْثَرُ ما يُصيبُ الْإِنْسانَ الْجُذامُ يَكونُ مِنْ أَكْلِ الدَّم.

إنّ شرب الدم يعود بالأمراض الخطيرة على الإنسان، وأنّه يمنى بالإصابة التي أدلى بها الإمام عليه السلام، وقد أكّد الطبّ الحديث ذلك.

٥١ ـ فأكل الغدد؟

يُورِثُ الْجُذامَ.

لقد حرّم الإسلام في الذبيحة أموراً، منها الغدد التي تكون فيها، وهي ممّا توجب الإصابة بالجذام لو أكلها الإنسان.

٥٢ ـ الميتة لِمَ حرّمها؟

فَرَّقَ بَيْنَها وَبَيْنَ ما يُذكّىٰ ، وَيُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ ، وَالْمِيتَةُ قَدْ جَمُدَ فيها الدَّمُ ، وَتَراجَعَ إلىٰ بَدَنِها ، فَلَحْمُها ثَقيلٌ غَيْرُ مَرِيءٍ؛ لأَنَّهُ يُؤْكَلُ لَحْمُها بِدَمِها .

إنّ الميتة من الحيوانات هي غير المذكّاة بالتذكية الشرعيّة ، وهي لا تصلح للأكل على ما قرّر علم فحص اللحوم ، وذلك لاسودادها ولزوجتها ، وكراهة رائحتها ، وفي نفس الوقت تحتوي على جراثيم مؤذية تعود بالأضرار الخطيرة على الإنسان .

٥٣ ـ فالسمك ميتة ؟

إنَّ السَّمَكَ ذَكاتُهُ إخْراجُهُ حَيّاً مِنَ الْماءِ ، ثُمَّ يُتْرَكُ حَتّىٰ يَموتَ مِنْ ذاتِ نَفْسِهِ ، وَذلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ دَمٌ ، وَكَذلِكَ الْجَرادُ .

واستند فقهاء الإماميّة إلى ما أعلنه الإمام الصادق عليه السلام من أنّ ذكاة السمك إخراجه من الماء حيّاً ، وموته في خارج الماء ، وقد أفتوا على ضوء ذلك .

٥٤ ـ لِمَ حُرّم الزنا ؟

لِما فيهِ مِنَ الْفَسادِ ، وَذَهابِ الْمَواريثِ ، وَانْقِطاعِ الْأَنْسابِ ، لَا تَعْلَمُ الْمَرْأَةُ فِي الزِّنا مَنْ أَحْبَلَها ؟ وَلا الْمَوْلودُ يَعْلَمُ مِنْ أَبوهُ ، وَلَا أَرْحامٌ مَوْصولَةٌ ، وَلَا قَرابَةٌ مَعْروفَةٌ .

بالإضافة إلى هذه الأضرار الفظيعة التي أدلى بها الإمام عليه السلام لجريمة الزنا ، فإنّ هناك أضراراً صحيّة بالغة الخطورة ، والتي منها مرض الزهري ، والمصاب به لا يستريح إلّا بالموت ، فإنّه يصيب جميع أجهزة الجسم ،كالجهاز العصبي والتنفسي واللمفاوي والهضمي والتناسلي والعظام والمفاصل ، وجميع غدد الجسم القنويّة واللّاقنويّة ، والجلد والعين والأذن ، بالإضافة إلى ما يحدثه من القرحة الرخوة والقرحة الآكلة .

كما يحدث الزنا مرض السيلان ، وهو ميكروب صغير جدّاً لا يُرى إلّا بالمجهر ،

ونظراً إلى هذه المضاعفات السيّئة فقد حرّمه الإسلام ، وجعل عقوبته الجلد مائة جلدة لغير المحصن ، والرجم للمحصن ، وذلك لقطع دابر هذه الجريمة التي هي من أخطر الجرائم التي يُمنى بها المجتمع الإنساني .

٥٥ ـ لِمَ حُرّم اللواط ؟

مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَوْ كانَ إِتْيانُ الْغُلامِ حَلالاً لَاسْتَغْنَى الرِّجالُ عَنِ النِّساءِ ، وَكانَ فيهِ قَطْعُ النَّسْلِ ، وَتَعْطيلُ الْفُروجِ ، وَكانَ في إِجازَةِ ذلِكَ فَسادٌ كَثيرٌ .

أمّا اللواط فهو من الجرائم الخُلقيّة ، وهو خروج عن سنن الله الطبيعيّة ، وهو ممّا يوجب قطع النسل ، وتعطيل الفروج ، وقد سمّاه الله تعالى بالفاحشة ، كالزنا .

قال تعالى في شأن قوم لوط الذين انتشرت فيهم هذه الفاحشة : ﴿ **وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِن أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ** ﴾[1] ، أمّا عقوبة المتعاطي للواط فهو القتل كما يذهب إلى ذلك فقهاء الإماميّة .

٥٦ ـ لِمَ حُرّم إتيان البهيمة ؟

كَرِهَ أَنْ يُضَيِّعَ الرَّجُلُ ماءَهُ ، وَيَأْتي غَيْرَ شَكْلِهِ ، وَلَوْ أَباحَ ذلِكَ لَرَبَطَ كُلُّ رَجُلٍ أَتاناً يَرْكَبُ ظَهْرَها ، وَيَغْشىٰ فَرْجَها ، وَكانَ يَكونُ في ذلِكَ فَسادٌ كَثيرٌ ، فَأَباحَ ظُهورَها ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ فُروجَها ، وَخَلَقَ لِلرِّجالِ النِّساءَ لِيَأْنَسوا بِهِنَّ ، وَيَسْكُنوا إِلَيْهِنَّ ، وَيَكُنَّ مَواضِعَ شَهَواتِهِمْ ، وَأُمَّهاتِ أَوْلادِهِمْ .

إنّ إتيان البهيمة من الفواحش المغيّرة لسنّة الله في خلقه ، والموجبة للحطّ من كرامة الإنسان ، التي أباها الحيوان الأعجم ، وبالإضافة لذلك فإنّ الحيوان الموطوء

---

(١) العنكبوت ٢٩ : ٢٨ .

إذا كان مأكول اللحم ، وتناول لحمه شخص فأكله ، فإنّه يصاب بالسرطان الحادّ ، كما أعلنت ذلك الإذاعة البريطانيّة ، فقد اكتشفه بعض الأطباء اللامعين في انكلترا ، وقد ألزم بإحراق الحيوان لئلا يتناول أحد لحمه ، وهذا ممّا يكشف ـ باعتزاز وفخر ـ عن أصالة التشريع الإسلامي ، فقد ألزم بإحراق الحيوان الموطوء حتّى لا يأكل لحمه أحد .

٥٧ ـ ما علّة الغسل من الجنابة ، وإن ما أتى حلالاً ، وليس في الحلال تدنيس ؟

إنَّ الْجَنابَةَ بِمَنْزِلَةِ الْحَيْضِ ، وَذلِكَ أَنَّ النُّطْفَةَ دَمٌ لَمْ يُسْتَحْكَمْ وَلَا يَكُونُ الْجِماعُ إلَّا بِحَرَكَةٍ شَديدَةٍ ، وَشَهْوَةٍ غالِبَةٍ ، فَإذا فَرَغَ تَنَفَّسَ الْبَدَنُ ، وَوَجَدَ الرَّجُلُ مِنْ نَفْسِهِ رائِحَةً كَريهَةً ، فَوَجَبَ الْغُسْلُ لِذلِكَ ، وَغُسْلُ الْجَنابَةِ مَعَ ذلِكَ أَمانَةٌ ائْتَمَنَ اللهُ عَلَيْها عَبيدَهُ لِيَخْتَبِرَهُمْ بِها .

إنّ غسل جميع البدن بالماء ، ارتماساً أو ترتيباً ، للرجل أو المرأة ، عقيب العمليّة الجنسيّة ، أو من الاحتلام ضرورة صحّيّة لا غنى عنها ، فقد ثبت في الطب الحديث أنّ الجسم الإنساني يفقد شيئاً من حيويّته وقوّته بعد الاتّصال الجنسي ، وليس من شيء يعيد إليه تلك القوّة الحيويّة سوى غسل الجسم كلّه بالماء النظيف ، ولو ترك المغتسل قطعة صغيرة من جسمه من دون أن يصيبها الماء لم يصحّ غسله ، كما أفتى بذلك الفقهاء .

٥٨ ـ أيّها الحكيم ، ما تقول فيمن زعم أنّ هذا التدبير الذي يظهر في العالم تدبير النجوم السبعة ؟

يَحْتاجونَ إلىٰ دَليلٍ ، إنَّ هـٰذَا الْعالَمَ الْأَكْبَرَ ، وَالْعالَمَ الْأَصْغَرَ مِنْ تَدْبيرِ النُّجومِ الَّتي تَسْبَحُ في الْفَلَكِ ، وَتَدورُ حَيْثُ دارَتْ مُتْبَعَةٌ لَا تَفْتُرُ ، وَسائِرَةٌ لَا تَقِفُ .

وأضاف الإمام قائلاً :

إِنَّ لِكُلِّ نَجْمٍ مُوَكَّلاً مُدَبِّراً ، فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الْعَبيدِ الْمَأْمورينَ الْمُنْتَهينَ ، فَلَوْ كانَتْ قَديمَةً أَزَلِيَّةً لَمْ تَتَغَيَّرْ مِنْ حالٍ إِلىٰ حالٍ .

إنّ الكواكب والمجرّات لا تملك فكراً ولا وعياً ولا تدبيراً ، وإنّما هي كتل من الصخور والرمال قائمة في الفضاء يديرها ويدبّرها الخالق العظيم ، وليس لها أي شأن في مسيرة الأحداث وغيرها من عوالم الكون .

٥٩ ـ من قال بالطبائع ؟

الْقَدَرِيَّةُ ، فَذلِكَ قَوْلُ مَنْ لَمْ يَمْلِكِ الْبَقاءَ ، وَلَا صَرْفَ الْحَوادِثِ ، وَغَيَّرَتْهُ الْأَيّامُ وَاللَّيالي ، وَلَا يَرُدُّ الْهَرَمَ ، وَلَا يَدْفَعُ الْأَجَلَ ، وَما يَدْري ما يُصْنَعُ بِهِ .

إنّ هذه الأقوال الفاسدة ذهبت إليها القدريّة الذين لا يملكون دليلاً ، وإنّما يسرحون في عالم الأوهام والأضاليل .

٦٠ ـ أخبرني عمّن يزعم أنّ الخلق لم يزل يتناسلون ويتوالدون ، ويذهب قرن ويجيء قرن ، وتفنيهم الأمراض والأعراض وصنوف الآفات ، ويخبرك الآخر عن الأوّل ، وينبئك الخلف عن السلف ، والقرون عن القرون ، إنّهم وجدوا الخلق على هذا الوصف بمنزلة الشجر والنبات في كلّ دهر يخرج منه حكيم عليم بمصلحة الناس ، بصير بتأليف الكلام ، ويصنّف كتاباً قد حبّره بفطنته ، وحسّنه بحكمته ، قد جعله حاجزاً بين الناس ، يأمرهم بالخير ، ويحثّهم عليه ، وينهاهم عن السوء والفساد ، ويزجرهم عنه لئلا يتهارشوا ، ولا يقتل بعضهم بعضاً .

وَيْحَكَ ! إِنَّ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ أَمْسِ ، وَيَرْحَلُ عَنِ الدُّنْيا غَداً لَا عِلْمَ لَهُ بِما كانَ قَبْلَهُ ، وَلَا بِما يَكونُ بَعْدَهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَخْلو الْإِنْسانُ مِنْ أَنْ يَكونَ خَلَقَ نَفْسَهُ ، أَوْ خَلَقَهُ غَيْرُهُ ، أَوْ لَمْ يَزَلْ مَوْجوداً ، فَما لَيْسَ بِشَيْءٍ لَيْسَ يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئاً ، وَهُوَ لَيْسَ بِشَيْءٍ

وَكَذلِكَ ما لَمْ يَكُنْ فَيَكونُ شَيْئاً يُسْأَلُ ، فَلا يَعْلَمُ كَيْفَ كانَ ابْتداؤُهُ . وَلَوْ كانَ الْإِنْسانُ أَزَلِيّاً لَمْ تَحْدَثْ فيهِ الْحَوادِثُ؛ لأَنَّ الْأَزَلِيَّ لا تُغَيِّرُهُ الْأَيّامُ ، وَلا يَأْتي عَلَيْهِ الْفَناءُ ، وَمَعَ أَنّا لَمْ نَجِدْ بِناءً مِنْ غَيْرِ بانٍ ، وَلا أَثَراً مِنْ غَيْرِ مُؤَثِّرٍ ، وَلا تَأْليفاً مِنْ غَيْرِ مُؤَلِّفٍ ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ أَباهُ خَلَقَهُ قيلَ : فَمَنْ خَلَقَ أَباهُ ، وَلَوْ أَنَّ الْأَبَ هُوَ الَّذي خَلَقَ ابْنَهُ لَخَلَقَهُ عَلىٰ شَهْوَتِهِ ، وَصَوَّرَهُ عَلىٰ مَحَبَّتِهِ ، وَلَمَلَكَ حَياتَهُ ، وَلَجازَ فيهِ حُكْمَهُ ، وَلكِنَّهُ إِنْ مَرِضَ لَمْ يَنْفَعْهُ ، وَإِنْ ماتَ عَجَزَ عَنْ رَدِّهِ ، إِنَّ مَنِ اسْتَطاعَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقاً وَيَنْفُخَ فيهِ روحاً حَتّىٰ يَمْشي عَلىٰ رِجْلَيْهِ سَوِيّاً يَقْدِرُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ الْفَساد .

وألمّ جواب الإمام عليه السلام بالأدلّة الحاسمة التي تثبت زيف وبطلان ما ذهب إليه الماديّون من إنكار الخالق العظيم ، والمدبّر لهذه العوالم ، فإنّ إنكارهم إنكارهم للضروريّات والبديهيّات ، فإنّ الأثر يدلّ على المؤثّر ، والدخان يدلّ على وجود النار ، فمن زعم أنّ أباه خلقه ، فمن خلق الأب ؟ وهكذا حتّى ينتهي إلى أب الأب ، فمن أوجده وكوّنه .

إنّ الأفكار الإلحاديّة لا تلبث أن تتلاشى وتذوب أمام الفكر والمنطق ، وقد فنّد الإمام عليه السلام في حديث جميع شبههم وأوهامهم .

٦١ـ ما تقول في علم النجوم ؟

هُوَ عِلْمٌ قَلَّتْ مَنْفَعَتُهُ ، وَكَثُرَتْ مَضَرّاتُهُ؛ لأَنَّهُ لا يَدْفَعُ بِهِ الْمَقْدورِ ، وَلا يُتَّقىٰ بِهِ الْمَحْذورُ . إِنْ أَخْبَرَ الْمُنَجِّمُ بِالْبَلاءِ لَمْ يُنْجِهِ التَّحَرُّزُ مِنَ الْقَضاءِ ، وَإِنْ أُخْبِرَ هُوَ بِخَيْرٍ لَمْ يَسْتَطِعْ تَعْجيلَهُ ، وَإِنْ حَدَثَ بِهِ سُوءٌ لَمْ يُمْكِنْهُ صَرْفُهُ ، وَالْمُنَجِّمُ يُضادُّ اللهَ في عِلْمِهِ ، بِزَعْمِهِ أَنْ يَرُدَّ قَضاءَ اللهِ عَنْ خَلْقِهِ .

إنّ علم النجوم لا منفعة فيه ، وذلك لكثرة أخطائه ، ومخالفته للواقع . ويقول

المؤرّخون : إنّ المأمون كان من علماء النجوم ، وقد استعمل هذا العلم في سفره إلى طرسوس ، وهي من المصايف الجميلة في الشام ، فدلّه علمه على حسن القصد والخير في سفره ، وحينما انتهى إليه لم يلبث إلّا قليلاً حتّى وافته المنيّة ، وفي ذلك يقول الشاعر :

هَلْ عُلومُ النُّجومِ أغْنَتْ عَنِ الْمَأْ ... مونِ شَيْئاً أَوْ مُلكِهِ الْمَأنوسِ
خَلَّفوهُ بِساحَتي طَرَسوسٍ ... مِثْلَما خَلَّفوا أَباهُ بِطوسِ [1]

إنّ مجريات الأحداث بيد الله تعالى ، فهو الذي يتصرّف في كلّ شيء من خلقه ، وليس للنجوم ولا لغيرها أي أثر في ذلك .

٦٢ ـ الرسول أفضل أم الملك المرسل إليه ؟

بَلِ الرَّسولُ أَفْضَلُ .

٦٣ ـ ما علّة الملائكة الموكّلين بعباده يكتبون عليهم ولهم ، والله عالم السرّ وما هو أخفى ؟

اسْتَعْبَدَهُمْ بِذلِكَ ، وَجَعَلَهُمْ شُهوداً عَلىٰ خَلْقِهِ لِيَكونَ الْعِبادُ لِمُلازَمَتِهِمْ إِيّاهُمْ أَشَدَّ عَلىٰ طاعَةِ اللهِ مُواظِبَةً ، وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ أَشَدَّ انْقِباضاً ، وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ يَهِمُّ بِمَعْصِيَتِهِ فَذَكَرَ مَكانَهُما فَارْعَوىٰ وَكَفَّ ، فَيَقولُ رَبّي يَراني ، وَحَفَظَتي عَلَيَّ بِذلِكَ تَشْهَدُ ، وَأَنَّ اللهَ بِرَأْفَتِهِ وَلُطْفِهِ أَيْضاً ، وَكَّلَهُمْ بِعبادِهِ يَذُبّونَ عَنْهُمْ مَرَدَةَ الشَّيطانِ وَهَوامَّ الْأَرْضِ ، وَآفاتٍ كَثيرَةً مِنْ حَيْثُ لا يَرَوْنَ بِإِذْنِ اللهِ إِلىٰ أَنْ يَجيءَ أَمْرُ اللهِ .

إنّ الله تعالى وكّل ملكين يسجّلان ما يعمله الإنسان من خير أو شرّ ، ليكونوا

---

(١) حياة الحيوان / الدميري : ١ : ٧٨.

شاهدَين عليه يوم حشره ونشره ، فلايكون له مجال حينئذٍ لإنكار ما عمله .

٦٤ـ فخلق الخلق للرحمة أم للعذاب ؟

خَلَقَهُمْ لِلرَّحمَةِ ، وَكانَ في عِلْمِهِ قَبْلَ خَلْقِهِ إيّاهُمْ أَنَّ قَوْماً مِنْهُمْ يُصيرونَ إلىٰ عَذابِهِ بِأَعْمالِهِمُ الرَّدِيَّةِ ، وَجَحْدِهِمْ بِهِ .

٦٥ـ يعذّب من أنكر فاستوجب عذابه بإنكاره ، فبم يعذّب من وحّده وعرفه ؟

يُعَذِّبُ الْمُنْكِرَ لإلهِيَّتِهِ عَذابَ الْأَبَدِ ، وَيُعَذِّبُ الْمُقِرَّ بِهِ عَذابَ عُقوبَةٍ لِـمَعْصِيَتِهِ إيّـاهُ فيما فَرَضَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُخْرَجُ ، وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً .

٦٦ـ بين الكفر والإيمان منزلة ؟

لا .

٦٧ـ ما الإيمان والكفر ؟

الْإيمانُ أَنْ يُصَدِّقَ اللهَ فيما غابَ عَنْهُ مِنْ عَظَمَةِ اللهِ كَتَصْديقِهِ بِما شـاهَدَ مِـنْ ذلِكَ وَعايَنَ ، وَالْكُفْرُ الْجُحودُ .

إنّ التصديق فيما غاب عن الشخص من عظمة الخالق الحكيم هو جوهر الإيمان وحقيقته ، ويعاكسه الجحود ، فإنّه الكفر والإلحاد .

٦٨ـ ما الشرك ، وما الشكّ ؟

الشِّرْكُ هُوَ أَنْ يَضُمَّ إلَى الْواحِدِ الَّذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ آخَرَ ، وَالشَّكُّ ما لَمْ يَعْتَقِدْ قَلْبُهُ شَيْئاً .

٦٩ـ أيكون العالم جاهلاً ؟

عالِمٌ بِما يَعْلَمُ، وَجاهِلٌ بِما يَجْهَلُ.

وأعرب الإمام عليه السلام أنّه ليس هناك أي مانع أو حاجب من أن يكون الإنسان عالماً بشيء وجاهلاً بشيء آخر، وهذا من الأمور البديهيّة التي لا تحتاج إلى الدليل.

٧٠ـ ما السعادة، وما الشقاوة؟

السَّعادَةُ: سَبَبٌ لِلْخَيْرِ تَمَسَّكَ بِهِ السَّعيدُ فَيَجُرُّهُ إِلَى النَّجاةِ، وَالشَّقاوَةُ: سَبَبُ خُذْلانٍ تَمَسَّكَ بِهِ الشَّقِيُّ فَيَجُرُّهُ إِلَى الْهَلَكَةِ، وَكُلٌّ بِعِلْمِ اللهِ.

إنّ السعادة الحقيقيّة هي التوصّل إلى مرضاة الله، والعمل بما يقرّبه إليه زلفى، والشقاوة هي الابتعاد عن الله، والعمل بما لا يرضيه، وليست السعادة هي الحصول على ملاذّ الحياة ونعيمها التي لا بقاء لها.

٧١ـ أخبرني عن السراج إذا انطفأ أين يذهب نوره؟

يَذْهَبُ فَلا يَعود.

إنّ الضياء إذا انطفأ يتلاشى نوره ويذوب في الفضاء، ولا عودة له بعد فنائه.

٧٢ـ فما أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك إذا مات، وفارق الروح البدن، لم يرجع إليه أبداً، كما لا يرجع ضوء السراج إليه أبداً إذا انطفأ؟

لَمْ تُصِبِ الْقِياسَ، إِنَّ النّارَ في الْأَجْسامِ كامِنَةٌ، وَالْأَجْسامُ قائِمَةٌ بِأَعْيانِها، كَالْحَجَرِ وَالْحَديدِ، فَإِذا ضُرِبَ أَحَدُهُما بِالْآخَرِ سَقَطَتْ مِنْ بَيْنِهِما نارٌ تُقْتَبَسُ مِنْهُما سِراجٌ لَهُ ضَوْءٌ، فَالنّارُ ثابِتَةٌ في أَجْسامِها، وَالضَّوْءُ ذاهِبٌ، وَالرّوحُ جِسْمٌ رَقيقٌ قَدْ أُلْبِسَ قالَبٌ كَثيفٌ وَلَيْسَ بِمَنْزِلَةِ السِّراجِ الَّذي ذَكَرْتَ.

إنّ الذي خلق في الرحم جنيناً من ماء صافٍ، وركّب فيه ضروباً مختلفة من

عروق ، وعصب ، وأسنان ، وشعر ، وعظام ، وغير ذلك هو يحييه بعد موته ، ويعيده بعد فنائه .

وألقى الإمام عليه السلام الأضواء على (الروح) التي هي من أمر الله تعالى ، وأنّها عنصر رقيق أُودعت في قالب كثيف ، فإذا خرجت منه عاد كالتراب . يقول بعض الشعراء :

وما هـٰذهِ الأَجْسامُ مِنْ بَعدِ مَوْتِها ... سِوىٰ قَفَصٍ وَمِنْها أَفْلَتَ الشّادي

وإذا أراد الله تعالى أن يعيدها للأجسام أعاد الأجسام البالية ، وأعاد لها الروح ، وذلك من أبسط الأمور وأهونها عند الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ **قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾[١] .

٧٣ ـ فأين الروح ؟

في بَطْنِ الْأَرْضِ ، حَيْثُ مَصْرَعُ الْبَدَنِ إِلىٰ وَقْتِ الْبَعْثِ .

٧٤ ـ فمن صُلب ، فأين روحه ؟

في كَفِّ الْمَلَكِ الَّذي قَبَضَها حَتّىٰ يودِعَها الْأَرْض .

٧٥ ـ أخبرني عن الروح أغير الدم ؟

نَعَم ، الرّوحُ عَلىٰ ما وَصَفْتُ لَكَ ، مادَّتُها مِنَ الدَّمِ ، وَمِنَ الدَّمِ رُطوبَةُ الْجِسْمِ ، وَصَفاءُ اللَّوْنِ ، وَحُسْنُ الصَّوْتِ ، وَكَثْرَةُ الضَّحِكِ ، فَإِذا جَمَدَ الدَّمُ فارَقَ الرّوحُ الْبَدَنَ .

٧٦ ـ فهل يوصف ـ أي الروح ـ بخفّة وثقل ووزن ؟

---

(١) يس ٣٦ : ٧٨ و ٧٩ .

الرّوحُ بِمَنْزِلَةِ الرّيحِ في الزِّقِّ ، إذا نَفَخْتَ فيهِ امْتَلأَ الزِّقُّ مِنْها ، فَلا يَزيدُ في وَزْنِ الزِّقِّ ولوجُها فيهِ ، وَلا يَنْقُصُها خُروجُها مِنْهُ ، كَذلِكَ الرّوحُ لَيْسَ لَها ثِقْلٌ وَلا وَزْنٌ .

٧٧ ـ ما هو جوهر الريح ؟

الرّيحُ هَواءٌ إذا تَحرَّكَ يُسَمّىٰ ريحاً ، فَإِذا سَكَنَ يُسَمّىٰ هَواءً ، وَبِهِ قِوامُ الدُّنْيا ، وَلَوْ كَفَّتِ الرّيحُ ثِلاثَةَ أيّامٍ لَفَسَدَ كُلُّ شَيْءٍ عَلىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ وَنَتَنَ ، وَذلِكَ أَنَّ الرّيحَ بِمَنْزِلَةِ الْمِرْوحَةِ تَذُبُّ وَتَدْفَعُ الْفَسادَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَتُطَيِّبُهُ ، فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الرّوحِ إذا خَرَجَ عَنِ الْبَدَنِ نَتِنَ الْبَدَنُ وَتَغَيَّرَ ، وَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقين .

والشيء المؤكّد أنّه لم توصف الروح بوصف شامل ودقيق مثل ما وصفها الإمام الصادق عليه السلام ، فقد ألقى الأضواء على كثير من جوانبها ، كما بيّن أهمّية الهواء ، وأنّ فيه الحياة العامّة لجميع الكائنات الحيّة .

٧٨ ـ أفتتلاشى الروح بعد خروجه من قالبه أم هو باقٍ ؟

بَلْ هُوَ باقٍ إلىٰ وَقْتِ يُنْفَخُ في الصُّورِ ، فَعِنْدَ ذلِكَ تَبْطُلُ الْأَشْياءُ وَتَفْنىٰ فَلا حِسَّ ، وَلا مَحْسوسَ ، ثُمَّ اُعيدَتِ الْأَشْياءُ كَما بَدَأَها مُدَبِّرُها ، وَذلِكَ أَرْبَعمائَةِ سَنَةٍ يَسْبُتُ فِيها الْخَلْقُ وَذلِكَ بَيْنَ النَّفْخَتَينِ .

٧٩ ـ وأنّى له بالبعث والبدن قد بلي ، والأعضاء قد تفرّقت ، فعضو ببلدة يأكلها سباعها ، وعضو بأُخرى تمزّقه هوامها ، وعضو قد صار تراباً بُني به مع الطين حائط ؟

إنَّ الَّذي أَنْشَأَهُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ، وَصَوَّرَهُ عَلىٰ غَيْرِ مِثالٍ كانَ سَبَقَ إِلَيْهِ ، قادِرٌ أَنْ يُعيدَهُ كَما بَدَأَه .

٨٠ ـ أوضح لي ذلك ؟

إنَّ الرّوحَ مُقيمَةٌ في مَكانِها ، روحُ الْمُحْسِنِ في ضِياءٍ وَفُسْحَةٍ ، وَروحُ الْمُسيئُ في ضيقٍ وَظُلْمَةٍ ، وَالْبَدَنُ يَصيرُ تُراباً كَما مِنْهُ خُلِقَ ، وَما تَقْذِفُ بِهِ السِّباعُ وَالْهَوامُّ مِنْ أَجْوافِها مِمّا أَكَلَتْهُ وَمَزَّقَتْهُ ، كُلُّ ذلِكَ في التُّرابِ مَحْفوظٌ عِنْدَ مَنْ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ في ظُلُماتِ الْأَرْضِ ، وَيَعْلَمُ عَدَدَ الْأَشْياءِ وَوَزْنَها ، وَأَنَّ تُرابَ الرّوحانِيّينَ بِمَنْزِلَةِ الذَّهَبِ في التُّرابِ ، فَإِذا كانَ حينَ الْبَعْثِ مُطِرَتِ الْأَرْضُ مَطَرَ النُّشورِ ، فَتَرْبو الْأَرْضُ ثُمَّ تُمْخَضُ مَخْضَ السِّقاءِ ، فَيَصيرُ تُرابُ الْبَشَرِ كَمَصيرِ الذَّهَبِ مِنَ التُّرابِ إذا غُسِلَ بِالْماءِ ، وَالزُّبْدُ مِنَ اللَّبَنِ إذا مُخِضَ ، فَيَجْتَمِعُ تُرابُ كُلِّ قالَبٍ إِلىٰ قالَبِهِ ، فَيَنْتَقِلُ بِإِذْنِ الْقادِرِ إِلىٰ حَيْثُ الرّوحِ ، فَتَعودُ الصُّوَرُ بِإِذْنِ الْمُصَوِّرِ كَهَيْئَتِها ، وَتَلِجُ الرّوحُ فيها ، فَإِذا قَدِ اسْتَوىٰ لا يُنْكِرُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً .

وألّمّ جواب الإمام عليه‌السلام بأمور خفيّة لم يطّلع عليها إلّا الأنبياء وأوصياؤهم ، فقد كشف النقاب عن البعث والنشور ، ورجوع الإنسان بعد فنائه للحساب ، فإن كان من المتّقين الأخيار فاز برضوان الله تعالى وفردوسه ، وإن كان من الظالمين الأشرار زجّ في النار .

٨١ ـ فأخبرني عن الناس يحشرون يوم القيامة عراة ؟

بَلْ يُحْشَرونَ في أَكْفانِهِمْ .

٨٢ ـ أنّى لهم بالأكفان ؟

إنَّ الَّذي أَحْيا أَبْدانَهُمْ جَدَّدَ أَكْفانَهُمْ .

٨٣ ـ فمن مات بلا كفن ؟

يَسْتُرُ اللهُ عَوْرَتَهُ بِما يَشاءُ مِنْ عِنْدِه .

٨٤ـ أيعرضون صفوفاً ؟

نَعَمْ ، هُمْ يَوْمَئِذٍ عِشْرونَ وَمائَةُ أَلْفِ صَفٍّ في عَرْضِ الْأَرْضِ .

٨٥ـ أليس توزن الأعمال ؟

إنَّ الْأَعْمالَ لَيْسَتْ بِأَجْسامٍ ، وَإِنَّما هي صِفَةُ ما عَمِلوا ، وَإِنَّما يَحْتاجُ إِلىٰ وَزْنِ الشَّيْءِ مَنْ جَهِلَ عَدَدَ الْأَشْياءِ ، وَلَا يَعْرِفُ ثِقْلَها أَوْ خِفَّتَها ، وَإِنَّ اللهَ لَا يَخْفىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ .

٨٦ـ ما معنى الميزان ؟

الْعَدْل .

٨٧ـ ما معناه في كتابه : ﴿ **فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ** ﴾[١] ؟

فَمَنْ رَجَحَ عَمَلُه .

٨٨ـ أخبرني أوليس في الناس مقتنع أن يعذّب خلقه بها دون الحيّات والعقارب ؟

إنَّما يُعَذِّبُ بِها قَوْماً زَعَموا أَنَّها لَيْسَتْ مِنْ خَلْقِهِ ، إنَّما شَريكُهُ الَّذي يَخْلُقُهُ فَيُسَلِّطُ اللهُ عَلَيْهِمُ الْعَقارِبَ وَالْحَيّاتِ في النّارِ لِيُذيقَهُمْ بِها وَبالَ ما كَذَّبوا عَلَيْهِ ، فَجَحَدوا أَنْ يَكونَ صَنَعَهُ .

ولم يبقِ هذا الزنديق شبهة أو وهماً إلّا سأل به الإمام عليه السلام ، وقد أجابه بأروع الأجوبة ، ولم يترك له أي ثغرة يسلك فيها للردّ عليه ، ومن بين تلك المسائل التي عرضها على الإمام :

٨٩ـ من أين قالوا : إنّ أهل الجنّة يأتي الرجل منهم إلى ثمرة يتناولها فإذا

---

(١) الأعراف ٧ : ٨. المؤمنون ٢٣ : ١٠٢.

أكلها عادت كهيئتها ؟

نَعَمْ ، ذلِكَ عَلىٰ قِياسِ السِّراجِ يَأْتي الْقابِسُ فَيَقْتَبِسُ مِنْهُ ، فَلا يَنْقُصُ مِنْ ضَوْئِهِ شَيْءٌ ، وَقَدِ امْتَلَأَتْ مِنْهُ الدُّنْيا سِراجاً .

ما أروع هذا الجواب ! إنّ أهل الجنّة في تناولهم لثمرات ما أعدّ الله لهم من أنواع النعم ، من دون أن ينقص منها شيء كمثل السراج الذي يقتبس منه ، وهو باقٍ على حاله .

٩٠ ـ أليسوا يأكلون ويشربون ، وتزعم أنّه لا يكون لهم الحاجة ؟

بلى؛ **لأَنَّ غَذاءَهُمْ رقيقٌ لا ثِقْلَ لَهُ ، بَلْ يَخْرُجُ مِنْ أَجْسادِهِمْ بِالْعَرَقِ .**

٩١ ـ كيف تكون الحوراء في جميع ما أتاها زوجها عذراء ؟

لأَنَّها خُلِقَتْ مِنَ الطِّيبِ لا تَعْتَريها عاهَةٌ ، وَلا يُخالِطُ جِسْمَها آفَةٌ ، وَلا يَجْري في ثَقْبِها شَيْءٌ ، وَلا يُدَنِّسُها حَيْضٌ ، فَالرَّحِمُ مُلْتَزِقَةٌ مَلومٌ ، إِذْ لَيْسَ فيها لِسِوَى الْإِحْليلِ مَجْرىً .

ووصف الإمام عليه السلام الحور العين وصفاً دقيقاً ، وأنّها ليست على غرار النساء في هذه الدنيا ، وإنّما هنّ على صفة خاصّة خاليات من العاهات والآفات .

٩٢ ـ فهي تلبس سبعين حلّة ، ويرى زوجها مُخّ ساقها من وراء حُللها وبدنها ؟

نَعَمْ ، كَما يَرىٰ أَحَدُكُمُ الدَّراهِمَ إِذا أُلْقِيَتْ في ماءٍ صافٍ قَدَرُهُ قَدَرَ رُمْحٍ .

٩٣ ـ كيف ينعم أهل الجنّة بما فيه من النعيم ، وما منهم أحد إلّا وقد فقد ابنه ، أو أباه ، أو حميمه ، أو أمّه ، فإذا افتقدوهم في الجنّة لم يشكّوا في مصيرهم إلى النار ،

فما يصنع بالنعيم من يعلم أنّ حميمه في النار ويعذّب ؟

إنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ قالوا : إِنَّهُمْ يَنْسَوْنَ ذِكْرَهُمْ ، وَقالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُمْ يَنْتَظِرونَ قُدومَهُمْ ، وَيَرْجونَ أَنْ يَكونوا بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنّارِ في أَصْحابِ الْأَعْرافِ .

لقد كانت أجوبة الإمام عليه السلام حاسمة ومقنعة ، وقد ذهل هذا الزنديق من الثروات العلميّة الهائلة التي يملكها الإمام ، وانتقل بعد هذه الأسئلة إلى مسائل أُخرى :

٩٤ ـ أخبرني عن الشمس أين تغيب ؟

إنَّ بَعْضَ الْعُلَماءِ قالَ : إِذا انْحَدَرَتْ أَسْفَلَ الْقُبَّةِ دارَ بِها الْفَلَكُ إِلىٰ بَطْنِ السَّماءِ صاعِدَةً أَبَداً إِلىٰ أَنْ تَنْحَطَّ إِلىٰ مَوْضِعِ مَطْلِعَها ، يَعْني أَنَّها تَغيبُ في عَيْنٍ حامِيَةٍ ، ثُمَّ تَخْرِقُ الْأَرْضَ راجِعَةً إِلىٰ مَوْضِعِ مَطْلِعِها ، فَتَحيرُ تَحْتَ الْعَرْشِ حَتّىٰ يُؤْذَنَ لَها بِالطُّلوعِ وَيُسْلَبُ نورها كُلَّ يَوْمٍ ، وَتَجَلَّلَ نوراً آخَر .

وليس هذا الجواب رأي الإمام عليه السلام ، وإنّما حكاه عن بعض أهل العلم ، من دون أن يقرّه أو ينفيه ، ولم يدل عليه السلام بجواب عن ذلك لعلمه أنّ السائل لا يتحمّله ولا يقرّه .

٩٥ ـ الكرسي أكبر أم العرش ؟

كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ في جَوْفِ الْكُرسِيِّ ، ما خَلا عَرْشَهُ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحيطَ بِهِ الْكُرْسِيُّ[١] .

وبهذا تنتهي معظم الأسئلة ، وهي غامضة ومعقّدة ، دلّت على أنّ السائل كان ممعناً في الزندقة والإلحاد ، وقد أجاب عنها الإمام عليه السلام جواباً حاسماً مشفوعاً بأوثق

---

(١) الاحتجاج : ٢ : ٧٧ ـ ١٠٠ .

الأدلّة التي لا مجال لإنكارها والشكّ فيها ، ولم توضّح المصادر التي بأيدينا حال السائل ، هل رجع من الكفر إلى الإيمان ، أو بقي مصرّاً على عناده وإلحاده ، بعدما أوضح له الإمام عليه السلام القصد ، وفنّد شبهه وشكوكه .

مع القدريّة

روى عليّ بن سالم ، قال : « سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الرقي[١] ، أتدفع من القدر شيئاً ؟

قال عليه السلام : « **هِيَ مِنَ الْقَدَرِ** » .

وأضاف يقول : « **إِنَّ الْقَدَرِيَّةَ مَجوسُ هـٰذِهِ الْأُمَّةِ ، وَهُمُ الَّذينَ أَرادوا أَنْ يَصِفوا اللهَ بِعَدْلِهِ فَأَخْرَجوهُ مِنْ سُلْطانِهِ ، وَفيهم نَزَلَتْ هـٰذِهِ الْآيَةُ ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾**[٢] »[٣] .

---

(١) الرقي : جمع رقية ، وهي ما يعوّذ به الصبيان من الحمّى والصرع وغيرهما .

(٢) القمر ٥٤ : ٤٨ و ٤٩ .

(٣) التوحيد : ٣٨٢ .

مناظراته عليه السلام

وجرت للإمام الصادق عليه السلام عدّة مناظرات، كانت في منتهى الروعة، مع بعض أعلام عصره الذين يخالفونه في الرأي، كان من بينهم ما يلي:

مع أبي حنيفة

كان أبو حنيفة يذهب إلى القياس، وأنّه من مصادر التشريع في الإسلام، وكان الإمام الصادق عليه السلام ينكر ذلك أشدّ الإنكار، ويرى أنّ من مصادر التشريع الإسلامي: الكتاب والسنّة والإجماع، وليس القياس منها، وقد حضر أبوحنيفة عند الإمام الصادق عليه السلام وتعلّم منه الفقه، وقد أعلن ذلك بقوله: «لولا السنتان لهلك النعمان»، وقد جرت بينهما عدّة لقاءات ومحاورات، كان منها ما يلي:

١ ـ وفد ابن شبرمة[١] مع أبي حنيفة على الإمام الصادق عليه السلام، فقال لابن شبرمة: **مَنْ هذا الَّذي مَعَكَ؟**

ـ رجل له بصر ونفاذ في أمر الدين.

ـ **لَعَلَّهُ الَّذي يَقيسُ أَمْرَ الدّينِ بِرَأْيِهِ؟**

ـ نعم.

والتفت الإمام عليه السلام لأبي حنيفة قائلاً: **ما اسْمُكَ؟**

ـ النعمان.

---

(١) وفي رواية الطبرسي: «ابن أبي ليلى».

ـ يا نُعْمانُ ، هَلْ قِسْتَ رَأْسَكَ ؟

ـ كيف أقيس رأسي ؟

ـ ما أَراكَ تُحْسِنُ شَيْئاً ، هَلْ عَلِمْتَ ما الْمُلوحَةُ في الْعَيْنَيْنِ ، وَالْمَرارَةُ في الأُذُنَيْنِ ، وَالْحَرارَةُ في الْمَنْخَرَيْنِ ، وَالْعُذوبَةُ في الشَّفَتَيْنِ ؟

وبهر أبو حنيفة ، وأنكر معرفة ذلك ، ووجّه الإمام إليه السؤال التالي :

هَلْ عَلِمْتَ كَلِمَةً أَوَّلُها كُفْرٌ ، وَآخِرُها إيمانٌ ؟

ـ لا .

والتمس أبو حنيفة من الإمام عليه السلام أن يوضّح له هذه الأمور ، فقال عليه السلام :

أَخْبَرَني أَبي عَنْ جَدّي رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قالَ : إِنَّ اللهَ تَعالى بِفَضْلِهِ وَمَنِّهِ جَعَلَ لابْنِ آدَمَ الْمُلوحَةَ في الْعَيْنَيْنِ لِيَلْتَقِطا ما يَقَعُ فيهما مِنَ الْقَذىٰ ، وَجَعَلَ الْمَرارَةَ في الأُذُنَيْنِ حِجاباً مِنَ الدَّوابِّ ، فَإِنْ دَخَلَتِ الرَّأْسَ دابَّةٌ وَالْتَمَسَتْ إِلَى الدِّماغِ ، فَإِنْ ذاقَتِ الْمَرارَةَ الْتَمَسَتِ الْخُروجَ ، وَجَعَلَ اللهُ الْبُرودَةَ في الْمَنْخَرَيْنِ يَسْتَنْشِقُ بِهِما الرِّيحَ ، وَلَوْلا ذٰلِكَ لأَنْتَنَ الدِّماغُ ، وَجَعَلَ الْعُذوبَةَ في الشَّفَتَينِ لِيَجِدَ لَذَّةَ اسْتِطْعامِ كُلِّ شَيْءٍ .

والتفت أبو حنيفة إلى الإمام قائلاً: أخبرني عن الكلمة التي أوّلها كفر ، وآخرها إيمان ؟

ـ إِنَّ الْعَبْدَ إِذا قالَ : لا إِلٰهَ ، فَقَدْ كَفَرَ ، فَإِذا قالَ : إِلَّا اللهُ ، فَهُوَ الإِيمانُ .

وأقبل الإمام على أبي حنيفة ينهاه عن العمل بالقياس ، قال له : يا نُعْمانُ ، حَدَّثَني أَبي ، عَنْ جَدّي رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، قالَ : أَوَّلُ مَنْ قاسَ أَمْرَ الدّينِ بِرَأْيِهِ إِبْليسُ ، قالَ لَهُ اللهُ

تَعالىٰ : اسْجُدْ لآدَمَ ، فَقالَ : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾[١] ، فَمَنْ قاسَ الدّينَ بِرَأْيِهِ قَرَنَهُ اللهُ تَعالىٰ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِإبْليسَ لأَنَّهُ تَبِعَهُ بِالْقِياسِ[٢] .

٢ ـ التقى أبو حنيفة بالإمام الصادق عليه السلام ، فقال له الإمام : **ما تَقولُ في مُحْرِمٍ كَسَرَ رُباعِيَّةَ ظَبْيٍ ؟**

ـ يابن رسول الله ، ما أعلم ما فيه .

لا تَعْلَمُ أَنَّ الظَّبْيَ لا تَكونُ لَهُ رُباعِيَّةٌ ، وَهُوَ ثِنْيٌ أَبَداً[٣] .

٣ ـ والتقى أبو حنيفة بالإمام الصادق عليه السلام وسأله الإمام عن بعض المسائل ، فلم يجبه عنها ، ومن بين ما سأله الإمام : **أَيُّهُما أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ : الْقَتْلُ أَوِ الزِّنا ؟**

ـ بل القتل .

ـ **كَيْفَ رَضِيَ في الْقَتْلِ بِشاهِدَيْنِ ، وَلَمْ يَرْضَ في الزِّنا إِلَّا بِأَرْبَعَةٍ ؟**

ووجم أبو حنيفة ولم يطق جواباً ، وانهار قياسه أمام سليل النبوة ، ثمّ وجّه الإمام عليه السلام السؤال التالي : **الصَّلاةُ أَفْضَلُ أَمِ الصِّيامُ ؟**

ـ بل الصلاة أفضل .

ـ **فَيَجِبُ عَلىٰ قِياسِ قَوْلِكَ عَلَى الْحائِضِ قَضاءُ ما فاتَها مِنَ الصَّلاةِ في حالِ حَيْضِها دونَ الصِّيامِ ، وَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ تَعالىٰ قَضاءَ الصَّوْمِ دونَ الصَّلاةِ .**

---

(١) الأعراف ٧ : ١٢ . ص ٣٨ : ٧٦ .

(٢) جمهرة الأولياء : ٢ : ٧٧ . الاحتجاج : ٢ : ١١٣ و ١١٤ .

(٣) مرآة الجنان : ١ : ٣٠٤ . نزهة المجالس : ٢ : ٥٧ .

ولم يستطع أبو حنيفة الجواب ، فقد مزّق الإمام قياسه ، وأعلمه أنّ دين الله لا يصاب ولا يدرك بالقياس والاستحسان ، ثمّ وجه الإمام له السؤال التالي : **الْبَوْلُ أَقْذَرُ أَمِ الْمَنيُّ ؟**

- البول أقذر.

- يَجِبُ عَلىٰ قياسِكَ أَنْ يَجِبَ الْغُسْلُ مِنَ الْبَوْلِ - لأَنَّهُ أَقْذَرُ - دونَ الْمَنيِّ ، وَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ تَعالَى الْغُسْلَ مِنَ الْمَنيِّ دونَ الْبَوْلِ .

ووجم أبو حنيفة أمام هذه اللوازم الفاسدة التي تترتّب على القياس ، ولم يستطع الدفاع عن فكرته ، واستأنف الإمام عليه السلام حديثه في الردّ عليه .

ما تَرىٰ في رَجُلٍ كانَ لَهُ عَبْدٌ فَتَزَوَّجَ ، وَزَوَّجَ عَبْدَهُ في لَيْلَةٍ واحِدَةٍ فَدَخَلا بِامْرَأَتَيْهِما في لَيْلَةٍ واحِدَةٍ ، ثُمَّ سافَرا وَجَعَلا امْرَأَتَيْهِما في بَيْتٍ واحِدٍ وَوَلَدَتا غُلامَيْنِ ، فَسَقَطَ الْبَيْتُ عَلَيْهِمْ فَقُتِلَتِ الْمَرْأَتانِ ، وَبَقِيَ الْغُلامانِ ، أَيُّهُما في رَأْيِكَ الْمالِكُ ، وَأَيُّهُما الْمَمْلوكُ ، وَأَيُّهُما الْوارِثُ ، وَأَيُّهُما الْمَوْروثُ ؟

وأعرب أبو حنيفة عن عجزه قائلاً : إنّما أنا صاحب حدود .

ووجّه الإمام إليه السؤال التالي : **ما تَرىٰ في رَجُلٍ أَعْمىٰ فَقَأَ عَيْنَ صَحيحٍ ، وَأَقْطَعِ قَطَعَ يَدَ رَجُلٍ ، كَيْفَ يُقامُ عَلَيْهِما الْحَدُّ ؟**

واعترف أبو حنيفة بعجزه وعدم قدرته ، فقال : أنا رجل عالم بمباعث الأنبياء .

فوجّه الإمام له السؤال التالي عن حال بعض الأنبياء قائلاً : **أَخْبِرْني عَنْ قَوْلِ اللهِ لِمُوسىٰ وَهارونَ حينَ بَعَثَهُما إِلىٰ فِرْعَونَ : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾**[1] ،

---

(١) طه ٢٠ : ٤٤.

وَلَعَلَّ مِنْكَ شَكٌّ ؟

- نعم.

- **وَكذلِكَ مِنَ اللهِ شَكٌّ إِذْ قالَ: ﴿ لَعَلَّهُ ﴾.**

- لا علم لي.

وأخذ الامام عليه السلام يوبّخه على عمله بالقياس قائلاً:

تَزْعَمُ أَنَّكَ تَفْتي بِكِتابِ اللهِ، وَلَسْتَ مِمَّنْ وَرِثَهُ، وَتَزْعَمُ أَنَّكَ صاحِبُ قياسٍ، وَأَوَّلُ مَنْ قاسَ إِبْليسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَلَمْ يُبْنَ دينُ الْإِسْلامِ عَلَى الْقِياسِ، وَتَزْعَمُ أَنَّكَ صاحِبُ رَأْيٍ، وَكانَ الرَّأْيُ مِنْ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله صَواباً، وَمِنْ دونِ خَطَأً؛ لأَنَّ اللهَ تَعالىٰ قالَ: ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَراكَ اللهُ ﴾[1]، وَلَمْ يَقُلْ ذلِكَ لِغَيْرِهِ، وَتَزْعَمُ أَنَّكَ صاحِبُ حُدودٍ، وَمَنْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ أَوْلىٰ بِعِلْمِها مِنْكَ، وَتَزْعَمُ أَنَّكَ عالِمٌ بِمَباعِثِ الْأَنْبياءِ، وَخاتَمُ الْأَنْبياءِ أَعْلَمُ بِمَباعِثِهِمْ مِنْكَ، لَوْلا أَنْ يُقالَ دَخَلَ عَلَى ابْنِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ ما سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ، فَقِسْ إِنْ كُنْتَ مُقيساً.

والتفت أبو حنيفة إلى الإمام معرباً له عن تركه العمل بالقياس قائلاً: لا أتكلّم بالرأي والقياس في دين الله بعد هذا المجلس.

وأجابه الإمام: **كَلّا إِنَّ حُبَّ الرِّئاسَةِ غَيْرُ تارِكِكَ كَما لَمْ يَتْرُكْ مَنْ كانَ قَبْلَكَ**[2].

وهكذا انهار أبو حنيفة أمام عملاق الفكر الإسلامي، وسليل النبوّة، الإمام الصادق عليه السلام، ولم يستطع أن يتمسّك بدليل يدافع عن فكرته في حجّيّة القياس، لقد مزّقه الإمام عليه السلام وتركه أوهى من بيت العنكبوت.

---

(١) النساء ٤: ١٠٥.

(٢) الاحتجاج: ٢: ١١٦ و ١١٧.

٤ ـ التقى أبو حنيفة بالإمام الصادق عليه السلام ، وتقدّم أبو حنيفة فسأل الإمام : كم بين المشرق والمغرب ؟

- **مَسيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ ، بَلْ أَقَلُّ مِنْ ذلِكَ .**

واستعظم ذلك أبو حنيفة وأنكره ، فردّ عليه الإمام : **لِمَ تُنْكِرُ هـٰذا ؟ ! إنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنَ الْمَشْرِقِ وَتَغْرُبُ في الْمَغْرِبِ في أَقَلَّ مِنْ يَوْمٍ**(١) .

إنّ اليوم يطلق من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ومن المؤكّد أنّ مسيرة يوم للشمس أقلّ من اليوم .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض مناظرات الإمام عليه السلام مع أبي حنيفة .

مع ابن أبي ليلى

كان ابن أبي ليلى قاضياً من قِبل الحكومة الأمويّة والعبّاسيّة ، وكان يفتي بالرأي قبل أبي حنيفة ، وقد تشرّف بمقابلة الإمام الصادق عليه السلام ، وقد كان معه سعيد بن أبي الخضيب ، فقال عليه السلام له : **مَنْ هذا الَّذي مَعَكَ ؟**

- ابن أبي ليلى قاضي المسلمين .

ووجّه الإمام له السؤال التالي : **أَتَأْخُذُ مالَ هذا فَتُعْطيهِ هـٰذا ، وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ، وَلَا تَخافُ في هـٰذا أَحَداً ؟**

- نعم .

- **بِأَيِّ شَيْءٍ تَقْضي ؟**

- بما بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعن أبي بكر وعمر .

---

(١) الاحتجاج : ٢ : ٢٧٢ .

- **بَلَغَكَ أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ : « أَقْضاكُمْ عَلِيٌّ بَعْدي ؟ » .**

- نعم .

- **كَيْفَ تَقْضي بِغَيْرِ قَضاءِ عَلِيٍّ ، وَقَدْ بَلَغَكَ هذا ؟**

واصفرّ وجه ابن أبي ليلى ، وعرف أنّه قد جانب الحقّ فيما حكم وأفتى به ، والتفت الإمام عليه السلام له قائلاً : **الْتَمِسْ مَثَلاً لِنَفْسِكَ ، فَوَاللهِ لا أُكَلِّمُكَ مِنْ رَأْسي كَلِمَةً أَبَداً**(١) .

مع المعتزلة

والتقى بالإمام الصادق عليه السلام بمكّة وفد من المعتزلة في مستوى رفيع ضمّ أعلامهم ورؤوسهم ، فكان من بينهم عمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء ، وحفص بن سالم ، وغيرهم من وجوههم وأعيانهم ، وذلك بعد قتل الوليد ، واختلاف أهل الشام ، وقد أجمع رأي المعتزلة على محمّد بن عبدالله بن الحسن للخلافة الإسلاميّة ، وتكلّموا بحضرة الإمام عليه السلام ، فقال لهم : **إِنَّكُمْ قَدْ أَكْثَرْتُمْ عَلَيَّ فَأَطَلْتُمْ ، فَأَسْنِدوا أَمْرَكُمْ إِلىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ فَلْيَتَكَلَّمْ بِحُجَجِكُمْ وَلْيوجِزْ** .

وأجمع رأيهم على إسناد أمرهم إلى زعيمهم الروحي عمرو بن عبيد ، فخطب خطاباً بليغاً ورائعاً ، وكان من جملة ما قاله : قتل أهل الشام خليفتهم ـ يعني الوليد ـ وضرب الله بعضهم ببعض ، وتشتّت أمرهم ، فنظرنا فوجدنا رجلاً له دين وعقل ومروءة ، ومعدن للخلافة ، وهو محمّد بن عبدالله بن الحسن ، فأردنا أن نجتمع معه فنبايعه ، ثمّ نظهر أمرنا معه ، وندعو الناس إليه ، فمن بايعه كنّا معه ، وكان منّا ، ومن اعتزلنا كففنا عنه ، ومن نصب لنا جاهدناه ، ونصبنا له على بغيه ، ونردّه إلى الحقّ وأهله .

---

(١) الاحتجاج : ٢ : ١٠٢ .

ثمّ التفت إلى الإمام وقال له : وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك ، فإنّه لا غنى بنا عن مثلك ، لفضلك ولكثرة شيعتك .

ولمّا أنهى عمرو بن عبيد خطابه الهادف إلى ترشيح محمّد للخلافة ، والطلب من الإمام تأييدهم فيما عزموا عليه ، التفت عليه‌السلام إلى المعتزلة فقال لهم : **أَكُلُّكُمْ عَلىٰ مِثْلِ ما قالَ عَمْرو ؟**

- نعم .

وحمد الإمام الله ، وأثنى عليه ، وصلّى على النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ، ووجّه خطابه إلى عمرو فقال له : **يا عَمْرو ، لَوْ أَنَّ الأُمَّةَ قَلَّدَتْك أَمْرَها فَمَلَكْتَهُ بِغَيْرِ قِتالٍ ، وَلَا مَؤونَةٍ ، فَقيلَ لَكَ : وَلِّها مَنْ شِئْتَ ، مَنْ كُنْتَ تُوَلّي ؟**

ويادر عمرو فقال : أجعلها شورى بين المسلمين .

- **بَيْنَ كُلِّهِمْ بَيْنَ فُقَهائِهِمْ وَخِيارِهِمْ ؟**

- نعم .

- **قُرَيْش وَغَيْرُهُمْ ؟**

- نعم .

- **الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ ؟**

- نعم .

- **أَخْبِرْني ـ يا عمرو ـ أَتَتَوَلّىٰ أبا بَكْرٍ وَعُمَرَ أَوْ تَتَبَرَّأُ مِنْهُما ؟**

- أتولّاهما .

يا عَمْرو ، إنْ كُنْتَ تَتَبَرَّأُ مِنْهُما فَإِنَّهُ يَجوزُ لَكَ الْخِلافُ عَلَيْهِما ، وَإِنْ كُنْتَ تَتَوَلّاهُما

فَقَدْ خالَفْتَهُما ، فَقَدْ عَهِدَ عُمَرُ إلىٰ أَبي بَكْرٍ فَبايَعَهُ ، وَلَمْ يُشاوِرْ أَحَداً ، ثُمَّ رَدَّها أَبو بَكْرٍ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يُشاوِرْ أَحَداً ، ثُمَّ جَعَلَها عُمَرُ شورى بَيْنَ سِتَّةٍ ، فَأَخْرَجَ مِنْها الْأَنْصارَ ، ثُمَّ أَوْصَى النّاسَ فيهِمْ -أي في الستّة الذين انتخبهم- **بِشَيْءٍ ما أَراكَ تَرْضىٰ أَنْتَ وَلَا أَصْحابُكَ بِهِ.**

وبهذا فقد فنّد الإمام عليه السلام مزاعم عمرو بن عبيد من أنّه يدعو الناس كافّه إلى البيعة ، ويجعل الانتخاب عامّاً وشاملاً لجميع قطاعات الشعب ، فإنّه إن فعل ذلك فقد خالف سيرة الشيخين اللذين لم يستندا في عملية الانتخاب إلى قاعدة شعبيّة عامّة ، وإنّما اقتصر أبو بكر في بيعته على جمع من الناس حملهم عليها عمر بدرّته ، كما أجمع على ذلك المؤرّخون ، وأمّا البيعة لعمر فإنّها كانت بترشيح من أبي بكر لا غير ، وبعدما اغتيل عمر جعلها شورى في ستّة من المهاجرين ، وأخرج الأنصار الذين كانوا ذراع الإسلام ودرعه الحصين.

وطفق عمرو يسأل الإمام عليه السلام عمّا صنع عمر قائلاً : ما صنع ؟

أجابه الإمام بتفصيل الحادث ، قال : **أَمَرَ صُهَيْباً أَنْ يُصَلِّيَ بِالنّاسِ ثَلاثَةَ أَيّامٍ ، وَأَنْ يَتَشاوَرَ أُولئِكَ السِّتَّةُ لَيْسَ فيهِمْ أَحَدٌ سِواهُمْ إِلَّا ابْنُ عُمَرَ ، وَيُشاوِرونَهُ ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، وَأَوْصىٰ مَنْ كانَ بِحَضْرَتِهِ مِنَ الْمُهاجِرينَ وَالْأَنْصارِ إِنْ مَضَتْ ثَلاثَةُ أَيّامٍ وَلَمْ يَفْرُغوا وَيُبايِعوا ، أَنْ تُضْرَبَ أَعْناقُ السِّتَّةِ جَميعاً ، وَإِنِ اجْتَمَعَ أَرْبَعَةٌ قَبْلَ أَنْ يَمْضي ثَلاثَةُ أَيّامٍ ، وَخالَفَ اثْنانِ أَنْ يُضْرَبَ أَعْناقُ الْإِثْنَيْنِ ، أَفَتَرْضونَ بِذا فيما تَجْعَلونَ مِنَ الشّورىٰ فِي الْمُسْلِمينَ ؟**

وهكذا حفلت الشورى العمريّة بإعدام جميع أعضاء الشورى إن لم يتّفقوا على مبايعة واحد منهم بعد ثلاثة أيّام ، وإن اجتمع أربعة منهم على مبايعة شخص دون اثنان تضرب أعناقهما ، وهذا الحكم لا يقرّه الفقه الإسلامي الذي لم يبح بأي حال

إراقة دماء المسلمين إلّا بالحقّ ، وقد رفض عمرو بن عبيد هذه الشورى ، والتفت له الإمام قائلاً: **دَعْ ذا ، أَرَأَيْتَ لَوْ بايَعْتَ صاحِبَكَ هٰذَا الَّذي تَدْعو إِلَيْهِ ، ثُمَّ اجْتَمَعَتْ لَكُمُ الْأُمَّةُ ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْكُمْ مِنْها رَجُلانِ ، فَأَفْضَيْتُمْ إِلَى الْمُشْرِكينَ الَّذينَ لَمْ يُسْلِموا وَلَمْ يُؤَدّوا الْجِزْيَةَ كانَ عِنْدَكُمْ وَعِنْدَ صاحِبِكُمْ مِنَ الْعِلْمِ ما تَسيرونَ فيهِمْ بِسيرَةِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله في الْمُشْرِكينَ في الْجِزْيَةِ ؟**

والتفت إليهم الإمام بعد هذه المقدّمة المحرجة لهم قائلاً: **فَتَصْنَعونَ ماذا ؟**

فأجابوا جميعاً : ندعوهم إلى الإسلام ، فإن أبوا دعوناهم إلى الجزية .

وأشكل عليهم الإمام قائلاً: **فَإِنْ كانوا مَجوساً ، وَأَهْلَ كِتابٍ ، وَعَبَدَةَ النِّيرانِ وَالْبَهائِمِ وَلَيْسوا بِأَهْلِ كِتابٍ ؟**

فانبروا قائلين : هم سواء .

وأشكل عليهم الإمام قائلاً: **أَخْبِروني عَنِ الْقُرآنِ تَقْرَأونَهُ ؟**

- نعم .

- **قَرَأْتُمْ قَوْلَهُ تَعالىٰ: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَاحَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾**(١).

فَاسْتَثْنَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّذينَ أُوتوا الْكِتابَ ، فَكَيْفَ يَكونونَ مَعَ الَّذينَ لَمْ يُؤْتَوا الْكِتابَ سَواءً ؟

وأصرّ الجماعة على التسوية بين الطائفتين في الحكم ، فقال عليه السلام لعمرو بن عبيد :

---

(١) التوبة ٩: ٢٩.

وَعَمَّنْ أَخَذْتَ هٰذا ؟

فأجابه جواباً لا يستند إلى ركيزة علميّة قائلاً: سمعتُ النّاس يقولونه.

وليس قول الناس من مدارك الأحكام الشرعيّة، ووجّه الإمام إليه سؤالاً آخر قائلاً: **دَعْ ذا، فَإِنَّهُمْ إِنْ أَبوا الْجِزْيَةَ فَقاتَلْتَهُمْ فَظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ، كَيْفَ تَصْنَعُ بِالْغَنيمَةِ ؟**

- أُخرج الخمس وأُقسّم أربعة أخماس بين من قاتل عليها.

- **تُقَسِّمُهُ بَيْنَ جَميعِ مَنْ قاتَلَ عَلَيْها ؟**

- نعم.

- **لَقَدْ خالَفْتَ رَسولَ اللهِ ﷺ في فِعْلِهِ وَفي سيرَتِهِ، وَبَيْني وَبَيْنَكَ فُقَهاءُ أَهْلِ الْمَدينَةِ وَمَشْيَخَتُهُمْ، فَسَلْهُمْ فَإِنَّهُمْ لا يَخْتَلِفونَ وَلا يَتَنازَعونَ في أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ إِنَّما صالَحَ الْأَعْرابَ عَلىٰ أَنْ يَدَعَهُمْ في دِيارِهِمْ، وَأَنَّ لَدَيْها جُرْداً عَلىٰ أَنَّهُ إِنْ دَهَمَهُ عَدُوٌّ فَيَسْتَفِزَّهُمْ، فَيُقاتِلُ بِهِمْ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْغَنيمَةِ نَصيبٌ، وَأَنْتَ تَقولُ: بَيْنَ جَميعِهِمْ، فَقَدْ خالَفْتَ رَسولَ اللهِ ﷺ في الْمُشْرِكينَ.. دَعْ ذا فَما تَقولُ في الصَّدَقَةِ ؟**

فقرأ عمرو بن عبيد الآية: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا**﴾(١).

فقال الإمام عليه السلام لعمرو: **كَيْفَ تُقَسِّمُ بَيْنَهُمْ ؟**

- أُقسّمها على ثمانية أجزاء، فأُعطي كلّ جزء من الثمانية جزءً.

وأشكل الإمام عليه قائلاً: **إن كانَ صِنْفٌ مِنْهُمْ عَشَرَةَ آلافٍ، وَصِنْفٌ رَجُلاً واحِداً**

---

(١) التوبة ٩: ٦٠.

أَوْ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلاثَةَ ، جَعَلْتَ لِهٰذا الْواحِدِ مِثْلَ ما جَعَلْتَ لِعَشْرَةِ آلافٍ ؟

ـ نعم .

ـ خالَفْتَ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله في كُلِّ ما أَتىٰ بِهِ ، كانَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يُقَسِّمُ صَدَقَةَ الْبَوادي في أَهْلِ الْبَوادي ، وَصَدَقَةَ أَهْلِ الْحَضَرِ في أَهْلِ الْحَضَرِ ، وَلا يُقَسِّمُ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ ، إِنَّما يُقَسِّمُهُ قَدَرَ ما يَحْضَرُ مِنْهُمْ ، وَعَلىٰ قَدَرِ ما يَحْضَرُهُ ، فَإِنْ كانَ في نَفْسِكَ شَيْءٌ مِمّا قُلْتُ لَكَ ، فَإِنَّ فُقَهاءَ أَهْلِ الْمَدينَةِ وَمَشْيَخَتَهُمْ كُلَّهُمْ لا يَخْتَلِفونَ في أَنَّ رَسولَ اللهِ كَذا كانَ يَصْنَعُ .

ثمّ أقبل على عمرو فجعل يوبّخه ، ويأمره وأصحابه بتقوى الله ، والرجوع إلى أئمّة الهدى ، الذي أقامهم رسول الله أعلاماً لأُمّته قائلاً :

اتَّقِ اللهَ يا عَمْرو ، وَأَنْتُمْ أَيُّها الرَّهْطُ فَاتَّقوا اللهَ ، فَإِنَّ أَبي حَدَّثَني وَكانَ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَأَعْلَمَهُمْ بِكِتابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسولِهِ : أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ : مَنْ ضَرَبَ النّاسَ بِسَيْفِهِ ، وَدَعاهُمْ إِلىٰ نَفْسِهِ ، وَفي الْمُسْلِمينَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ فَهُوَ ضالٌّ مُتَكَلِّفٌ(١) .

ووجم عمرو بن عبيد ، ولم يهتدِ إلى حجّة يتمسّك بها للدفاع عن نفسه ، ونهض مع بقيّة الزعماء الروحانيّين للمعتزلة ، وهم يجرّون رداء الخيبة ، قد ضلوا عن الطريق ، وانحرفوا عن القصد ، فقد أوضح لهم الإمام عليه السلام أنّه يجب أن تكون مسيرتهم خلف إمام عالم بأحكام الله ، عارف بما تحتاج إليه الأُمّة في جميع شؤونها .

مع النصارى

ولم تقتصر مناظرات الإمام الصادق عليه السلام على صنف خاصّ من المذاهب والأديان ،

---

(١) الاحتجاج : ٢ : ١١٨ ـ ١٢٢ .

وإنّما شملت جميع المذاهب ، وكان من بينها النصارى ، فقد تشرّف بمقابلته وفد من النصارى ، وقدّموا له السؤال التالي : إنّ موسى وعيسى ومحمّد سواء لأنّهم جميعاً أصحاب شرائع وكتب .

فأنكر عليه السلام ذلك وقال : **مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أَفْضَلُ مِنْهُما وَأَعْلَمُ ، وَقَدْ أَعْطاهُ اللهُ تَعالىٰ مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ يُعْطِ غَيْرَهُ .**

فانبروا جميعاً قائلين : هل آية من كتاب الله نزلت في هذا ؟

نَعَمْ ، قَوْلُهُ تَعالىٰ : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾(١) .

وَقَوْلُهُ تَعالىٰ : ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾(٢) .

وَقَوْلُهُ تَعالىٰ لِلنَّبِيِّ الْمُصْطَفىٰ : ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾(٣) .

وَقَوْلُهُ تَعالىٰ : ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ﴾(٤) **، فَهُوَ وَاللهِ أَعْلَمُ مِنْهُما ، وَلَوْ حَضَرَ مُوسىٰ وَعِيسىٰ مَحْضَري وَسَأَلاني لَأَجَبْتُهُما ، وَلَوْ سَأَلْتُهُما ما أَجابا »**(٥) .

ويهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض احتجاجات الإمام ومناظراته ، وهي تمثّل جانباً كبيراً من الصراع الفكري والعقائدي في ذلك العصر بين الإسلام والقوى المعادية له .

---

(١) الأعراف ٧ : ١٤٥ .

(٢) الزخرف ٤٣ : ٦٣ .

(٣) النحل ١٦ : ٨٩ .

(٤) الجنّ ٧٢ : ٢٨ .

(٥) بحار الأنوار : ٤ : ١٤٠ .

رسائله ووصاياه عليه السلام

من أنماط الثقافة الإسلاميّة العالية رسائل الإمام الصادق عليه السلام ووصاياه التي زوّد بها نخبة من أعلام شيعته ، وهي تمثّل جانباً كبيراً من الفكر الإسلامي المتطوّر الهادف إلى رفع مستوى الحياة ، وتنظيم سلوك النّاس ، وتهذيب غرائزهم ، وإقامة الروابط الاجتماعيّة المتكاملة بينهم ، كما عرضت للقضايا السياسيّة في الإسلام ، فوضعت أهمّ البنود المشرقة في عالم السياسة والحكم .. وفيما يلي بعض ما أُثر من رسائله ووصاياه .

رسائله عليه السلام

أمّا رسائل الإمام الصادق عليه السلام فهي من مناجم التراث الإسلامي ، وهي في نفس الوقت تحكي مدى اهتمامه في تركيز المفاهيم الخيّرة في عواطف الناس وضمائرهم ، ونلمح إلى بعضها :

١ ـ في التوحيد

وسرت موجات من الشكوك والأوهام حول قضايا التوحيد ، والتي كان منها الجدل في صفات الله تعالى ، وقد رفع عبدالملك بن أعين رسالة إلى الإمام الصادق عليه السلام يسأله عن ذلك ، وقد جاء في رسالته ما يلي :

« إنّ قوماً بالعراق يصفون الله بالصورة وبالتخطيط ، فإن رأيت جعلني الله فداك ، أن تكتب إليَّ بالمذهب الصحيح من التوحيد ».

فكتب إليه الإمام عليه السلام ما يلي : « **سَأَلْتَ رَحِمَكَ اللهُ عَنِ التَّوْحيدِ ، وَما ذَهَبَ إلَيْهِ مِنْ قَبْلَكَ ، فَتَعالَى اللهُ الَّذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهوَ السَّميعُ الْبَصيرُ ، تَعالىٰ عَمّا يَصِفُهُ الْواصِفونَ ، الْمُشَبِّهونَ اللهَ بِخَلْقِهِ ، الْمُفْتَرونَ عَلَى اللهِ .**

فَاعْلَمْ ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ أَنَّ الْمَذْهَبَ الصَّحيحَ في التَّوْحيدِ ما نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ صِفاتِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ ، فَانْفِ عَنِ اللهِ تَعالَى الْبُطْلانَ وَالتَّشْبيهَ ، فَلا نَفْيَ وَلا تَشْبيهَ ، هُوَ اللهُ الثّابِتُ الْمَوْجودُ ، تَعالَى اللهُ عَمّا يَصِفُهُ الْواصِفونَ وَلا تَعَدّوا الْقُرْآنَ فَتَضِلّوا بَعْدَ التِّبْيانِ»(١).

وعرض الإمام عليه السلام في رسالته إلى تفنيد القائلين بنفي الصفات مطلقاً عن الله تعالى ، وأنّه ليست له أيّة صفة ، كما فنّد قول الذاهبين إلى أنّ له صفات ولكنّها تشبه صفات المخلوقين ، فإنّ كلا هذين القولين ليس لهما واقع علمي وإنّما هو تخرّص بالباطل ، والواجب الرجوع إلى مائدة القرآن الكريم ، فهو يثبت في كثير من آياته أنّ له صفات ، ولكنّها ليست كصفات المخلوقين ، فهو تعالى الثابت الموجود تعالى عمّا يصفه الواصفون .

---

(١) أُصول الكافي : ١ : ١٠٠ .

٢ـ في الغنائم والخمس

رفع شخص من شيعة الإمام عليه السلام رسالة إليه يسأله فيها عن الغنائم والخمس، ويطلب أن يوقفه على الأسباب التي حجبت ذوي القربى من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله عن تناولهم لسهمهم الذي فرضه الله لهم. وقد أجابه الإمام عليه السلام جواباً موضوعياً وشاملاً قد دعمه بالأدلّة الحاسمة، وهذا نصّه بعد البسملة:

فَهِمْتُ ما ذَكَرْتَ أَنَّكَ اهْتَمَمْتَ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ بِوجوهِ مَواضِعِ ما لِلّهِ فيهِ رِضىً، وَكَيْفَ أُمْسِكَ سَهْمَ ذِي الْقُربىٰ مِنْهُ، وَما سَأَلْتَني مِنْ إِعْلامِكَ ذٰلِكَ كُلَّهُ، فاسْمَعْ بِقَلْبِكَ، وَانْظُرْ بِعَقْلِكَ، ثُمَّ أَعْطِ في جَنْبِكَ النِّصْفَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّهُ أَسْلَمُ لَكَ غَداً عِنْدَ رَبِّكَ، الْمُتَقَدِّمُ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ إِلَيْكَ، وَفَّقَنا اللهُ وَإِيّاكَ.

اعْلَمْ أَنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكَ ما غابَ عَنْ شَيْءٍ، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾(١)، وَما فَرَّطَ في الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ(٢)، وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلَهُ تَفْصِيلاً(٣)، وَأَنَّهُ لَيْسَ ما وَضَّحَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ مِنْ أَخْذِ مالِهِ بِأَوْضَحَ مِمّا أَوْضَحَ اللهُ مِنْ قِسْمَتِهِ إِيّاهُ في سُبُلِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَفْتَرِضْ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئاً في شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا وَقَدْ أَتْبَعَهُ بِسُبُلِهِ إِيّاهُ غَيْرَ مُفَرِّقٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ. يُوجِبُهُ لِمَنْ فَرَضَ لَهُ ما لَا يَزولُ عَنْهُ مِنَ الْقَسْمِ كَما يَزولُ ما بَقِيَ سِواهُ عَمَّنْ سُمِّيَ لَهُ لِأَنَّهُ يَزولُ عَنِ الشَّيْخِ بِكِبَرِهِ، وَالْمِسْكينِ بِغِناهُ، وَابْنِ السَّبيلِ بِلُحوقِهِ بِبَلَدِهِ، وَمَعَ تَوْكيدِ الْحَجِّ مَعَ ذٰلِكَ بِالْأَمْرِ بِهِ تَعْليماً، وَبِالنَّهْيِ عَمّا رَكِبَ مِمَّنْ مَنَعَهُ تَحَرُّجاً، فَقالَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ في الصَّدَقاتِ ـوَكانَتْ أَوَّلَ ما افْتَرَضَ اللهُ سُبُلَهُـ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ

---

(١) مريم ١٩: ٦٤.

(٢) و (٣) اقتباس من قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ الأنعام ٦: ٣٨ و: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ الإسراء ١٧: ١٢.

عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾(١)، فَاللهُ أَعْلَمَ نَبِيَّهُ ﷺ مَوْضِعَ الصَّدَقاتِ، وَأَنَّها لَيْسَتْ لِغَيْرِ هؤُلاءِ، يَضَعُها حَيْثُ يَشاءُ مِنْهُمْ عَلىٰ ما يَشاءُ، وَيَكُفُّ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ نَبِيَّهُ وَأَقْرِباءَهُ عَنْ صَدَقاتِ النّاسِ وَأَوْساخِهِمْ، فَهَذا سَبيلُ الصَّدَقاتِ.

وَأَمّا الْمَغانِمُ فَإِنَّهُ لَمّا كانَ يَوْمُ بَدْرٍ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: مَنْ قَتَلَ قَتيلاً فَلَهُ كَذا وَكَذا، وَمَنْ أَسَرَ أَسيراً فَلَهُ مِنْ غَنائِمِ الْقَوْمِ كَذا وَكَذا، فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَني أَنْ يَفْتَحَ عَلَيَّ، وَأَنْعَمَني عَسْكَرَهُمْ، فَلَمّا هَزَمَ اللهُ الْمُشْرِكينَ وَجُمِعَتْ غَنائِمُهُمْ، قامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصارِ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، إِنَّكَ أَمَرْتَنا بِقِتالِ الْمُشْرِكينَ وَحَثَثْتَنا عَلَيْهِ وَقُلْتَ: مَنْ أَسَرَ أَسيراً فَلَهُ كَذا وَكَذا مِنْ غَنائِمِ الْقَوْمِ، وَمَنْ قَتَلَ قَتيلاً فَلَهُ كَذا وَكَذا. إِنّي قَتَلْتُ قَتيلَيْنِ -لي بِذلِكَ الْبَيِّنَةُ- وَأَسَرْتُ أَسيراً، فَأَعْطِنا ما أَوْجَبْتَ عَلىٰ نَفْسِكَ يا رَسولَ اللهِ، ثُمَّ جَلَسَ.

فَقامَ سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، ما مَنَعَنا أَنْ نُصيبَ مِثْلَ ما أَصابوا جُبْنٌ عَنِ الْعَدُوِّ، وَلا زَهادَةٌ في الْآخِرَةِ وَالْمَغْنَمِ، وَلكِنّا تَخَوَّفْنا إِنْ بَعُدَ مَكانُنا مِنْكَ، فَيَميلَ إِلَيْكَ مِنْ جُنْدِ الْمُشْرِكينَ أَوْ يُصيبوا مِنْكَ ضَيْعَةً(٢) فَيَميلوا إِلَيْكَ فَيُصيبوكَ بِمُصيبَةٍ، وَإِنَّكَ إِنْ تُعْطِ هؤُلاءِ الْقَوْمِ ما طَلَبوا يَرْجِعْ سائِرُ الْمُسْلِمينَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْغَنيمَةِ شَيْءٌ، ثُمَّ جَلَسَ.

فَقامَ الْأَنْصارِيُّ فَقالَ مِثْلَ مَقالَتِهِ الْأُولىٰ، ثُمَّ جَلَسَ. يَقولُ ذلِكَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما ثَلاثَ مَرّاتٍ، فَصَدَّ النَّبِيُّ ﷺ بِوَجْهِهِ. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾(٣)، وَالْأَنْفالُ اسْمٌ جامِعٌ لِما أَصابوا يَوْمَئِذٍ، مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ

---

(١) التوبة ٩: ٦٠.

(٢) **الضيعة**: التلف والهلاك.

(٣) الأنفال ٨: ١.

رَسُولِهِ ﴾[١]. وَمِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ ﴾[٢].

ثُمَّ قالَ: ﴿ الْأَنْفَالُ لِلهِ وَالرَّسُولِ ﴾[٣]، فاخْتَلَجها اللهُ[٤] مِنْ أَيْديهِمْ فَجعَلَها لِلهِ وَلِرَسولِهِ.

ثُمَّ قالَ: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ﴾[٥]، فَلَمّا قَدِمَ رَسولُ اللهِ ﷺ الْمَدينَةَ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾[٦].

فَأَمّا قَوْلَهُ: ﴿ لِلهِ ﴾ فَكَما يَقولُ الْإِنْسانُ هُوَ لِلهِ وَلَكَ وَلَا يُقْسَمُ لِلهِ مِنْهُ شَيْءٌ، فَخَمَّسَ رَسولُ اللهِ ﷺ الْغَنِيمَةَ الَّتي قَبَضَ بِخَمْسَةِ أَسْهُمٍ. فَقَبَضَ سَهْمَ اللهِ لِنَفْسِهِ يُحْيي بِهِ ذِكْرَهُ، وَيُورَثُ بَعْدَهُ، وَسَهْماً لِقَرابَتِهِ مِنْ بَني عَبْدِالْمُطَّلِبِ، فَأَنْفَذَ سَهْماً لِأَيْتامِ الْمُسْلِمينَ، وَسَهْماً لِمَساكينِهِمْ، وَسَهْماً لابنِ السَّبيلِ مِنَ الْمُسْلِمينَ في غَيْرِ تِجارَةٍ، فَهذا يَوْمُ بَدْرٍ، وَهذا سَبيلُ الْغَنائِمِ الَّتي أُخِذَتْ بِالسَّيْفِ.

وَأَمّا ما لَمْ يُوجَفْ عَلَيْهِ[٧] بِخَيْلٍ وَلَا رِكابٍ[٨] فَإِنْ كانَ الْمهاجِرونَ حِينَ قَدِموا الْمَدينَةَ أَعْطَتْهُمُ الْأَنْصارُ نِصْفَ دورِهِمْ وَنِصْفَ أَمْوالِهِمْ. وَالْمُهاجِرونَ يَوْمَئِذٍ نَحْوُ مائَةِ رَجُلٍ.

---

(١) الحشر ٥٩: ٧.

(٢) و (٦) الأنفال ٨: ٤١.

(٣) و (٥) الأنفال ٨: ١.

(٤) **اختلجه**: انتزعه واجتذبه.

(٧) **الإيجاف**: السير الشديد.

(٨) **الركاب**: الإبل.

فَلَمّا ظَهَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَلىٰ بَني قُرَيْظَةَ وَالنَّضيرِ[١] وَقَبَضَ أَمْوالَهُمْ قالَ النَّبيُّ ﷺ لِلأَنْصارِ: إِنْ شِئْتُمْ أَخْرَجْتُمُ الْمُهاجِرينَ مِنْ دورِكُمْ وَأَمْوالِكُمْ، وَقَسَمْتُ لَهُمْ هٰذِهِ الْأَمْوالَ دونَكُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُمْ أَمْوالَكُمْ وَدورَكُمْ، وَقَسَمْتُ لَكُمْ مَعَهُمْ.

قالَتِ الْأَنْصارُ: بَلِ اقْسِمْ لَهُمْ دونَنا، وَاتْرُكْهُمْ مَعَنا في دُورِنا وَأَمْوالِنا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ ـ يَعْني يَهودَ قُرَيْظَةَ ـ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾[٢] لِأَنَّهُمْ كانوا مَعَهُمْ بِالْمَدينَةِ أَقْرَبَ مِنْ أَنْ يُوجَفَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلٍ وَلا رِكابٍ.

ثُمَّ قالَ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٣]، فَجَعَلَها اللهُ لِمَنْ هاجَرَ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَ النَّبيِّ ﷺ وَصَدَقَ، وَأَخْرَجَ أَيْضاً عَنْهُمُ الْمُهاجِرينَ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْعَرَبِ لِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾[٤]؛ لِأَنَّ قُرَيْشاً كانَتْ تَأْخُذُ ديارَ مَنْ هاجَرَ مِنْها وَأَمْوالَهُمْ، وَلَمْ تَكُنِ الْعَرَبُ تَفْعَلُ ذٰلِكَ بِمَنْ هاجَرَ مِنْها، ثُمَّ أَثْنىٰ عَلَى الْمُهاجِرينَ الَّذينَ جَعَلَ لَهُمُ الْخُمُسَ وَبَرَّأَهُمْ مِنَ النِّفاقِ بِتَصْديقِهِمْ إِيّاهُ حينَ قالَ: ﴿أُولٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٥] لا الْكاذِبونَ، ثُمَّ أَثْنىٰ عَلَى الْأَنْصارِ، وَذَكَرَ ما صَنَعوا، وَحُبَّهُمْ لِلْمُهاجِرينَ، وَإيثارَهُمْ إِيّاهُمْ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدوا في أَنْفُسِهِمْ حاجَةً ـ يَقولُ: حَزازَةً ـ مِمّا أُوتوا، يَعْني الْمُهاجِرينَ دونَهُمْ فَأَحْسَنَ الثَّناءَ عَلَيْهِمْ، فَقالَ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي

---

(١) بنو قريظة وبنو النضير: بطنان من اليهود، كانت بينهم وبين النبيّ عهد فنقضوه.

(٢) الحشر ٥٩: ٦.

(٣ ـ ٥) الحشر ٥٩: ٨.

صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] ، وَقَدْ كانَ رِجالٌ اتَّبَعوا النَّبيَّ ﷺ قَدْ وَتَرَهُمُ الْمُسْلِمونَ فيما أَخَذوا مِنْ أَمْوالِهِمْ ، فَكانَتْ قُلوبُهُمْ قَدِ امْتَلأَتْ عَلَيْهِمْ ، فَلَمّا حَسُنَ إِسْلامُهُمُ اسْتَغْفَروا لأَنْفُسِهِمْ مِمّا كانوا عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ ، وَسَأَلوا اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِما في قُلوبِهِمْ مِنَ الْغِلِّ لِمَنْ سَبَقَهُمْ إِلى الإِيمانِ ، وَاسْتَغْفَروا لَهُمْ حَتّىٰ يُحَلِّلَ ما في قُلوبِهِمْ ، وَصاروا إِخْواناً لَهُمْ ، فَأَثْنَى اللهُ عَلَى الَّذينَ قالوا ذٰلِكَ خاصَّةً ، فَقالَ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] ، فَأَعْطىٰ رَسولُ اللهِ ﷺ الْمُهاجِرينَ عامَّةً مِنْ قُرَيْشٍ عَلىٰ قَدْرِ حاجَتِهِمْ فيما يَرى؛ لأَنَّها لَمْ تُخَمَّسْ فَتُقَسَّمُ بِالسَّوِيَّةِ ، وَلَمْ يُعْطِ أَحَداً مِنْهُمْ شَيْئاً إِلّا الْمُهاجِرينَ مِنْ قُرَيْشٍ غَيْرَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَنْصارٍ ، يُقالُ لأَحَدِهِما سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ ، وَلِلآخَرِ سِماكُ بْنُ خَرَشَةَ ـ أَبو دُجانَةَ ـ فَإِنَّهُ أَعْطاهُما لِشِدَّةِ حاجَةٍ كانَتْ بِهِما مِنْ حَقِّهِ ، وَأَمْسَكَ النَّبيُّ ﷺ مِنْ أَمْوالِ بَني قُرَيْظَةَ وَالنَّضيرِ مِمّا لَمْ يُوجَفْ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلا رِكابٍ سَبْعَ حَوائِطَ لِنَفْسِهِ لأَنَّهُ لَمْ يُوجِفْ عَلىٰ فَدَكَ خَيْلٌ أَيْضاً وَلا رِكابٌ .

وَأَمّا خَيْبَرَ فَإِنَّها كانَتْ مَسيرَةَ ثَلاثَةِ أَيّامٍ مِنَ الْمَدينَةِ ، وَهِيَ أَمْوالُ الْيَهودِ ، وَلٰكِنَّهُ أَوْجَفَ عَلَيْها خَيْلٌ وَرِكابٌ ، وَكانَتْ فيها حَرْبٌ ، فَقَسَّمَها عَلىٰ قِسْمَةِ بَدْرٍ ، فَقالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ

---

(١) الحشر ٥٩ : ٩.

(٢) الحشر ٥٩ : ١٠.

الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[١] . فَهٰذا سَبيلُ ما أَفاءَ اللهُ عَلىٰ رَسولِهِ مِمّا أَوْجَفَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلا رِكابٍ . وَقَدْ قالَ عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ : ما زِلْنا نَقْبِضُ سَهْمَنا بِهٰذِهِ الْآيَةِ الَّتي أَوَّلُها تَعَلُّمٌ وَآخِرُها تَحَرُّجٌ ، حَتّىٰ جاءَ خُمْسُ السُّوسِ وَجُنْدي سابورَ[٢] إِلىٰ عُمَرَ وَأَنا وَالْمُسْلِمونَ وَالْعَبّاسُ عِنْدَهُ ، فَقالَ عُمَرُ لَنا : إِنَّهُ قَدْ تَتابَعَتْ لَكُمْ مِنَ الْخُمْسِ أَمْوالٌ فَقَبَضْتُموها حَتّىٰ لا حاجَةَ بِكُمُ الْيَوْمَ وَبِالْمُسْلِمينَ حاجَةٌ وَخَلَلٌ[٣] ، فَأَسْلِفونا حَقَّكُمْ مِنْ هٰذَا الْمالِ حَتّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِقَضائِهِ مِنْ أَوَّلِ شَيْءٍ يَأْتي الْمُسْلِمينَ ، فَكَفَفْتُ عَنْهُ لِأَنّي لَمْ آمَنْ حينَ جَعَلَهُ سَلَفاً لَوْ أَلْحَحْنا عَلَيْهِ فيهِ أَنْ يَقولَ في خُمْسِنا مِثْلَ قَوْلِهِ في أَعْظَمَ مِنْهُ ، أَعْني ميراثَ نَبِيِّنا ﷺ حينَ أَلْحَحْنا عَلَيْهِ فيهِ .

فَقالَ لَهُ الْعَبّاسُ : لا تَغْمَزْ فِي الَّذي لَنا يا عُمَرُ ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَثْبَتَهُ لَنا مِمّا أَثْبَتَ بِهِ الْمَواريثَ بَيْنَنا .

فَقالَ عُمَرُ : وَأَنْتُمْ أَحَقُّ مَنْ أَرْفَقَ الْمُسْلِمينَ وَشَفَّعَني ، فَقَبَضَهُ عُمَرُ .

ثُمَّ قالَ : لا وَاللهِ ما آتيهِمْ ما يَقْبِضُنا حَتّىٰ لَحِقَ بِاللهِ ، ثُمَّ ما قَدَرْنا عَلَيْهِ بَعْدَهُ .

ثُمَّ قالَ عَلِيٌّ : إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ الصَّدَقَةَ فَعَوَّضَهُ مِنْها سَهْماً مِنَ الْخُمْسِ ، وَحَرَّمَها عَلىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ خاصَّةً دونَ قَوْمِهِمْ ، وَأَسْهَمَ لِصَغيرِهِمْ وَكَبيرِهِمْ ، وَذَكَرِهِمْ وَأُنْثاهُمْ ، وَفَقيرِهِمْ ، وَشاهِدِهِمْ وَغائِبِهِمْ ، وَلِأَنَّهُمْ إِنَّما أُعْطوا سَهْمَهُمْ لِأَنَّهُمْ قَرابَةُ نَبِيِّهِمْ ، وَالَّتي لا تَزولُ عَنْهُمْ .

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي جَعَلَهُ مِنّا ، وَجَعَلَنا مِنْهُ ، فَلَمْ يُعْطِ رَسولُ اللهِ ﷺ أَحَداً مِنَ الْخُمْسِ

---

(١) الحشر ٥٩ : ٧.

(٢) مدينتان في نواحي فارس فتحهما المسلمون في خلافة عمر سنة ١٧هـ.

(٣) **الخلل** : الفساد والوهن.

غَيْرَنا ، وَغَيْر حُلَفائِنا وَمَوالِينا ، لأَنَّهُمْ مِنّا ، وَأَعْطىٰ مِنْ سَهْمِهِ ناساً لِحُرَمٍ كانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَعُونَةً في الَّذي كانَ بَيْنَهُمْ ، فَقَدْ أَعْلَمْتُكَ ما أَوْضَحَ اللهُ مِنْ سَبيلِ هٰذِهِ الْأَنْفالِ الْأَرْبَعَةِ وَما وَعَدَ مِنْ أَمْرِهِ فِيهِمْ ، وَنَوَّرَهُ بِشِفاءٍ مِنَ الْبَيانِ ، وَضِياءٍ مِنَ الْبُرهانِ ، جاءَ بِهِ الْوَحْيُ الْمُنْزَلُ ، وَعَمِلَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله الْمُرْسَلُ ، فَمَنْ حَرَّفَ كَلامَ اللهِ أَوْ بَدَّلَهُ بَعْدَ ما سَمِعَهُ وَعَقَلَهُ ، فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَيْهِ[١] ، وَاللهُ حَجِيجُهُ فيهِ . وَالسَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ »[٢].

وحفلت هذه الرسالة بأُمور بالغة الأهمّية ، كان من بينها ما يلي :

١ ـ أنّ الإمام عليه السلام عرض إلى ما فرضه الله على المسلمين من الخمس الذي هو ضريبة ماليّة ، ويعطى نصفه إلى السادة الفقراء من الهاشميّين زادهم الله شرفاً ، وقد عوّضهم بذلك عن الزكاة التي هي من الضرائب الماليّة في الإسلام ، وقد شرعت لمكافحة الفقر والحرمان ، وهي تصرف على ثمانية أصناف ذكرهم القرآن الحكيم ، ومن بينهم الفقراء والمساكين ، وأبناء السبيل ، وقد أشار الإمام عليه السلام إلى أنّ الحكم التكليفي بأداء الزكاة يسقط عن المرحلة الفعليّة فيما إذا تبدّل عنوان الموضوع ، كما إذا صار الفقير الذي يستحقّ الزكاة غنياً ، فانّه يحرم عليه تناولها ، ويجب عليه ردّ ما عنده منها إلى مالكه أو إلى الحاكم الشرعي أو إلى الفقير حسبما ذكره الفقهاء وكذلك ابن السبيل ، فإنّه إنّما يستحقّ الزكاة فيما إذا كان متّصفاً بهذا العنوان ، فإذا التحق ببلده ، فليس له أن يتناول من الزكاة شيئاً ، ويجب ردّ ما عنده منها إلى أهلها .

٢ ـ أوضح الإمام عليه السلام الحكم فيما يغنمه المسلمون في ميادين الحرب مع الكفّار والمشركين ، وأنّ الحكم هو إخراج خمس ما يغنمونه ، مستنداً في ذلك إلى ما فعله النبيّ صلى الله عليه وآله في واقعة بدر حينما فتح الله له الفتح المبين ، وقضى على معسكر الشرك ،

---

(١) اقتباس من الآية الكريمة : ﴿ **فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ** ﴾ البقرة ٢ : ١٨١ .

(٢) تحف العقول : ٣٣٩ ـ ٣٤٨ .

فأخذ خمس ما غنمه المسلمون.

٣ ـ أفاد الإمام عليه السلام حكم ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، كفدك، فهي للنبيّ صلى الله عليه وآله لا يشاركه فيها أحد، ويقول المؤرّخون: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد وهبها لبضعته سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام.

٤ ـ روى الإمام عليه السلام في رسالته عن جدّه الإمام أمير المؤمنين سيّد العترة الطاهرة، أنّهم كانوا يأخذون الخمس في أيّام النبيّ صلى الله عليه وآله وبعد وفاته، إلى أن حجبه عنهم الخليفة الثاني، ولم يعطهم منه شيئاً، وأكبر الظنّ أنّ السبب في ذلك لئلا تقوى شوكتهم، فيقوون على معارضة حكومته، وهذا لون من الحرب الاقتصاديّة التي تستعملها الدول ضدّ خصومها.

٥ ـ وحفلت هذه الرسالة بكثير من الشواهد والأدلّة على وجوب الخمس الذي هو من أعظم الضرائب الماليّة في الإسلام، ومن أكثرها عائدة على المسلمين، فإن نصف الخمس الذي يعطى للإمام عليه السلام أو إلى نائبه في حال الغيبة، وهو المرجع العامّ للأُمّة، ليقوم بإنفاقه على إحياء معالم الدين، كإعالة طلاب العلوم الدينيّة، وبناء المدارس، وتأسيس المشاريع التي تعود بالخير العميم على الإسلام.

هذه بعض محتويات هذه الرسالة الشريفة.

٣ـ إلى أهل الآفاق

وكتب الإمام عليه السلام إلى أهل الآفاق بهذه الرسالة القيّمة التي فنّد فيها الإشاعات الكاذبة التي يبثّها أعداء الإسلام من أنّ الإمام محمّد الباقر عليه السلام، قال: «**اذا عرفت** ـيعني الإمام ـ**فاعمل ما شئت**» من فعل ما حرّمه الله.

فقال عليه السلام: **ما لَهُمْ لَعَنَهُمُ اللهُ ؟ إِنَّما قالَ أَبي: إِذا عَرَفْتَ الْحَقَّ فَاعْمَلْ ما شِئْتَ مِنْ خَيْرٍ يُقْبَلُ مِنْكَ**»(١).

وقال عليه السلام مثل مقالة أبيه فتأوّلها المبطلون والمنحرفون عن الحقّ فتألّم عليه السلام، وقال: «**إِنّا للهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعونَ، تَأَوَّلَ الْكَفَرَةُ ما لا يَعْلَمونَ، وَإِنَّما قُلْتُ: اعْرِفْ وَاعْمَلْ ما شِئْتَ مِنَ الطّاعَةِ، فَإِنَّهُ مَقْبولٌ مِنْكَ، لأَنَّهُ لا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلاً مِنْ عامِلٍ بِغَيْرِ مَعْرِفَةٍ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً عَمِلَ أَعْمالَ الْبِرِّ كُلَّها، وَصامَ دَهْرَهُ، وَقامَ لَيْلَهُ، وَأَنْفَقَ مالَهُ في سَبيلِ اللهِ، وَعَمِلَ بِجَميعِ طاعَةِ اللهِ، وَلَمْ يَعْرِفْ نَبِيَّهُ الَّذي جاءَ بِتِلْكِ الْفَرائِضِ فَيُؤْمِنْ بِهِ وَيُصَدِّقْهُ، وَإِمامَ عَصْرِهِ الَّذي افْتَرَضَ اللهُ طاعَتَهُ فَيُطيعَهُ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ.**

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في مِثْلِ هؤلاءِ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً﴾(٢)»(٣).

وكتب عليه السلام بذلك رسالة إلى أهل الآفاق جاء فيها: «**إِنَّما يَقْبَلُ اللهُ الْعَمَلَ مِنَ الْعِبادِ بِالْفَرائِضِ الَّتي افْتَرَضَها عَلَيْهِمْ، بَعْدَ مَعْرِفَةِ مَنْ جاءَ بِها مِنْ عِنْدِهِ، وَدَعاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَوَّلُ ذلِكَ: مَعْرِفَةُ مَنْ دُعِيَ إِلَيْهِ وَهوَ اللهُ الَّذي لا إِلهَ إِلّا هُوَ، وَتَوْحيدُهُ وَالإِقْرارُ بِرُبوبِيَّتِهِ،**

---

(١) وسائل الشيعة: ١: ١١٦ ـ ١١٧.

(٢) الفرقان ٢٥: ٢٣.

(٣) معاني الأخبار: ١٨٢.

وَمَعْرِفَةُ الرَّسولِ الَّذي بَلَّغَ عَنْهُ وَقَبولُ ما جاءَ بِهِ .

ثُمَّ مَعْرِفَةُ الْأَئِمَّةِ بَعْدَ الرَّسولِ الَّذينَ افْتَرَضَ طاعَتَهُمْ في كُلِّ عَصْرٍ وَزَمانٍ عَلىٰ أَهْلِهِ ، وَالْإِيمانُ وَالتَّصْديقُ بِجَميعِ الرُّسُلِ وَالْأَئِمَّةِ .

ثُمَّ الْعَمَلُ بِما افْتَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعِبادِ مِنَ الطّاعاتِ ظاهِراً وَباطِناً ، وَاجْتِنابُ ما حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ ظاهِراً وَباطِناً »[١] .

وحوت هذه الرسالة جوهر الإيمان ، وحقيقة الإسلام ، وليس فيها أيّة دعوة إلى الغلوّ في الأئمّة عليهم السلام ، وقد فنّد بها جميع ما نسب إليه من أقوال لا تتّفق مع واقع الإمام .

---

(١) وسائل الشيعة : ١ : ١٣٩ .

٤ ـ إلى أهل الرأي

وأنكر الإمام الصادق عليه السلام أشّد ما يكون الإنكار أن يكون الرأي والقياس من مصادر التشريع الإسلامي اللذان تستنبط منهما الأحكام الشرعيّة ، وإنّما تستنبط من منابعها الأصليّة : الكتاب العزيز ، والسنّة المقدّسة ، وقد بعث بهذه الرسالة إلى القائلين بالرأي والقياس ، وشجب فيها ما ذهبوا إليه ، وهذا نصّها :

« أمّا بَعْدُ : فَإنَّ مَنْ دَعا غَيْرَهُ إلىٰ دينِهِ بِالْإرْتياءِ وَالْمَقاييسِ لَمْ يُنْصِفْ وَلَمْ يُصِبْ حَظَّهُ ، لأنَّ الْمَدْعُوَّ إلىٰ ذلِكَ أَيْضاً لَا يَخْلو مِنَ الْإرْتياءِ وَالْمَقاييسِ ، وَمَتىٰ لَمْ يَكُنْ بِالدّاعي قُوَّةٌ في دُعائِهِ عَلَى الْمَدْعُوِّ لَمْ يُؤْمَنْ عَلَى الدّاعي أَنْ يَحْتاجَ إلَى الْمَدْعُوِّ بَعْدَ قَليلٍ؛ لأَنّا قَدْ رَأَيْنا الْمُتَعَلِّمَ الطّالِبَ رُبَّما كانَ فائِقاً لِمُعَلِّمِهِ وَلَوْ بَعْدَ حينٍ .

وَرَأَيْنا الْمُعَلِّمَ الدّاعِيَ رُبَّما احْتاجَ في رَأْيِهِ إلىٰ رَأْيِ مَنْ يَدْعو ، وَفي ذلِكَ تَحَيَّرَ الْجاهِلونَ ، وَشَكَّ الْمُرْتابونَ ، وَظَنَّ الظّانّونَ ، وَلَوْ كانَ ذلِكَ عِنْدَ اللهِ جائِزاً لَمْ يَبْعَثِ اللهُ الرُّسُلَ بِما فيهِ الْفَصْلُ ، وَلَمْ يَنْهَ عَنِ الْهَزْلِ ، وَلَمْ يَعِبِ الْجَهْلَ ، وَلكِنَّ النّاسَ لَمّا سَفِهوا الْحَقَّ ، وَغَمَطوا النِّعْمَةَ ، وَاسْتَغْنَوا بِجَهْلِهِمْ وَتَدابيرِهِمْ عَنْ عِلْمِ اللهِ ، وَاكْتَفوا بِذلِكَ عَنْ رُسُلِهِ ، وَالْقُوّامِ بِأَمْرِهِ ، وَقالوا : لَا شَيْءَ إلّا ما أَدْرَكَتْهُ عُقولُنا ، وَعَرَفَتْهُ أَلْبابُنا ، فَوَلّاهُمُ اللهُ ما تَوَلَّوا ، وَأَهْمَلَهُمْ وَخَذَلَهُمْ حَتّىٰ صاروا عَبَدَةَ أَنْفُسِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمونَ ، وَلَوْ كانَ اللهُ رَضِيَ مِنْهُمُ اجْتِهادَهُمْ وَارْتِياءَهُمْ فيما ادَّعَوا مِنْ ذلِكَ لَمْ يَبْعَثْ إلَيْهِمْ فاصِلاً لِما بَيْنَهُمْ وَلَا زاجِراً عَنْ وَصْفِهِمْ ، وَإنَّما اسْتَدْلَلْنا أَنَّ رِضا اللهِ غَيْرَ ذلِكَ بِبَعْثِهِ الرُّسُلَ بِالأُمورِ الْقَيِّمَةِ الصَّحيحَةِ ، وَالتَّحْذيرِ مِنَ الأُمورِ الْمُشْكِلَةِ الْمُفْسِدَةِ ، ثُمَّ جَعَلَ أَبْوابَهُ وَصِراطَهُ ، وَالْأَدِلّاءَ عَلَيْهِ بِأُمورٍ مَحْجوبَةٍ عَنِ الرَّأْيِ وَالْقِياسِ ، فَمَنْ طَلَبَ ما عِنْدَ اللهِ بِقِياسٍ وَرَأْيٍ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إلّا بُعْداً ، وَلَمْ يَبْعَثْ رَسولاً قَطُّ ، وَإنْ طالَ عُمُرُهُ قابِلاً مِنَ النّاسِ خِلافَ

ما جاءَ بِهِ حَتّىٰ يكون مَتْبوعاً مَرَّةً ، وَتابِعاً أُخرىٰ ، وَلَمْ يُرَ أَيْضاً فيما جاءَ بِهِ اسْتَعْمَلَ رَأْياً وَلَا قياساً ، حَتّىٰ يَكونَ ذٰلِكَ واضِحاً عِنْدَهُ كَالْوَحي مِنَ اللهِ ، وَفي ذٰلِكَ دَليلٌ لِكُلِّ ذي لُبٍّ وَحِجْدٍ ، حَتّىٰ إنَّ أَصْحابَ الرَّأْيِ وَالْقياسِ مُخْطِئونَ مُدْحَضونَ »[١].

وأبطل الإمام عليه السلام ببليغ حجّته ، وبديع برهانه ، العمل بالرأي والقياس ، وأنّهما لا يصيبان الواقع ، ويخطئان ما شرّع الله من أحكام ، وأنّهما لو كانا حجّتين لاكتفى الله بهما عن بعث الرسل والأنبياء الذين عهد إليهم بتبليغ أحكامه إلى الناس .

(١) وسائل الشيعة : ١٨ : ٣٢ .

٥ ـ إلى بعض شيعته

١ ـ أرسل الإمام عليه السلام إلى كوكبة من شيعته رسالة جاء فيها ما يلي :

«لِيَعْطِفَنَّ ذو السِّنِّ مِنْكُمْ وَالنُّهي وَالرَّأْيِ عَلى ذي الْجَهْلِ وَطُلّابِ الرِّئاسَةِ أَوْ لِيُصيبَنَّكُمْ لَعْنَتي أَجْمَعين»[١].

وعرضت هذه الرسالة الموجزة إلى ضرورة إبداء النصح من قبل ذوي الرأي والتجارب إلى الجهّال وطلاب الرئاسة ، وصدّهم عن غرورهم وطيشهم .

٢ ـ وزوّد الإمام الصادق عليه السلام كوكبة من شيعته بهذ الرسالة القيّمة المليئة بالنصائح الرفيعة التي ترفع مستواهم ، وتشيع بينهم المودّة والألفة ، ويقول الرواة : إنّه أمرهم بدراستها ، والعمل بها ، وكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها[٢] ، وهذا نصّها :

أَمّا بَعْد : فَسَلُوا رَبَّكُمُ الْعافِيَةَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالدِّعَةِ وَالْوقارِ ، وَالسَّكينَةِ وَالْحياءِ ، وَالتَّنَزُّهِ عَمّا تَنَزَّهَ عَنْهُ الصّالِحونَ مِنْكُمْ . وَعَلَيْكُمْ بِمُجامَلَةِ أَهْلِ الْباطِلِ ، تَحَمَّلوا الضَّيْمَ مِنْهُمْ ، وَإِيّاكُمْ وَمُماظَّتِهِمْ[٣] **. دينُوا فيما بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ، إذا أَنْتُمْ جالَسْتُموهُمْ وَخالَطْتُموهُمْ وَنازَعْتُموهُمُ الْكَلامَ ، فَإِنَّهُ لا بُدَّ لَكُمْ مِنْ مُجالَسَتِهِمْ وَمُخالَطَتِهِمْ وَمُنازَعَتِهِمْ بِالتَّقِيَّةِ الَّتي أَمَرَكُمُ اللهُ بِها ، فَإِذا ابْتُليتُمْ بِذلِكَ فَإِنَّهُمْ سَيُؤْذونَكُمْ ، وَيَعْرِفونَ في وُجوهِكُمُ الْمُنْكَرَ ، وَلَوْلا أَنَّ اللهَ يَدْفَعُهُمْ عَنْكُمْ لَسَطَوْا**[٤] **بِكُمْ ، وَما في صُدورِهِمْ مِنَ الْعَداوَةِ وَالْبَغْضاءِ أَكْثَرُ**

---

(١) مجموعة ورّام : ٢ : ١٤٧ .

(٢) روضة الكافي : ٨ : ٢ .

(٣) **المماظة** : شدّة المنازعة والخصومة .

(٤) **السطو** : القهر .

مِمّا يُبْدونَ لَكُمْ ، مَجالِسُكُمْ وَمَجالِسُهُمْ واحِدَةٌ .

وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذا كانَ اللهُ خَلَقَهُ في الْأَصْلِ مُؤْمِناً لَمْ يَمُتْ حَتّىٰ يُكَرِّهَ إِلَيْهِ الشَّرَّ ، وَيُباعِدَهُ مِنْهُ ، وَمَنْ كَرَّهَ اللهُ إِلَيْهِ الشَّرَّ ، وَباعَدَهُ مِنْهُ عافاهُ اللهُ مِنَ الْكِبْرِ أَنْ يَدْخُلَهُ وَالْجَبْرِيَّةِ(١) ، فَلانَتْ عَريكَتُهُ(٢) وَحَسُنَ خُلْقُهُ ، وَطَلُقَ وَجْهُهُ ، وَصارَ عَلَيْهِ وقارُ الْإِسْلامِ وَسَكينَتُهُ وَتَخَشُّعُهُ ، وَوَرِعَ عَنْ مَحارِمِ اللهِ ، وَاجْتَنَبَ مَساخِطَهُ ، وَرَزَقَهُ اللهُ مَوَدَّةَ النّاسِ وَمُجامَلَتَهُمْ ، وَتَرَكَ مُقاطَعَةَ النّاسِ وَالْخُصوماتِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْها ، وَلا مِنْ أَهْلِها في شَيْءٍ .

وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذا كانَ اللهُ خَلَقَهُ في الْأَصْلِ كافِراً لَمْ يَمُتْ حَتّىٰ يُحَبِّبَ إِلَيْهِ الشَّرَّ وَيُقَرِّبَهُ مِنْهُ ، فَإِذا حَبَّبَ إِلَيْهِ الشَّرَّ وَقَرَّبَهُ مِنْهُ ابْتُلِيَ بِالْكِبْرِ وَالْجَبْرِيَّةِ فَقَسا قَلْبُهُ ، وَساءَ خُلْقُهُ ، وَغَلُظَ وَجْهُهُ ، وَظَهَرَ فُحْشُهُ ، وَقَلَّ حَياؤُهُ ، وَكَشَفَ اللهُ سِتْرَهُ ، وَرَكِبَ الْمَحارِمَ فَلَمْ يُنْزِعْ عَنْها ، وَرَكِبَ مَعاصِيَ اللهِ ، وَأَبْغَضَ طاعَتَهُ وَأَهْلَها ، فَبُعْدَ ما بَيْنَ حالِ الْمُؤْمِنِ وَالْكافِرِ ، فَسَلُوا اللهَ الْعافِيَةَ ، وَاطْلُبوها إِلَيْهِ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ .

أَكْثِروا مِنَ الدُّعاءِ ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنْ عِبادِهِ الَّذينَ يَدْعُونَهُ ، وَقَدْ وَعَدَ عِبادَهُ الْمُؤْمِنينَ الْإِسْتِجابَةَ ، وَاللهُ مُصَيِّرٌ دُعاءَ الْمُؤْمِنينَ يَوْمَ الْقِيامَةِ لَهُمْ عَمَلاً ، يَزيدُهُمْ بِهِ في الْجَنَّةِ .

وَأَكْثِروا ذِكْرَ اللهِ ما اسْتَطَعْتُمْ في كُلِّ ساعَةٍ مِنْ ساعاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ ، فَإِنَّ اللهَ أَمَرَ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ لَهُ ، وَاللهُ ذاكِرٌ مَنْ ذَكَرَهُ مِنَ الْمُؤْمِنينَ ، إِنَّ اللهَ لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنينَ إِلّا ذَكَرَهُ بِخَيْرٍ .

وَعَلَيْكُمْ بِالْمُحافَظَةِ عَلَى الصَّلَواتِ ، وَالصَّلاةِ الْوُسْطىٰ ، وَقوموا لِلهِ قانِتينَ ،

---

(١) الجبريّة معطوف على الكبر.

(٢) **العريكة** :الطبيعة.

كَما أَمَرَ اللهُ بِهِ الْمُؤْمِنينَ في كِتابِهِ[١] مِنْ قَبْلِكُمْ، وَعَلَيْكُمْ بِحُبِّ الْمَساكِينِ الْمُسْلِمينَ، فَإِنَّ مَنْ حَقَّرَهُمْ وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ فَقَدْ زَلَّ عَنِ دينِ اللهِ، وَاللهُ لَهُ حاقِرٌ ماقِتٌ، وَقَدْ قالَ أَبونا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: أَمَرَني رَبّي بِحُبِّ الْمَساكينِ الْمُسْلِمينَ مِنْهُمْ.

وَاعْلَموا أَنَّ مَنْ حَقَّرَ أَحَداً مِنَ الْمُسْلمينَ أَلْقَى اللهُ عَلَيْهِ الْمَقْتَ مِنْهُ وَالْمَحْقَرَةَ حَتّىٰ يَمْقُتَهُ النّاسُ أَشَدَّ مَقْتاً، فاتَّقوا اللهَ في إِخْوانِكُمُ الْمُسْلِمينَ الْمَساكينِ، فَإِنَّ لَهُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً أَنْ تُحِبُّوهُمْ، فَإِنَّ اللهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله بِحُبِّهِمْ، فَمَنْ لَمْ يُحِبَّ مَنْ أَمَرَ اللهُ بِحُبِّهِ، فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسولَهُ، وَمَنْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ وَماتَ عَلىٰ ذٰلِكَ، ماتَ وَهُوَ مِنَ الْغاوينَ. إِيّاكُمْ وَالْعَظَمَةَ وَالْكِبْرَ، فَإِنَّ الْكِبْرَ رِداءُ اللهِ، فَمَنْ نازَعَ اللهَ رِداءَهُ قَصَمَهُ اللهُ وَأَذَلَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ. إِيّاكُمْ أَنْ يَبْغِي بَعْضُكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ، فَإِنَّها لَيْسَتْ مِنْ خِصالِ الصّالِحينَ، فَإِنَّهُ مَنْ بَغىٰ صَيَّرَ اللهُ بَغْيَهُ عَلىٰ نَفْسِهِ، وَصارَتْ نُصْرَةُ اللهِ لِمَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ، وَمَنْ نَصَرَهُ اللهُ غَلَبَ، وَأَصابَ الظَّفَرَ مِنَ اللهِ.

إِيّاكُمْ أَنْ يَحْسُدَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، فَإِنَّ الْكُفْرَ أَصْلُهُ الْحَسَدُ.

إِيّاكُمْ أَنْ تُعِينوا عَلىٰ مُسْلِمٍ مَظْلومٍ يَدْعو اللهَ عَلَيْكُمْ، وَيُسْتَجابُ لَهُ فيكُمْ، فَإِنَّ أَبانا رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقولُ: إِنَّ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِ الْمَظْلومِ مُسْتَجابَةٌ.

إِيّاكُمْ أَنْ تَشْرَهَ نُفُوسُكُمْ إِلىٰ شَيْءٍ مِمّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّهُ مَنِ انْتَهَكَ ما حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ هاهُنا في الدُّنْيا حالَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَنَعيمِها وَلَذَّتِها وَكَرامَتِها الْقائِمَةِ الدّائِمَةِ لأَهْلِ الْجَنَّةِ أَبَدَ الآبِدينَ»[٢].

---

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ البقرة ٢: ٢٣٨.

(٢) تحف العقول: ٣١٣ ـ ٣١٥، رواها الشيخ الكليني بصورة أوسع في الروضة: ١٢ ـ ١٤.

ومثّلت هذه الرسالة المبادئ والقيم التي دعا لها الأئمّة عليهم السلام وتتلخّص بما يلي :

١ ـ إنّه أوصى شيعته بالتحلّي بمحاسن الصفات ، ومكارم الأخلاق ، والتنزّه عن الصفات الذميمة التي يهبط بها الإنسان إلى مستوى سحيق ما له من قرار .

٢ ـ أوصاهم بالدعة ، والسلوك الجيّد مع المخالفين لهم عقائديّاً ، وذلك للحفظ على دمائهم ، إذ لم يكن لهم ركن شديد يأوون إليه لدفع الأخطار والكوارث عنهم .

٣ ـ إنّه أمرهم بالدعاء والتضرّع إلى الله ، فإنّه من أهمّ الوسائل التي يلجأ إليها المؤمن في تأمين سلامته ، كما أنّه ذخر له يوم يلقى الله تعالى .

٤ ـ إنّه ألزمهم بالمحافظة على الصلاة التي هي عمود الدين ، والتي يرتبط بها الإسلام وجوداً وعدماً .

٥ ـ إنّه أمرهم بحبّ الفقراء ، والعطف عليهم ، والإحسان إليهم ، وذلك للحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه .

٦ ـ إنّه حرّم عليهم تحقير أي أحد من المسلمين؛ لأنّ ذلك ممّا يوجب إشاعة البغضاء والكراهية بين المسلمين ، وذلك يتصادم مع ما يريده الإسلام من نشر المحبّة والمودّة بين قطاعات المجتمع الإسلامي .

٧ ـ إنّه نهاهم عن الكبرياء والعظمة ، وهما من أرذل الصفات الموجبة لمسخ الإنسان وانحطاطه .

٨ ـ إنّه حرّم عليهم البغي على إخوانهم ، فإنّه لا يبغي أحد على أحد إلّا كان ظالماً له ، ومعتدياً عليه وذلك محرّم في شريعة الله .

٩ ـ إنّه حذّرهم من الحسد ، وهو داء خبيث ألقى الناس في شرّ عظيم ، وهو من أهمّ الأسباب في صراع الناس ، وبغي بعضهم على بعض .

هذه بعض البنود المشرقة التي حوتها رسالة الإمام عليه السلام التي زوّد بها شيعته ، وهي ممّا لا شبهة توجب تطوّر حياتهم ، وارتفاع كلمتهم لو طبّقوها على واقع حياتهم .

٦ ـ إلى أصحابه

١ ـ وكتب الإمام الصادق عليه السلام رسالة إلى كوكبة من أصحابه ، وقد حفلت بالنصائح الرفيعة ، وفيما يلي بعض فصولها :

« اتَّقوا اللهَ ، وَكُفّوا أَلْسِنَتَكُمْ إلَّا مِنْ خَيْرٍ .. عَلَيْكُمْ بِالصَّمْتِ إلَّا ما يَنْفَعُكُمُ اللهُ بِهِ في آخِرَتِكُمْ ، وَيَأْجُرُكُمْ عَلَيْهِ ، وَأَكْثِروا مِنَ التَّهْليلِ وَالتَّقْديسِ ، وَالتَّسْبيحِ وَالثَّناءِ عَلَى اللهِ ، وَالتَّضَرُّعِ إلَيْهِ ، وَالرَّغْبَةِ فيما عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ ، الَّذي لَا يُقَدِّرُ قَدْرَهُ ، وَلَا يَبْلُغُ كُنْهَهُ أَحَدٌ ، فَاشْغَلوا أَلْسِنَتَكُمْ بِذلِكَ عَمّا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنْ أَقاويلِ الْباطِلِ ، الَّتي تَعْقُبُ أَهْلَها خُلوداً في النّارِ مَنْ ماتَ عَلَيْها ، وَلَمْ يَتُبْ إلَى اللهِ ، وَلَمْ يَنْزَعْ عَنْها »(١) .

وطلب الإمام عليه السلام ـ في هذه الرسالة ـ من أصحابه أن يتسلّحوا بالتقوى ، ويتّصفوا بمكارم الأخلاق ليكونوا في سلوكهم قدوة لغيرهم من أبناء المسلمين .

٢ ـ وزوّد الإمام عليه السلام أصحابه بهذه الرسالة القيّمة ، قال عليه السلام : **« إيّاكُمْ أَنْ تَشْرَهَ أَنْفُسُكُمْ إلىٰ شَيْءٍ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ ، فَإنَّ مَنِ انْتَهَكَ ما حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ هاهنا في الدُّنْيا حالَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَنَعيمِها وَلَذَّتِها وَكَرامَتِها الْقائِمَةِ الدّائِمَةِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ أَبَدَ الْآبدينَ »** .

إلى أن قال : **« وَإيّاكُمْ وَالْإصْرارَ عَلىٰ شَيْءٍ مِمّا حَرَّمَ اللهُ في الْقُرْآنِ ظَهْرِهُ وَبَطْنِهُ ، وَقَدْ قالَ : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ »**(٢) .

ودعا الإمام عليه السلام في هذه الرسالة إلى تقوى الله ، والابتعاد عن معاصيه ، فإنّ في ذلك النجاة للإنسان المسلم يوم يلقى الله تعالى .

---

(١) روضة الكافي : ٨ : ٣٩٧ .

(٢) وسائل الشيعة : ١١ : ٢٠١ . آل عمران ٣ : ١٣٥ .

٧ـ إلى بعض أصحابه

وكتب الإمام عليه السلام إلى رجل من أصحابه هذه الرسالة الموجزة ، وجاء فيها بعد البسملة :

« أمّا بَعْدُ : فَإنَّ الْمُنافِقَ لا يَرْغَبُ فيما قَدْ سَعِدَ بِهِ الْمُؤْمِنونَ ، وَالسَّعيدُ يَتَّعِظُ بِمَوْعِظَةِ التَّقْوىٰ ، وَإنْ كانَ يُرادُ بِالْمَوْعِظَةِ غَيْرُهُ »(١) .

وفي هذه الرسالة دعوة إلى التخلّي عن النفاق الذي هو من أقبح الرذائل النفسيّة ، فإنّ من ابتلي به لا يرغب فيما يسعد به المؤمنون ، وإنّما يرغب في بلائهم وشقائهم .

٨ـ لبعض الناس

وكتب الإمام عليه السلام لبعض الناس هذه الرسالة القيّمة ، وقد جاء فيها :

« إنْ أَرَدْتَ أَنْ يُخْتَمَ بِخَيْرٍ عَمَلُكَ حَتّىٰ تُقْبَضَ ، وَأَنْتَ في أَفْضَلِ الْأَعْمالِ ، فَعَظِّمْ لِلهِ حَقَّهُ ، أَنْ لا تَبْذِلَ نَعْماءَهُ في مَعاصيهِ ، وَأَنْ لا تَغْتَرَّ بِحِلْمِهِ عَنْكَ ، وَأَكْرِمْ كُلَّ مَنْ وَجَدْتَهُ يَذْكُرُنا أَوْ يَنْتَحِلُ مَوَدَّتَنا ، ثُمَّ لَيْسَ عَلَيْكَ صادِقاً كانَ أَوْ كاذِباً ، إنَّما لَكَ نِيَّتُكَ ، وَعَلَيْهِ كَذِبُهُ »(٢) .

وحفلت هذه الرسالة بما يقرّب الإنسان من الله ، ويكون على اتّصال وثيق به ، وذلك بأن يعظّمه ولا يبذل نعماءه في معاصيه ، ولا يغترّ بحلمه عنه .. إنّ هذه الرسالة الذهبيّة لو عمل بها الإنسان لكانت عاقبته على خير عميم .

---

(١) روضة الكافي : ٨ : ١٥٠ و : ١٥١ ، الحديث ١٣٢ .

(٢) بحار الأنوار : ٧٨ : ١٩٥ .

٩ـ رسالة شفهيّة إلى زرارة

١ـ تشرّف عبدالله بن زرارة بمقابلة الإمام الصادق عليه السلام، وبعد حديث دار بينهما أمره الإمام عليه السلام أن يبلّغ الرسالة التالية: «اقْرِئْ والِدَكَ السَّلامَ، وَقُلْ لَهُ: إنّي إنّما أعيبُكَ دِفاعاً مِنّي عَنْكَ، فَإنَّ النّاسَ وَالْعَدُوَّ يُسارِعونَ إلىٰ كُلِّ مَنْ قَرَّبْناهُ، وَحَمَدْنا مَكانَهُ، لإدْخالِ الأذىٰ في مَنْ نُحِبُّهُ وَنُقَرِّبُهُ، وَيَرْمونَهُ لِمَحَبَّتِنا لَهُ، وَقُرْبِهِ وَدُنُوِّهِ مِنّا، وَيَرَوْنَ إدْخالَ الأذىٰ عَلَيْهِ وَقَتْلَهُ، وَيَحْمَدونَ كُلَّ مَنْ عِبْناهُ نَحْنُ، فَإنَّما أعيبُكَ لأنَّكَ رَجُلٌ اشْتَهَرْتَ بِنا، وَبِمَيْلِكَ إلَيْنا، وَأنْتَ في ذلِكَ مَذْمومٌ عِنْدَ النّاسِ غَيْرُ مَحْمودِ الأثَرِ بِمَوَدَّتِكَ إلَيْنا، وَلِمَيْلِكَ إلَيْنا، فَأحْبَبْتُ أنْ أعيبَكَ لِيَحْمَدوا أمْرَكَ في الدّينِ بِعَيْبِكَ، وَنَقْصِكَ وَيَكونُ ذلِكَ مِنّا دافِعُ شَرِّهِمْ عَنْكَ. يَقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾[١]، هٰذَا التَّنْزيلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ صالِحَةٌ لَا واللهِ ما عابَها إلَّا لِكَيْ تَسْلَمَ مِنَ الْمَلِكِ، وَلَا تَعْطَبُ عَلَى يَدَيْهِ، وَلَقَدْ كانَتْ صالِحَةً لَيْسَ لِلْعَيْبِ فيها مَساغٌ، وَالْحَمْدُ للهِ، فَافْهَمِ الْمَثَلَ يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإنَّكَ وَاللهِ أحَبُّ النّاسِ إلَيَّ، وَأحَبُّ أصْحابِ أبي حَيّاً وَمَيْتاً، فَإنَّكَ أفْضَلُ سُفُنِ ذلِكَ الْبَحْرِ الْقَمْقامِ الزّاخِرِ، وَإنَّ مِنْ وَرائِكَ مَلِكاً ظَلوماً غَصوباً، يَرْقُبُ عُبورَ كُلِّ سَفينَةٍ صالِحَةٍ تَرِدُ مِنْ بَحْرِ الْهُدىٰ لِيَأْخُذَها غَصْباً، ثُمَّ يَغْصِبُها وَأهْلَها، وَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ حَيّاً، وَرَحْمَتُهُ وَرِضْوانُهُ عَلَيْكَ مَيْتاً.

وَلَقَدْ أدّى إلَيَّ ابْناكَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رِسالَتَكَ أحاطَهُما اللهُ وَكَلأَهُما وَحَفِظَهُما بِصَلاحِ أبيهِما، كَما حَفِظَ الْغُلامَيْنِ، فَلا يَضيقَنَّ صَدْرُكَ مِنَ الَّذي أمَرَكَ أبي وَأمَرْتُكَ بِهِ.

---

(١) الكهف ١٨: ٧٩.

وَأَتاكَ أَبو بَصيرٍ بِخِلافِ الَّذي أَمَرْناكَ بِهِ ، فَلا وَاللهِ ما أَمَرْناكَ وَلا أَمَرْناهُ إِلَّا بِأَمْرٍ وَسِعَنا وَوَسِعَكُمُ الْأَخْذُ بِهِ ، وَلِكُلِّ ذلِكَ عِنْدَنا تَصاريفُ وَمَعانٍ ، تُوافِقُ الْحَقَّ ، وَلَوْ أُذِنَ لَنا لَعَلِمْتُمْ أَنَّ الْحَقَّ في الَّذي أَمَرْناكُمْ ، فَرُدّوا إِلَيْنا الْأَمْرَ ، وَسَلِّموا لَنا ، وَاصْبِروا لِأَحْكامِنا ، وَارْضوا بِها ، وَالَّذي فَرَّقَ بَيْنَكُمْ فَهُوَ راعيكُمُ الَّذي اسْتَرْعاهُ اللهُ خَلْقَهُ ، وَهُوَ أَعْرَفُ بِمَصْلَحَةِ غَنَمِهِ في فَسادِ أَمْرِها ، فَإِنْ شاءَ فَرَّقَ بَيْنَها لِتَسْلَمَ ، ثُمَّ يَجْمَعُ بَيْنَها لِيَأْمَنَ مِنْ فَسادِها وَخَوْفِ عَدُوِّها في آثارِ ما يَأْذَنِ اللهُ ، وَيَأْتيها بِالْأَمْنِ مِنْ مَأْمَنِهِ ، وَالْفَرَجِ مِنْ عِنْدِهِ . عَلَيْكُمْ بِالتَّسْليمِ وَالرَّدِّ إِلَيْنا ، وَانْتِظارِ أَمْرِنا وَأَمْرِكُمْ ، وَفَرَجِنا وَفَرَجِكُمْ ، فَلَوْ قَدْ قامَ قائِمُنا ، وَتَكَلَّمَ مُتَكَلِّمُنا ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ بِكُمْ تَعْليمَ الْقُرْآنِ ، وَشَرائِعَ الدّينِ وَالْأَحْكامِ وَالْفَرائِضِ ، كَما أَنْزَلَهُ اللهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ ، لَأَنْكَرَ أَهْلُ الْبَصائِرِ فيكُمْ ذلِكَ الْيَوْمَ إِنْكاراً شَديداً ، ثُمَّ لَمْ تَسْتَقيموا عَلىٰ دينِ اللهِ وَطَريقَتِهِ إِلَّا مِنْ تَحْتِ حَدِّ السَّيْفِ فَوْقَ رِقابِكُمْ ، إِنَّ النّاسَ بَعْدَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ رَكِبَ اللهُ بِهِمْ سُنَّةَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ فَغَيَّروا وَبَدَّلوا وَحَرَّفوا ، وَزادوا في دينِ اللهِ وَنَقَصوا مِنْهُ ، فَما مِنْ شَيْءٍ عَلَيْهِ النّاسُ الْيَوْمَ إِلَّا وَهُوَ مُنْحَرِفٌ عَمّا نَزَلَ بِهِ الْوَحْيُ مِنْ عِنْدِ اللهِ .

فَأَجِبْ يَرْحَمُكَ اللهُ مِنْ حَيْثُ تُدْعىٰ إِلىٰ حَيْثُ تُدْعىٰ حَتّىٰ يَأْتِيَ مَنْ يَسْتَأْنِفُ بِكُمْ دينَ اللهِ اسْتِئْنافاً ، وَعَلَيْكَ بِصَلاةِ السِّتَّةِ وَالْأَرْبَعينَ ، وَعَلَيْكَ بِالْحَجِّ أَنْ تُهِلَّ بِالْإِفْرادِ ، وَتَنْوِيَ الْفَسْخَ إِذا قَدِمْتَ مَكَّةَ وَطُفْتَ وَسَعَيْتَ ، فَسَخْتَ ما أَهْلَلْتَ بِهِ ، وَقَلَبْتَ الْحَجَّ عُمْرَةً ، أَحْلَلْتَ إِلىٰ يَوْمِ التَّرْوِيَةِ ، ثُمَّ اسْتَأْنِفِ الْإِهْلالَ بِالْحَجِّ مُفْرَداً إِلىٰ مِنىٰ ، وَتَشْهَدِ الْمَنافِعَ بِعَرَفاتٍ وَالْمُزْدَلِفَةِ ، فَكَذلِكَ حَجُّ رَسولِ اللهِ ﷺ ، وَهٰكَذا أَمَرَ أَصْحابَهُ أَنْ يَفْعَلوا ، أَنْ يَفْسَخوا ما أَهَلّوا بِهِ ، وَيَقْلِبوا الْحَجَّ عُمْرَةً ، وَإِنَّما أَقامَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَلىٰ إِحْرامِهِ لِيَسوقَ الَّذي ساقَ مَعَهُ ، فَإِنَّ السّائِقَ قارِنٌ ، وَالْقارِنُ لا يَحِلُّ حَتّىٰ يَبْلُغَ هَدْيُهُ مَحِلَّهُ ، وَمَحِلُّهُ الْمَنْحَرُ بِمِنىٰ ، فَإِذا بَلَغَ أَحَلَّ ، فَهذا الَّذي أَمَرْناكَ بِهِ حَجُّ التَّمَتُّعِ ، فَالْزَمْ

ذلِكَ ، وَلا يَضيقَنَّ صَدْرُكَ .

وَالَّذي أَتاكَ بِهِ أَبو بَصيرٍ مِنْ صَلاةٍ إِحْدىٰ وَخَمْسينَ ، وَالْإِهْلالِ بِالتَّمَتُّعِ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ ، وَما أَمَرْنا بِهِ ، مِنْ أَنْ تَهِلَّ بِالتَّمَتُّعِ فَلِذلِكَ عِنْدَنا مَعانٍ وَتَصاريفِ ، لِذلِكَ ما يَسَعُنا وَيَسَعُكُمْ ، وَلا يُخالِفُ شَيْءٌ مِنْهُ الْحَقَّ وَلا يُضارُّهُ .

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمينَ »[1]

ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة أمام ما احتوت عليه هذه الرسالة من أُمور بالغة الأهميّة ، وفيما يلي ذلك :

١ ـ كشفت هذه الرسالة جانباً خطيراً عمّا كان يعانيه شيعة أهل البيت عليهم السلام من المحن والخطوب من حكّام الأمويّين والعبّاسيّين ، فقد جهدوا في ظلمهم وإرهاقهم إلى حدّ لا يوصف في مرارته وبشاعته ، فقد سخّروا جميع ما يملكونه من أجهزة إعلاميّة وسياسيّة واقتصاديّة ضدّ الشيعة الذين كانوا العنصر الوحيد المعارض لسياسة تلك الحكومات الاستبداديّة ، التي كفرت بحقوق الإنسان ، واتّخذت مال الله دولاً ، وعباده خولاً ، وقد سلّطوا جام غضبهم على أتباع أهل البيت عليهم السلام فصفّوا الكثير منهم جسديّاً ، وملأوا السجون منهم ممّا اضطرّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام إلى فرض التقيّة على شيعتهم ، حقناً لدمائهم وحفاظاً عليهم من تلك الوحوش الكاسرة .

٢ ـ وحكت هذه الرسالة الموقف البارع الذي اتّخذه الإمام الحكيم عليه السلام لإنقاذ أعلام شيعته من أيدي الطغمة الحاكمة ، فكان يبالغ في ذمّهم أمام أجهزة الأمن والمباحث لتلك الدول ، ويعلن سخطه عليهم حتّى لا يتّهمون بالتشيّع والولاء لأهل البيت عليهم السلام ، وقد وقف هذا الموقف مع العالم الكبير زرارة الذي هو من ألمع أصحابه ، ومن كبار فقهاء شيعته ، فسبّه وانتقصه ، وذلك لتأمين سلامته ، وقد أحاط

(١) الكشّي : ١٣٨ ، الحديث ٢٢١ .

زرارة علماً بذلك كي لا يتأثّر من الإمام عليه السلام.

٣ـ وأوصى الإمام عليه السلام زرارة بالتسليم لأمره، والانقياد لطاعته، فإنّه لا يأمر إلّا بما فيه المصلحة التي تعود بالخير العميم والشامل لزرارة وغيره من المسلمين.

٤ـ ومن بنود هذه الرسالة الإشارة إلى ما يقوم به مصلح هذه الأُمّة ومنقذها الإمام المهدي أرواحنا له الفداء من نشر العدالة الاجتماعيّة، وقمع الغبن والظلم، ومحاربة الفساد والطغيان لا يحاب ولا يجامل أي أحد في برامجه الإصلاحيّة الهادفة إلى نشر الدين على حقيقته النازلة من ربّ العالمين، وتثور عليه بذلك الحفائظ، وتوغر عليه الصدور، ولا يفقه حقيقة سياسته المشرقة إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان.

٥ـ وألمح الإمام عليه السلام إلى التغيير الفكري والعقائدي الذي مني به المسلمون بعد موت نبيّهم صلى الله عليه وآله، فقد غيّروا وبدّلوا وحرّفوا وزادوا في دين الله انقياداً لشهواتهم، واندفاعاً وراء مصالحهم، فقد غرّتهم الدنيا وراقهم زبرجها، وفتنتهم ملاذّها.

٦ـ وأوضح الإمام عليه السلام لزرارة بعض مناسك الحجّ، وبيّن له أنّه إذا أحرم للعمرة، وأحلّ منها فيبقى محلاً إلى يوم التروية، ثمّ يحرم للحجّ مرّة أُخرى، وإنّ ذلك كان من فعل جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله. هذه بعض البنود التي حوتها هذه الرسالة.

٢ـ وفد الحسين بن زرارة على الإمام الصادق عليه السلام، فلمّا استقرّ به المجلس، التفت إلى الإمام عليه السلام فبلغه رسالة أبيه إليه قائلاً:

«إنّ أبي يقرأ عليك السلام ويقول لك: جعلني الله فداك، إنّه لا يزال الرجل والرجلان يقدمان فيذكران أنّك ذكرتني، وقلت فيَّ».

فأجابه الإمام عليه السلام بما يكنّه له من حبّ وإخلاص قائلاً: **«أَقْرِئْ أَباكَ السَّلامَ، وَقُلْ لَهُ: أَنا وَاللهِ أُحِبُّ لَكَ الْخَيْرَ في الدُّنْيا، وَأُحِبُّ لَكَ الْخَيْرَ في الْآخِرَةِ، وَأَنا وَاللهِ عَنْكَ**

راضٍ، فما تُبالي ما قالَ النّاسُ بَعْدَ هٰذا»[١].

إنّ زرارة قد احتلّ مكانة متميّزة في نفس الإمام عليه السلام، فهو فقيه أهل البيت عليهم السلام، والناشر لعلومهم وأحكامهم، وإنّما قال الإمام عليه السلام في قدحه للحفاظ عليه كما أوضحنا ذلك.

---

(١) الكشّي: ١٤١، الحديث ٢٢٢.

١٠ ـ رسالة النجاشي وجوابه عليه السلام

كان عبدالله النجاشي حاكماً على الأهواز ، وهو من أفذاذ شيعة الإمام عليه السلام ، ومن خيار الحكّام والمسؤولين في تقواه وورعه وتحرّجه في الدين ، وقد طلب من الإمام الصادق عليه السلام أن يزوّده برسالة يتّخذها منهجاً ودستوراً يسير على ضوئه في أيّام ولايته وحكمه ، ليكون بمنجاة من الهلاك والإثم ، وهذا نصّ رسالته :

« أطال الله بقاء سيّدي ، وجعلني من كلّ سوء فداه ، ولا أراني فيه مكروهاً ، فإنّه وليّ ذلك والقادر عليه .

اعلم يا سيّدي ومولاي أنّي بُليت بولاية الأهواز ، فإن رأى سيّدي ومولاي أن يحدّ لي حدّاً ، ويمثّل لي مثالاً استدلّ به على ما يقرّبني إلى الله عزّ جلّ ، وإلى رسوله ، ويلخّص لي في كتابه ما يرى لي العمل به ، وفيما أبذله ، وأين أضع زكاتي ، وفيمن أصرفها ، وبمن آنس به ، وإلى من أستريح ، وبمن أثق وآمن وألجأ إليه في سرّي ، فعسى أن يخلّصني الله تعالى بهدايتك وولايتك ، فإنّك حجّة الله على خلقه ، وأمينه في بلاده ، لا زالت نعمته عليك .. » .

وحكت هذه الرسالة ما يتمتّع به النجاشي من الكمال وسموّ الأدب ، وذلك بتعظيمه لسليل النبوّة ، ولبقيّة الله في الأرض الإمام الصادق عليه السلام ، كما حكت احتياطه في أمر آخرته كأشدّ ما يكون الاحتياط ، فقد اعتبر تقلّده لولاية الأهواز بلاءً ومحنة عليه ، والحقّ أنّ أي عمل في جهاز الدولة إنّما هو بلاء ومحنة على من يتقلّده إن لم يقم بواجباته ومسؤوليّاته ويؤدّيها على النحو الكامل ، وقد طلب النجاشي من الإمام عليه السلام أن يتفضّل عليه ، ويوضّح له النقاط التالية :

١ ـ تحديد المنهج والسياسة التي يسير عليها أيّام ولايته .

٢ ـ معرفة من يعطيهم حقوقه الماليّة ، كالزكاة وغيرها ، وذلك بإيضاح الصفات التي ينبغي أن تتوفّر فيهم .

٣ ـ إرشاده إلى من يتّخذه حاشية ومستشارين له .

جواب الإمام عليه السلام

أمّا جواب الإمام عليه السلام فإنّه من أهمّ الوثائق السياسيّة في الإسلام ، فقد أوضح المناهج الإسلاميّة في عالم السياسة والحكم ، تلك المناهج المشرقة التي رفعت أعلام الحريّة والمساواة والتقدّم بين الناس ، وقد أرشده الإمام عليه السلام إلى أهمّ الوسائل التي تشيع العدل والحقّ بين الناس ، والتي تنجيه من عذاب الله ، انظروا وتأمّلوا في جواب الإمام عليه السلام ، وقد جاء فيه بعد البسملة :

«أَحاطَكَ اللهُ بِصُنْعِهِ ، وَلَطُفَ بِكَ بِمَنِّهِ ، وَكَلأَكَ بِرِعايَتِهِ ، فَإِنَّهُ وَلِيُّ ذلِكَ .

أَمّا بَعْدُ : فَقَدْ جاءَني رَسولُكَ بِكِتابِكَ ، فَقَرَأْتُهُ ، وَفَهِمْتُ جَميعَ ما ذَكَرْتَهُ وَسَأَلْتَ عَنْهُ ، وَذَكَرْتَ أَنَّكَ بُليتَ بِوِلايَةِ الْأَهْوازِ فَسَرَّني ذلِكَ وَساءَني ، وَسَأُخْبِرُكَ بِما ساءَني مِنْ ذلِكَ وَما سَرَّني إِنْ شاءَ اللهُ تَعالىٰ .

فَأَمّا سُروري بِوِلايَتِكَ ، فَقُلْتُ : عَسَى اللهُ أَنْ يُغيثَ بِكَ مَلْهوفاً خائِفاً مِنْ أَوْلياءِ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ، وَيُعِزُّ بِكَ ذَليلَهُمْ ، وَيَكْسو بِكَ عارِيَهُمْ ، وَيُقَوّي بِكَ ضَعيفَهُمْ ، وَيُطْفِئُ بِكَ نارَ الْمُخالِفينَ عَنْهُمْ . وَأَمّا الَّذي ساءَني مِنْ ذلِكَ ، فَإِنَّ أَدْنىٰ ما أَخافُ عَلَيْكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِوَلِيٍّ لَنا فَلا تَشُمَّ حَظيرَةَ الْقُدْسِ ، فَإِنّي مُلَخِّصٌ لَكَ جَميعَ ما سَأَلْتَ عَنْهُ إِنْ أَنْتَ عَمِلْتَ بِهِ وَلَمْ تُجاوِزْهُ ، رَجَوْتُ أَنْ تَسْلَمَ إِنْ شاءَ اللهُ تَعالىٰ .

أَخْبَرَني ـ يا عَبْدَ اللهِ ـ أَبي ، عَنْ آبائِهِ ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام ، عَنْ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قالَ : مَنِ اسْتَشارَهُ أَخوهُ الْمُؤْمِنُ فَلَمْ يَمْحَضْهُ[١] النَّصيحَةَ سَلَبَهُ اللهُ لُبَّهُ[٢] عَنْهُ .

---

(١) **لم يمحضه** : أي لم يخلص له .

(٢) **اللب** : العقل .

وَاعْلَمْ أَنّي سَأُشيرُ عَلَيْكَ بِرَأْيي إِنْ أَنْتَ عَمِلْتَ بِهِ تَخَلَّصْتَ مِمّا أَنْتَ تَخافُهُ ، وَاعْلَمْ أَنَّ خَلاصَكَ وَنَجاتَكَ في حَقْنِ الدِّماءِ ، وَكَفِّ الْأَذىٰ عَنْ أَوْلِياءِ اللهِ ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ ، وَالتَّأَنّي ، وَحُسْنِ الْمُعاشَرَةِ ، مَعَ لينٍ في غَيْرِ ضَعْفٍ وَشِدَّةٍ في غَيْرِ عُنْفٍ ، وَمُداراةِ صاحِبِكَ[١] وَمَنْ يَرِدُ عَلَيْكَ مِنْ رُسُلِهِ ، وَأَرْفِقْ بِرَعِيَّتِكَ بِأَنْ توقِفَهُمْ عَلىٰ ما وافَقَ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ إِنْ شاءَ اللهُ تَعالىٰ .

وَإِيّاكَ وَالسُّعاةَ ، وَأَهْلَ النَّمائِمِ ، فَلا يَلْزَقَنَّ بِكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَلا يَراكَ اللهُ يَوْماً وَلَيْلَةً وَأَنْتَ تَقْبَلُ مِنْهُمْ صَرْفاً[٢] وَلا عَدْلاً[٣] ، فَيَسْخَطُ اللهُ عَلَيْكَ .

وَاحْذَرْ مَكْرَ خوزِيِّ[٤] الْأَهْوازِ ، فَإِنَّ أَبي أَخْبَرَني عَنْ آبائِهِ ، عَنْ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام ، قالَ : إِنَّ الْإِيمانَ لا يَثْبُتُ في قَلْبِ يَهودِيٍّ وَلا خوزِيٍّ أَبَداً .

وَأَمّا مَنْ تَأْنَسُ بِهِ ، وَتَسْتَريحُ إِلَيْهِ ، وَتُلْجِئُ أُمورَكَ إِلَيْهِ فَذلِكَ الرَّجُلُ الْمُمْتَحَنُ ، الْمُسْتَبْصِرُ ، الْأَمينُ ، الْموافِقُ لَكَ عَلىٰ دينِكَ ، وَمَيِّزْ أَعْوانَكَ ، وَجَرِّبِ الْفَريقَيْنِ[٥] ، فَإِنْ رَأَيْتَ هُناكَ رُشْداً فَشَأْنَكَ وَإِيّاهُ ، وَإِيّاكَ أَنْ تُعْطِيَ دِرْهَماً أَوْ تَخْلَعَ ثَوْباً أَوْ تَحْمِلَ دابَّةً في غَيْرِ ذاتِ اللهِ لِشاعِرٍ أَوْ مُضْحِكٍ أَوْ مُمْتَزِحٍ ، إِلّا أَعْطَيْتَ مِثْلَهُ في ذاتِ اللهِ .

---

(١) صاحبه : هو المنصور الدوانيقي .

(٢) **الصرف** : التوبة .

(٣) **العدل** : الفدية .

(٤) **الخوزي** : صنف من الناس لهم مكر وخداع ، كانوا يسكنون الأهواز قبل الإسلام إلى بداية القرن الثاني أو أوسطه .

فالحديث لا يعمّ سكّان الأهواز ، جاء ذلك في التعليقة على المكاسب لسماحة الحجّة السيّد محمّد كلانتر ـ المكاسب : ٤ : ٣٦٧ .

(٥) **الفريقان** : هم الأعداء والأصدقاء .

وَلتَكُنْ جَوائِزُكَ وَعَطاياكَ وَخِلَعُكَ لِلْقوّادِ وَالرُّسلِ[١] وَأَصْحابَ الرَّسائِلِ وَأَصْحابِ الشُّرْطِ وَالأَخْماسِ[٢]، وَما أَرَدْتَ أَنْ تَصْرِفَهُ في وجوهِ الْبِرِّ وَالنَّجاحِ وَالْفِطْرَةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْحَجِّ وَالشُّرْبِ وَالْكِسْوَةِ الَّتي تُصَلّي فيها وَتَصِلُ بِها، وَالْهَدِيَّةِ الَّتي تُهْديها إِلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلىٰ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مِنْ أَطْيَبِ كَسْبِكَ.

يا عَبْدَاللهِ، اجْهَدْ أَنْ لَا تَكْنِزَ ذَهَباً وَلَا فِضَّةً فَتَكونَ مِنْ أَهْلِ هٰذِهِ الآيَةِ ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٣].

وَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ مِنْ حُلْوٍ وَلَا مِنْ فَضْلِ طَعامٍ تَصْرِفُهُ في بُطونٍ خالِيَةٍ تُسَكِّنُ بِها غَضَبَ الرَّبِّ تَبارَكَ وَتَعالىٰ.

وَاعْلَمْ أَنّي سَمِعْتُ أَبي يُحَدِّثُ عَنْ آبائِهِ، عَنْ أَميرِ الْمُؤْمنينَ عليه السلام أَنَّهُ سَمِعَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله يَقولُ لأَصْحابِهِ يَوْماً: ما آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ مَنْ باتَ شَبْعاناً وَجارُهُ جائِعٌ.

فَقُلْنا: هَلَكْنا يا رَسولَ اللهِ.

فَقالَ: مِنْ فَضْلِ طَعامِكُمْ وَمِنْ فَضْلِ تَمْرِكُمْ وَرِزْقِكُمْ وَخَلِقِكُمْ[٤] وَخِرَقِكُمْ[٥] تُطْفِئونَ بِها غَضَبَ الرَّبِّ.

وَسَأُنَبِّئُكَ بِهَوانِ الدُّنْيا وَهَوانِ شَرَفِها عَلىٰ مَنْ مَضىٰ مِنَ السَّلَفِ وَالتّابعينَ،

---

(١) **الرسل**: هم رسل السلطان.

(٢) **الأخماس**: هم النخبة المتقدّمة أمام الجيش، فإنّه يتألّف من خمس فرق: المقدّمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة، وهم الجنود المتأخّرون.

(٣) التوبة ٩: ٣٤.

(٤) **خلقكم**: هي الثياب البالية.

(٥) **خرقكم**: هي القطعة من الثوب.

فَقَدْ حَدَّثني أَبي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام ، قالَ : لَمّا تَجَهَّزَ الْحُسَيْنُ عليه السلام إِلى الْكُوفَةِ أَتاهُ ابْنُ عَبّاسٍ فَناشَدَهُ اللهَ وَالرَّحِمَ أَنْ يَكونَ هُوَ الْمَقْتولُ بِالطَّفِّ ، فَقالَ : أَنا أَعْلَمُ بِمَصْرَعي مِنْكَ ، وَما وَكدي(١) مِنَ الدُّنْيا إِلَّا فِراقُها ، أَلا أُخْبِرُكَ - يابْنَ عَبّاسٍ - بِحَديثِ أَميرِ الْمُؤْمنينَ عليه السلام ، قالَ : إِنّي كُنْتُ بِفَدَكٍ في بَعْضِ حيطانِها ، وَقَدْ صارَتْ لِفاطِمَةَ عليها السلام ، فَإِذا أَنا بِامْرَأَةٍ قَدْ قَحَمَتْ عَلَيَّ وَفي يَدي مِسْحاةٌ وَأَنا أَعْمَلُ بِها ، فَلَمّا نَظَرْتُ إِلَيْها طارَ قَلْبي مِمّا يُداخِلُني مِنْ جَمالِها ، فَشَبَّهْتُها بِبُثَيْنَةَ الْجُمَحيِّ بِنْتَ عامِرٍ ، وَكانَتْ مِنْ أَجْمَلِ نِساءِ قُرَيْشٍ ، فَقالَتْ : يابْنَ أَبي طالِبٍ ، هَلْ لَكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ بي فَأُغْنيكَ عَنْ هٰذِهِ الْمِسْحاةِ ، وَأَدُلُّكَ عَلىٰ خَزائِنِ الْأَرْضِ ، فَيَكونَ الْمُلْكُ لَكَ ما بَقيتَ وَلِعَقِبِكَ مِنْ بَعْدِكَ .

فَقالَ لَها عَلِيٌّ عليه السلام : مَنْ أَنتِ حَتّىٰ أَخْطِبَكِ مِنْ أَهْلِكِ ؟

فَقالَتْ : أَنا الدُّنْيا .

قالَ لَها : ارْجِعي ، وَاطْلُبي زَوْجاً غَيْري ، فَأَقْبَلْتُ عَلىٰ مِسْحاتي .

فَخَرَجَ عليه السلام مِنَ الدُّنْيا وَلَيْسَ في عُنُقِهِ تَبِعَةٌ لِأَحَدٍ حَتّىٰ لَقِيَ اللهَ تَعالىٰ مَحْموداً غَيْرَ مَلومٍ وَلا مَذْمومٍ ، ثُمَّ اقْتَدَتْ بِهِ الْأَئِمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ بِما قَدْ بَلَغَكُمْ ، لَمْ يَتَلَطَّخوا بِشَيْءٍ مِنْ بَوائِقِها ، وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِمَكارِمِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ .

وَعَنِ الصّادِقِ الْمُصَدَّقِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، فَإِنْ أَنْتَ عَمِلْتَ بِما نَصَحْتُ لَكَ في كِتابي هذا ، ثُمَّ كانَتْ عَلَيْكَ مِنَ الذُّنوبِ وَالْخَطايا كَمِثْلِ أَوْزانِ الْجِبالِ وَأَمْواجِ الْبِحارِ رَجَوْتُ اللهَ أَنْ يَتَجاوَزَ عَنْكَ جَلَّ وَعَزَّ بِقُدْرَتِهِ .

يا عَبْدَاللهِ ، إِيّاكَ أَنْ تُخيفَ مُؤْمِناً ، فَإِنَّ أَبي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام حَدَّثَني عَنْ أَبيهِ ،

---

(١) وكدي : أي قصدي .

عَنْ جدِّهِ ، عَنْ عَليٍّ بْنِ أَبي طالِبٍ عليه السلام أَنَّهُ كانَ يقولُ : مَنْ نَظَرَ إِلىٰ مُؤْمِنٍ نَظْرَةً لِـيُخيفَهُ بِها أَخافَهُ اللهُ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ ، وَحَشَرَهُ في صورَةِ الذَّرِّ[١] لَحْمَهُ وَجَسَدَهُ حَتّىٰ يورِدَهُ مَوْرِدَهُ .

وَحَدَّثني أَبي عَنْ آبائِهِ ، عَنْ عَليٍّ عليه السلام ، عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله ، قالَ : مَنْ أَغاثَ لَهْفاناً مِـنَ الْمُؤْمنينَ أَغاثَهُ اللهُ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ ، وَآمَنَهُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ ، وَآمَنَهُ مِنْ سوءِ الْمُنْقَلَبِ .

وَمَنْ قَضىٰ لأَخيهِ الْمُؤْمِنِ حاجَةً قَضَى اللهُ لَهُ حَوائِجَ كَثيرَةً أَحَدُها الْجَنَّةِ .

وَمَنْ كَسىٰ أَخاهُ الْمُؤْمِنَ جُبَّةً مِنْ عُرْيٍ كَساهُ اللهُ مِنْ سُنْدُسِ[٢] الْجَنَّةِ وَإِسْتَبْرَقِها[٣] ، وَلَمْ يَزَلْ يَخوضُ في رِضْوانِ اللهِ ما دامَ عَلَى الْمَكْسُوِّ مِنْها سِلْكٌ .

وَمَنْ أَطْعَمَ أَخاهُ مِنْ جوعٍ أَطْعَمَهُ اللهُ مِنْ طَيِّباتِ الْجَنَّةِ .

وَمَنْ أَخْدَمَ أَخاهُ أَخْدَمَهُ اللهُ مِنَ الْوِلْدانِ الْمُخَلَّدينَ ، وَأَسْكَنَهُ مَعَ أَوْليائِهِ الطّاهِرينَ .

وَمَنْ حَمَلَ أَخاهُ عَلىٰ راحِلَةٍ حَمَلَهُ اللهُ عَلىٰ ناقَةٍ مِنْ نوقِ الْجَنَّةِ ، وَباهىٰ بِهِ الْمَلائِكَةَ الْمُقَرَّبينَ يَوْمَ الْقِيامَةِ .

وَمَنْ زَوَّجَ أَخاهُ الْمُؤْمِنُ امْرَأَةً يَأْنَسُ بِها ، وَتَشُدُّ عَضُدَهُ ، وَيَسْتَريحُ إِلَـيْها زَوَّجَـهُ اللهُ مِنَ الْحورِ الْعينِ ، وَآنَسَهُ بِمَنْ أَحَبَّهُ مِنَ الصِّدّيقينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَـبِيِّهِ عليهم السلام وَإِخْـوانِـهِ ، وَآنَسَهُ بِهِمْ .

وَمَنْ أَعانَ أَخاهُ الْمُؤْمِنَ عَلىٰ سُلْطانٍ جائِرٍ أَعانَهُ اللهُ عَلىٰ إِجازَةِ الصِّـراطِ عِـنْدَ زَلَّـةِ الأَقْدامِ .

---

(١) الذرّ : صغار النمل أو الذرّات المنتشرة في الهواء .

(٢) السندس : نوع من الديباج الرقيق .

(٣) الاستبرق : الديباج .

وَمَنْ زارَ أَخاهُ في مَنْزِلِهِ لا لِحاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِ، كُتِبَ مِنْ زُوّارِ اللهِ، وَكانَ حَقيقاً عَلَى اللهِ أَنْ يُكْرِمَ زائِرَهُ.

يا عَبْدَاللهِ، وَحَدَّثَني أَبي، عَنْ آبائِهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقولُ لِأَصْحابِهِ يَوْماً: مَعاشِرَ النّاسِ، إِنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ آمَنَ بِلِسانِهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ، فَلا تَتَبَّعوا عَثَراتِ الْمُؤْمِنينَ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَثْرَةَ مُؤْمِنٍ، تَتَبَّعَ اللهُ عَثَراتِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَفَضَحَهُ في جَوْفِ بَيْتِهِ.

وَحَدَّثَني أَبي عَنْ آبائِهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهُ قالَ: أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ الْمُؤْمِنِ أَنْ لا يُصَدَّقَ في مَقالَتِهِ، وَلا يَنْتَصِفُ مِنْ عَدُوِّهِ، عَلىٰ أَنْ لا يَشْفي غَيْظَهُ إِلّا بِفَضيحَةِ نَفْسِهِ، لِأَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ مُلْجَمٍ(١) وَذٰلِكَ لِغايَةٍ قَصيرَةٍ، وَراحَةٍ طَويلَةٍ، وَأَخَذَ اللهُ ميثاقَ الْمُؤْمِنِ عَلىٰ أَشْياءَ أَيْسَرِها عَلَيْهِ مُؤْمِنٌ مِثْلُهُ يَقولُ بِمَقالَتِهِ: يَعيبُهُ وَيَحْسِدُهُ، وَالشَّيْطانُ يُغْويهِ وَيَمْقُتُهُ، وَالسُّلْطانُ يَقْفو أَثَرَهُ، وَكافِرٌ بِالَّذي هُوَ مُؤْمِنٌ بِهِ، يَرىٰ سَفْكَ دَمِهِ ديناً، وَإِباحَةَ حَريمِهِ غُنْماً فَما بَقاءُ الْمُؤْمِنِ بَعْدَ هٰذا؟

يا عَبْدَاللهِ، وَحَدَّثَني أَبي عَنْ آبائِهِ عليهم السلام، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، قالَ: نَزَلَ جَبْرَئيلُ عليه السلام فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ يَقْرَؤُكَ السَّلامَ وَيَقولُ: اشْتَقَقْتُ لِلْمُؤْمِنِ اسْماً مِنْ أَسْمائي، سَمَّيْتُهُ مُؤْمِناً، فَالْمُؤْمِنُ مِنّي وَأَنا مِنْهُ، وَمَنِ اسْتَهانَ بِمُؤْمِنٍ فَقَدِ اسْتَقْبَلَني بِالْمُحارَبَةِ.

يا عَبْدَاللهِ، وَحَدَّثَني أَبي عَنْ آبائِهِ عليهم السلام، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قالَ يَوْماً: «يا عَلِيُّ، لا تُناظِرْ رَجُلاً حَتّىٰ تَنْظُرَ في سَريرَتِهِ، فَإِنْ كانَتْ حَسَنَةً، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) **الملجم**: كفّ اللسان عن الإساءة إلى الغير.

لَمْ يَكُنْ لِيَخْذُلَ وَلِيَّهُ ، وَإِنْ كانَتْ سَرِيرَتُهُ رَدِيئَةً ، فَقَدْ تَكْفيهِ مَساوِئُهُ ، فَلَوْ جَهِدْتَ أَنْ تَعْمَلَ بِهِ أَكْثَرَ مِمّا عَمِلَ بِهِ مِنْ مَعاصي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ما قَدَرْتَ عَلَيْهِ .

يا عَبْدَاللهِ ، وَحَدَّثَني أَبي ، عَنْ آبائِهِ ، عَنْ عَليٍّ عليه السلام ، عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله ، أَنَّهُ قالَ : أَدْنَى الْكُفْرِ أَنْ يَسْمَعَ الرَّجُلُ عَنْ أَخيهِ الْكَلِمَةَ فَيَحْفَظُها عَلَيْهِ ، يُريدُ أَنْ يَفْضَحَهُ بِها أُولٰئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ .

يا عَبْدَاللهِ ، وَحَدَّثَني أَبي ، عَنْ آبائِهِ ، عَنْ عَليٍّ عليه السلام ، أَنَّهُ قالَ : مَنْ قالَ في مُؤْمِنٍ ما رَأَتْ عَيْناهُ ، وَسَمِعَتْ أُذُناهُ ما يُشينُهُ ، وَيَهْدِمُ مُروءَتِهِ فَهوَ مِنَ الَّذينَ قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ الَّذينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] .

يا عَبْدَاللهِ ، وَحَدَّثَني أَبي ، عَنْ آبائِهِ ، عَنْ عَليٍّ عليه السلام ، أَنَّهُ قالَ : مَنْ رَوىٰ عَنْ أَخيهِ الْمُؤْمِنِ رِوايَةً يُريدُ بِها هَدْمَ مُروءَتِهِ وَثَلْبَهُ ، أَوْبَقَهُ اللهُ بِخَطيئَتِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ حَتّىٰ يَأْتي بِمَخْرَجٍ مِمّا قالَ .

وَمَنْ أَدْخَلَ عَلىٰ أَخيهِ الْمُؤْمِنِ سُروراً ، فَقَدْ أَدْخَلَ عَلىٰ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله سُروراً .

وَمَنْ أَدْخَلَ عَلىٰ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ سُروراً فَقَدْ أَدْخَلَ عَلىٰ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله سُروراً .

وَمَنْ أَدْخَلَ عَلىٰ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله سُروراً فَقَدْ سَرَّ اللهَ ، وَمَنْ سَرَّ اللهَ فَحَقيقٌ عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ .

ثُمَّ إِنّي أُوصيكَ بِتَقْوَى اللهِ ، وَإِيثارِ طاعَتِهِ ، وَالْإِعْتِصامِ بِحَبْلِهِ ، فَإِنَّهُ مَنِ اعْتَصَمَ بِحَبْلِ اللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيمٍ .

فَاتَّقِ اللهَ وَلا تُؤْثِرْ أَحَداً عَلىٰ رِضاهُ وَهَواهُ ، فَإِنَّهُ وَصِيَّةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلىٰ خَلْقِهِ ،

---

(١) النور ٢٤ : ١٩ .

لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ غَيْرَها ، وَلَا يَعْلَمُ سِواها ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلْقَ لَمْ يُوكَلوا بِشَيْءٍ أَعْظَمَ مِنْ تَقْوَى اللهِ ، فَإِنَّهُ وَصِيَّتُنا أَهْلَ الْبَيْتِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَنالَ مِنَ الدُّنْيا شَيْئاً تُسْأَلُ عَنْهُ غَداً ، فَافْعَلْ » .

ولمّا وصلت هذه الوثيقة التي هي نور وهدى إلى النجاشي تأمّل فيها ، ونظر بإمعان في بنودها التي حكت جوهر الإسلام وواقعه المشرق ، راح يقول : « صدق والله الذي لا إله إلّا هو مولاي فما عمل أحد بما في هذا الكتاب إلّا نجا »[١] .

وحكت هذه الوثيقة خلاصة العدل السياسي في الإسلام الذي يحقّق آمال البشريّه وطموحها ، وينعم في ظلاله البؤساء والمحرومين ، فقد حدّدت قبل كلّ شيء تصرّفات الحكّام والمسؤولين ، فليس لهم أن يتصرّفوا في اُمور الرعيّة حسب رغباتهم وأهوائهم ، وإنّما عليهم مصلحة الأُمّة فوق جميع الاعتبارات ، كما طالبتهم بتحقيق العدل بجميع رحابه ومفاهيمه بين الناس ، وعلينا أن نلقي نظرة خاطفة على بعض النقاط المهمّة في هذه الوثيقة التي يجب أن تكون دستوراً ومنهجاً للحكّام والمسؤولين .

النقاط المهمّة :

أمّا النقاط المهمّة في هذه الرسالة فخلاصتها ما يلي :

١ ـ إلزام المسؤولين بحقن الدماء والاحتياط فيها كأشدّ ما يكون الاحتياط ، فقد جعل الإسلام سفكها بغير حقّ من أعظم الكبائر والمفاسد في الأرض .

٢ ـ كفّ الأذى عن النّاس ، وعدم التعرّض لأي أحد بسوء أو مكروه من أي جهة كان ، والواجب إشاعة الأمن والاستقرار في البلاد .

---

(١) وسائل الشيعة : ٢ : ١٥١ ـ ١٥٦ .

٣ـ الرفق بالرعيّة واللطف بها ، والذي من مظاهره أن لا يكون الحاكم فظّاً غليظاً ، تنفر من سياسته وتصرّفاته النفوس ، فإنّ ذلك ممّا يوجب بُعد المواطنين عنه ، وعزل الحكومة عن الشعب .

٤ـ التأنّي بالشؤون السياسيّة والتروّي فيها ، فإنّ التهوّر واللامبالاة ممّا يوجب الوقوع في الخطأ ، ويعرّض البلاد لكثير من الأزمات والأخطار .

٥ـ معاشرة الناس ، والتعامل معهم بالحسنى ، وذلك في لين لا ضعف فيه وشدّة من غير عنف ، وهذا هو منطق الاستقامة ، والعدل الذي تسعد به الشعوب .

٦ـ إيقاف الرعيّة بواسطة الإعلام على الطرق التي تؤدّي إلى تنميتها الفكريّة والاجتماعيّة .

٧ـ رفض سعاة السوء ، وعدم السماح لهم بالاتّصال بمراكز الدولة وأجهزتها ، فإنّهم من عناصر السوء والبغي في الأرض وأدوات التخريب في كلّ زمان ومكان .

٨ـ الاتّصال بأهل الدين ، وذوي المروءات ، فإنّهم دعاة الخير ، واللازم على المسؤوليّن أن يجعلوا بطانتهم من هذا الصنف المهذّب من الناس .

٩ـ عدم إعطاء الممزحين والمضحكين من أموال الدولة ، فإنّ ذلك ممّا يوجب إشاعة البطالة والصور الهزيلة بين الناس .

١٠ـ الإنفاق على وسائل الخير ، كالصدقة والحجّ وغيرهما ، من أموال الولاة خاصّة ، فإنّ ذلك ممّا يوجب ثقة الناس بهم .

١١ـ حرمة كنز الأموال؛ لأنّه ممّا يوجب تعطيل الأيدي العاملة وإشاعة البؤس والحرمان بين الناس .

هذه بعض البنود السياسيّة في هذه الوثيقة المشرقة ، وهناك جوانب إنسانيّة بالغة الأهمّية قد حفلت بها هذه الوثيقة ، وهي :

أوّلاً : أن لا يخيف الوالي أي أحد من المؤمنين ، فإنّ ذلك محرّم في الإسلام ،

فقد حرّم النظر إلى المؤمن بنظرة الغضب والانتقام، وهذا هو منتهى العدل في الإسلام.

ثانياً: إغاثة الملهوفين، ورفع ما ألمّ بهم من كوارث الزمن، وخطوب الأيّام، فإنّ ذلك من أعظم الطاعات والعبادات.

ثالثاً: السعي في قضاء حوائج المسلمين.

رابعاً: إطعام الجائعين، وإسعاف المحتاجين في سبيل الله.

خامساً: التزاور والتآلف بين المسلمين.

سادساً: عدم تتبّع عثرات المسلمين، وعدم إشاعة ما صدر منهم من عمل غير مشروع.

هذه بعض الوصايا والنصائح التي أدلى بها الإمام في وصيّته للنجاشي، وهي ما توجب ازدهار الحياة وإشاعة المحبّة والأُلفة بين المسلمين، وتطوير حياتهم.

١١ ـ رسالته عليه السلام للنجاشي

ووفد رجل على الإمام عليه السلام وطلب منه أن يزوّده برسالة إلى النجاشي ليخفّف أو يرفع عنه ما عليه من الخراج، فكتب الإمام عليه السلام بعد البسملة هذه الرسالة الموجزة:

سُرَّ أَخاكَ يَسُرُّكَ اللهُ

وحمل الرجل هذه الرسالة إلى النجاشي، فلمّا تسلّمها قبّلها ووضعها على عينيه، وقال له: «ما حاجتك؟».

- خراج عليَّ في ديوانك.
- كم هو؟
- عشرة آلاف درهم.

فدعا كاتبه ، وأمره بأدائها عنه ، وأخرج اسمه من ديوان الديون ، والتفت إليه قائلاً له بلطف : سررتك ؟

- نعم ، جعلت فداك . وأمر له بمركب ، وجارية ، وغلام ، وتخت ثياب ، وغير ذلك من الهدايا والألطاف ، وفي كلّ ذلك يقول له : سررتك ؟ فيقول الرجل : نعم ، كما قدّم له فراش البيت الذي كان جالساً عليه ، وخرج من عنده وهو مسرور الفؤاد ، قد استولى الفرح والسرور عليه ، ثمّ وفد على الإمام الصادق عليه السلام ، وأخبره بما غمره النجاشي من النعم والألطاف ، فسرّ الإمام بذلك ، وقال الرجل له : يابن رسول الله ، كأنّه قد سرّك ما فعل بي ؟

وأسرع الإمام قائلاً والسرور بادٍ على سحنات وجهه : «**إِي وَاللهِ ، لَقَدْ سَرَّ اللهَ وَرَسولَهُ**»[١].

(١) أصول الكافي : ٢ : ١٩٠.

١٢ـ رسالته إلى عبدالله

روى عبدالحميد الطائي ، قال : «كتب معي الإمام الصادق عليه السلام إلى عبدالله بن معاوية ، وكان بفارس ما يلي : **مَنِ اتَّقَى اللهَ وَقَاهُ ، وَمَنْ شَكَرَهُ زادَهُ ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزاهُ**»[١].

وحفلت هذه الرسالة بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، فليس هناك صفة أسمى ولا أرفع من تقوى الله تعالى ، ومن شكره وإقراضه لإنقاذ الفقراء من عباده .

---

(١) المحاسن: ٣.

وصاياه عليه السلام

زوّد الإمام الصادق عليه السلام أصحابه بوصايا قيّمة حوت خلاصة التجارب ، وجواهر الحكمة ، وهي -من دون شكّ- تضمن لمن سار على نهجها حياة كريمة حافلة بجميع مقوّمات الارتقاء والنهوض ، وفيما يلي بعض وصاياه :

وصيّة عامّة

وأوصى الإمام عليه السلام المسلمين بهذه الوصيّة القيّمة . قال عليه السلام :

« أَفْضَلُ الْوَصايا وَأَلْزَمُها أَنْ لَا تَنْسىٰ رَبَّك ، وَأَنْ تَذْكُرَهُ دائِماً ، وَلَا تَعْصيَهُ ، وَتَعْبُدَهُ قائِماً وَقاعِداً ، وَلَا تَغْتَرَّ بِنِعْمَتِهِ ، وَاشْكُرْهُ أَبداً ، وَلَا تَخْرُجْ مِنْ تَحْتِ أَسْتارِ رَحْمَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَجَلالِهِ فَتَضِلَّ ، وَتَقَعَ في مَيْدانِ الْهَلاكِ ، وَإِنْ مَسَّكَ الْبَلاءُ وَالضَّرّاءُ وَأَحْرَقَتْكَ في نيرانُ الْمِحَنِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ بَلاياهُ مَحْشُوَّةٌ بِكَراماتِهِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَمِحَنَهُ مورِثَةٌ رِضاهُ وَقُرْبَهُ وَلَوْ بَعْدَ حينٍ »[1] .

وحفلت هذه الوصيّة بالحثّ على تقوى الله تعالى ، ولزوم إطاعته ، والابتعاد عن معاصيه ، وعدم الغرور بما يضفيه الله على عباده من وافر النعم ، إلى غير ذلك من النصائح القيّمة التي توجب رفع مستوى الإنسان .

---

(١) مصباح الشريعة : ١٦٢ .

وصاياه عليه السلام لشيعته

وأدلى الإمام الصادق عليه السلام بعدّة وصايا قيّمة إلى شيعته دعاهم فيها إلى المثل العليا، وتهذيب سلوكهم ليكونوا سادة الناس في سموّ آدابهم، ومعالي أخلاقهم، ومن بين وصاياه لهم ما يلي:

١ - وخاطب الإمام عليه السلام شيعته وأصحابه قائلاً:

«إنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إذا وَرِعَ في دينِهِ، وَصِدْقِ الْحَديثِ، وَأَدّى الْأَمانَةَ، وَحَسَّنَ خُلُقَهُ مَعَ النّاسِ، قيلَ هٰذا جَعْفَرِيٌّ، وَيَسُرُّني ذلِكَ، وَيَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْهُ السُّرورَ، وَإِنْ كانَ عَلىٰ غَيْرِ ذلِكَ دَخَلَ عَلَيَّ بَلاؤُهُ وَعارُهُ، وَقيلَ: هٰذا أَدَبُ جَعْفَرٍ»[١].

لقد دعاهم إلى الورع في الدين، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الخُلق مع الناس، وهذه هي أُصول الفضائل التي يسمو بها الإنسان.

٢ - وطلب الإمام من شيعته أن يتحلّوا بالمثل الكريمة، والصفات الرفيعة، فقد قال لهم:

«اتَّقوا اللهَ، وَكونوا إِخْوَةً بَرَرَةً، مُتَحابّينَ في اللهِ، مُتَواصِلينَ، مُتَواضِعينَ، مُتَراحِمينَ، تَزاوَروا، وَتَلاقَوا وَتَذاكَروا وَأَحْيوا أَمْرَنا»[٢].

إنّ هذه الآداب العلويّة أحقّ بالبقاء، وأجدر بالخلود من كلّ كائن حيّ لأنّها تسمو بالإنسان إلى آفاق مشرقة من الفضائل والآداب، وتحقّق للمجتمع أهمّ ما يصبو إليه.

٣ - ومن وصاياه القيّمة لشيعته وأصحابه، هذه الوصيّة:

---

(١) أُصول الكافي - كتاب العِشرة: ٢: ٦٣٦.

(٢) مجموعة ورّام: ٢: ١٧٩.

«أَما وَاللهِ ما أَحَدٌ مِنَ النّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكُمْ.

إِنَّ النّاسَ قَدْ سَلَكوا سُبُلاً شَتّىٰ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ بِرَأْيِهِ، وَمِنْهُمْ مَنِ اتَّبَعَ هَواهُ، وَمِنْهُمْ مَنِ اتَّبَعَ الرِّوايَةَ، وَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمْ بِأَمْرٍ لَهُ أَصْلٌ، فَعَلَيْكُمْ بِالْوَرَعِ وَالْإِجْتِهادِ، اشْهَدوا الْجَنائِزَ، وَعودوا الْمَرْضىٰ، وَاحْضَروا مَعَ الْقَوْمِ في مَساجِدِهِمْ لِلصَّلاةِ، أَما يَسْتَحيي الرَّجُلُ أَنْ يُعارِفَ جارَهُ حَقَّهُ، وَلا يَعْرِفُ حَقَّ جارِهِ»(١).

ومعنى هذا الحديث أنّ أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم أحبّ الناس إلى الإمام عليه السلام، وألصقهم به؛ لأنّهم لم يسلكوا ما سلكه غيرهم، من الأخذ بالرأي واتّباع الهوى، وإنّما تمسّكوا بواقع الإسلام وجوهره، فأخذوا معالم دينهم من أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين هم معادن الإسلام وحماته، وسفن النجاة، وأمن العباد، وعدلاء الذكر الحكيم، وبعد ذلك أوصاهم الإمام عليه السلام بمكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، كالورع والاجتهاد في الدين، ومشايعة الجنائز، وعيادة المرضى، وغير ذلك من الروابط الاجتماعيّة.

٤ - وأوصى الإمام عليه السلام شيعته وأصحابه بهذه الوصيّة، قال عليه السلام:

«اتَّقوا اللهَ، وَأَحْسِنوا الرُّكوعَ وَالسُّجودَ، وَكونوا أَطْوَعَ عِبادِ اللهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَنالوا وَلايَتَنا إِلَّا بِالْوَرَعِ، وَلَنْ تَنالوا ما عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَإِنَّ أَشَدَّ النّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ مَنْ وَصَفَ عَدْلاً وَخالَفَهُ إِلىٰ غَيْرِهِ»(٢).

لقد أوصاهم بتقوى الله وطاعته، وأن يحسنوا الركوع والسجود في صلاتهم، كما أوصاهم بالورع عن محارم الله تعالى، وبالعمل فيما فرضه عليهم.

---

(١) مجموعة ورّام: ٢: ١٣٨.

(٢) مجموعة ورّام: ٢: ٨٣.

٥ ـ وأوصى الإمام عليه السلام شباب الشيعة بهذه الوصيّة القيّمة التي ترفع شأنهم، قال عليه السلام:

«لَسْتُ أُحِبُّ أَنْ أَرَى الشّابَّ مِنْكُمْ إِلَّا غادياً في حالَيْنِ: إِمّا عالِماً، أَوْ مُتَعَلِّماً، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَرَّطَ، وَإِنْ فَرَّطَ ضَيَّعَ، وَإِنْ ضَيَّعَ أَثِمَ»[1].

إنّ الأُمّة إنّما تحتل مركزاً مرموقاً، وتمتاز على غيرها من أُمم العالم وشعوب الأرض إذا تسلّحت بالعلم، وقد أراد الإمام عليه السلام من شباب الشيعة أن يشيع بينهم العلم ليكونوا قادة المجتمع وهداته.

٦ ـ ومن وصاياه الرفيعة لأصحابه وشيعته أنّه قال لهم:

«لا تَطْعَنوا في عُيوبِ مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ بِمَوَدَّتِهِ، وَلَا تقِفوهُ عَلىٰ سَيِّئَةٍ يَخْضَعُ لَها، فَإِنَّها لَيْسَتْ مِنْ أَخْلاقِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَلا مِنْ أَخْلاقِ أَوْلِيائِهِ»[2].

لقد أوصاهم بالتماسك والترابط، وأن لا تحدث بينهم أيّة ثغرة تؤدّي إلى انقسامهم، وتشتّت شملهم، وانهيار وحدتهم.

٧ ـ ومن وصاياه عليه السلام القيّمة لشيعته هذه الوصيّة:

«رَحِمَ اللهُ عَبْداً حَبَّبَنا إِلَى النّاسِ، وَلَمْ يُبَغِّضْنا إِلَيْهِمْ، أَما وَاللهِ لَوْ يَرَوْنَ مَحاسِنَ كَلامِنا لَكانوا بِهِ أَعَزَّ، وَما اسْتَطاعَ أَحَدٌ أَنْ يَتَعَلَّقَ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ، وَلكِنَّ أَحَدَهُمْ يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيَميطُ إِلَيْها عَشْراً»[3].

---

(١) أمالي الطوسي: ٣٠٣، الحديث ٦٠٤.

(٢) مجموعة ورّام: ٢: ١٣٨.

(٣) مجموعة ورّام: ٢: ١٥٢.

لقد دعا الإمام عليه السلام شيعته أن يكونوا زيناً لهم، ودعاة محبّة وخير لهم، وذلك بتطبيق مبادئهم المشرقة على سلوكهم، وأعلن الإمام أنّ القوى المنحرفة عنهم لو التقوا بهم، ونظروا إلى هديهم، وسمعوا كلامهم لغيّروا أفكارهم المعادية لهم.

وأعلن الإمام عليه السلام نقمته البالغة على الذين يزيدون في أحاديثه ممّا يشوّهها، ويغيّر محتواها.

٨ - ومن وصاياه الحكميّة هذه الوصيّة الثمينة التي أتحف بها بعض أصحابه وشيعته، قال عليه السلام:

«اسْتَمِعوا مِنّي كَلاماً هُوَ خَيْرٌ مِنَ الدّراهِمِ الْمَدْقوقَةِ، لَا تَتَكَلَّمَنَّ بِما لَا يُعْنيك، وَدَعْ عَنْكَ كثيراً مِنَ الْكَلامِ فيما يُعْنيكَ حَتّىٰ تَجِدَ لَهُ مَوْضِعاً، فَرُبَّ مُتَكَلِّم بِحَقٍّ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَعَنَتَ، وَلَا تُمارِيَنَّ سَفيهاً وَلَا حَليماً، فَإِنَّ الْحَليمَ يَغْلِبُكَ، وَالسَّفيهَ يُرْديكَ، وَاذْكُرْ أَخاكَ إِذا تَغَيَّبَ عَنْكَ بِأَحْسَنِ مِمّا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ إِذا تَغَيَّبْتَ عَنْهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ هٰذا هُوَ الْعَمَلُ، وَاعْمَلْ عَمَلَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَجْزِيٌ بِالْإِحْسانِ، مَأْخوذٌ بِالْإِجْرامِ»(١).

وحكت هذه الوصيّة جواهر الحكم والآداب، فقد عنت بصورة موضوعيّة في سلوك الإنسان المسلم مع غيره، ووضعت له المنهاج السليم الذي يضمن له الاستقرار النفسي، ويقيه من التخاصم والمشاكل.

٩ - ومن وصاياه الرفيعة التي زوّد بها بعض شيعته هذه الوصيّة، قال عليه السلام:

«لَا يَغُرَّنَّكَ النّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَصِلُ إِلَيْكَ دونَهُمْ، وَلَا تَقْطَعِ النَّهارَ بِكَذا وَكَذا، فَإِنَّ مَعَكَ مَنْ يَحْفَظُ عَلَيْكَ، وَلَا تَسْتَقِلَّ قَليلَ عَمَلٍ صالِحٍ فَإِنَّكَ تَراهُ غَداً بِحَيْثُ يَسُرُّكَ، وَلَا تَسْتَقِلَّ قَليلَ الشَّرِّ فَإِنَّكَ تَراهُ غَداً بِحَيْثُ يَسوؤُكَ، وَأَحْسِنْ فَإِنّي لَمْ أَرَ شَيْئاً

---

(١) الاختصاص: ٢٢٥.

أَشَدَّ طَلَباً ، وَلَا أَسْرَعَ دَرَكاً مِنْ حَسَنَةٍ لِذَنْبٍ قَدِيمٍ ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾(١) »(٢).

ودعت هذه الوصيّة إلى محافظة الإنسان المسلم على أوقاته ، وأن لا يشغلها إلّا بما يستفيد منه في أمر آخرته ، كما دعت إلى التزوّد من الأعمال الصالحة ، والتجنّب عن الأعمال التي حرّمها الله ، فإنّ الإنسان مسؤول عنها يوم حشره ونشره .

١٠ ـ وتشرّف أبو اُسامة زيد الشحّام بمقابلة الإمام عليه السلام ، وزوّده بهذه الوصيّة ليحملها إلى شيعته ، قال عليه السلام :

« إقْرأْ عَلىٰ مَنْ تَرىٰ أَنَّهُ يُطيعُني مِنْهُمْ ، وَيَأْخُذُ بِقَوْلي السَّلامَ ، وَأُوصيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْوَرَعِ في دينِكُمْ ، وَالْإِجْتِهادِ لِلّٰهِ ، وَصِدْقِ الْحَديثِ ، وَأَداءِ الْأَمانَةِ ، وَطولِ السُّجودِ ، وَحُسْنِ الْجِوارِ ، فَبِهذا جاءَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله . أَدّوا الْأَمانَةَ إِلىٰ مَنِ ائْتَمَنَكُمْ عَلَيْها بَرّاً أَوْ فاجِراً ، فَإِنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله كانَ يَأْمُرُ بِأَداءِ الْخَيْطِ وَالْمِخْيَطِ . صِلوا عَشائِرَكُمْ ، وَاشْهَدوا جَنائِزَهُمْ ، وَعودوا مَرْضاهُمْ ، وَأَدّوا حُقوقَهُمْ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذا وَرِعَ في دينِهِ ، وَصَدَقَ الْحَديثَ ، وَأَدّى الْأَمانَةَ ، وَحَسَّنَ خُلْقَهُ مَعَ النّاسِ قيلَ : هٰذا جَعْفَرِيٌّ ، فَيَسُرَّني ذٰلِكَ ، وَيَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْهُ السُّرورَ ، وَقيلَ : هٰذا أَدَبُ جَعْفَرٍ ، وَإِذا كانَ عَلىٰ غَيْرِ ذٰلِكَ دَخَلَ عَلَيَّ بَلاؤُهُ وَعارُهُ ، وَقيلَ : هٰذا أَدَبُ جَعْفَرٍ ، فَوَاللهِ لَحَدَّثَني أَبي أَنَّ الرَّجُلَ كانَ يَكونُ في الْقَبيلَةِ مِنْ شيعَةِ عَلِيٍّ عليه السلام فَيَكونُ زَيْنَها ، آداهُمْ لِلْأَمانَةِ ، وَأَقْضاهُمْ لِلْحُقوقِ ، وَأَصْدَقُهُمْ لِلْحَديثِ ، إِلَيْهِ وَصاياهُمْ وَوَدائِعُهُمْ تُسْأَلُ الْعَشيرَةُ عَنْهُ فَتَقولُ : مَنْ مِثْلُ فُلانٍ ؟ ! إِنَّهُ لَآدانا لِلْأَمانَةِ ، وَأَصْدَقُنا لِلْحَديثِ »(٣).

---

(١) هود ١١ : ١٩.

(٢) الاختصاص : ٢٢٥.

(٣) اُصول الكافي : ٢ : ٦٣٦.

لقد أوصاهم بكلّ ما يسمو به الإنسان من المثل العليا ، والقيم الكريمة التي يكونوا بها من مفاخر المجتمع ، ومن حسنات جيلهم ، والتي تسجّل الفخر والاعتزاز للإمام الصادق عليه السلام لانتسابهم إليه وكونهم من شيعته ، كما حذّرهم من الصفات الذميمة ، والخصال الكريهة التي تهبط بهم إلى مستوى سحيق .

١١ ـ روى أبو الربيع الشامي ، قال : « دخلت على أبي عبدالله عليه السلام والبيت غاصّ بأهله ، فيه الخراساني والشامي ، ومن أهل الآفاق ، فلم أجد موضعاً أقعد فيه ، فجلس أبو عبدالله عليه السلام وكان متّكئاً .

ثمّ قال : « **يا شيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ ، اعْلَموا أَنَّهُ لَيْسَ مِنّا مَنْ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ عِنْدَ غَضَبِهِ ، وَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ صُحْبَةَ مَنْ صَحِبَهُ ، وَمُخالَقَةَ**[1] **مَنْ خالَقَهُ ، وَمُرافَقَةَ مَنْ رافَقَهُ ، وَمُجاوَرَةَ مَنْ جاوَرَهُ ، وَمُمالَحَةَ مَنْ مالَحَهُ .**

يا شيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ ، اتَّقوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ »[2] .

وأوصى الإمام عليه السلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات التي يشرف بها الإنسان ليكونوا قدوة حسنة لأمم العالم ، وشعوب الأرض .

وصيّته لولده الكاظم عليه السلام

وزوّد الإمام الصادق عليه السلام ولده الإمام الكاظم عليه السلام بهذه الوصيّه القيّمة الحافلة بجوهر الحكم والآداب ، وكان منها ما يلي : « **يا بُنَيَّ ، إِقْبَلْ وَصِيَّتي ، وَاحْفَظْ مَقالَتي ، فَإِنَّكَ إِنْ حَفِظْتَها تَعيشُ سَعيداً ، وَتَموتُ حَميداً .**

يا بُنَيَّ ، مَنْ رَضِيَ بِما قُسِمَ لَهُ اسْتَغْنىٰ ، وَمَنْ مَدَّ عَيْنَهُ إِلىٰ ما في يَدِ غَيْرِهِ ماتَ فَقيراً ،

---

(١) **المخالقة** : المجاملة .

(٢) أصول الكافي : ٢ : ٦٣٧ .

وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِما قَسَمَهُ اللهُ لَهُ اتَّهَمَ اللهَ في قَضائِهِ ، وَمَنِ اسْتَصْغَرَ زَلَّةَ نَفْسِهِ اسْتَعْظَمَ زَلَّةَ غَيْرِهِ .

يا بُنَيَّ ، مَنْ كَشَفَ حِجابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَتْ عوراتُ بَيْتِهِ ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ ، وَمَنِ احْتَفَرَ لأَخيهِ بِئْراً سَقَطَ فيها ، وَمَنْ داخَلَ السُّفهاءِ حُقِّرَ ، وَمَنْ خالَطَ الْعُلَماءَ وُقِّرَ ، وَمَنْ دَخَلَ مَداخِلَ السّوءِ اتُّهِمْ .

يا بُنَيَّ ، إيّاكَ أَنْ تُزْري بِالرِّجالِ فَيُزْرىٰ بِكَ ، وَإيّاكَ وَالدُّخولَ فيما لَا يُعْنيكَ فَتَذِلَّ لِذلِكَ .

يا بُنَيَّ ، قُلِ الْحَقَّ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ تُسْتَشأَنُ مِنْ بَيْنِ أَقْرانِكَ .

يا بُنَيَّ ، كُنْ لِكِتابِ اللهِ تالياً ، وَلِلسَّلامِ فاشِياً ، وَبِالْمَعْروفِ آمِراً ، وَعَنِ الْمُنْكَرِ ناهِياً ، وَلِمَنْ قَطَعَكَ واصِلاً ، وَلِمَنْ سَكَتَ عَنْكَ مُبْتَدِئاً ، وَلِمَنْ سَأَلَكَ مُعْطِياً ، وَإيّاكَ وَالنَّميمَةَ ، فَإنَّها تَزْرَعُ الشَّحْناءَ في قُلوبِ الرِّجالِ . وَإيّاكَ وَالتَّعَرُّضِ لِعيوبِ النّاسِ ، فَمَنْزِلَةُ الْمُتَعَرِّضِ لِعُيوبِ النّاسِ بِمَنْزِلَةِ الْهَدَفِ .

يا بُنَيَّ ، إذا طَلَبْتَ الْجودَ فَعَلَيْكَ بِمَعادِنِهِ ، فَإنَّ لِلْجودِ مَعادِنَ ، وَلِلْمَعادِنِ أُصولاً ، وَلِلأُصولِ فُروعاً ، وَلِلْفُروعِ ثَمَراً ، وَلَا يَطيبُ ثَمَرٌ إلّا بِأُصولٍ ، وَلَا أَصْلَ ثابِتٍ إلّا بِمَعْدَنٍ طَيِّبٍ .

يا بُنَيَّ ، إنْ زُرْتَ فَزُرِ الأَخْيارَ ، وَلَا تَزُرِ الْفُجّارَ ، فَإنَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ صَخْرَةٍ لَا يَفْجُرُ ماؤُها ، وَشَجَرَةٍ لَا يَخْضَرُّ وَرَقُها ، وَأَرْضٍ لَا يَظْهَرُ عُشْبُها » .

وسار الإمام الكاظم عليه السلام على ضوء هذه الوصيّة ، وطبّق جميع بنودها إلى أن توفّي [(١)] .

(١) حلية الأولياء : ٣ : ١٩٥ و ١٩٦ . جمهرة الأولياء : ٢ : ٧٦ .

وحكت هذه الوصيّة قواعد التربية الإسلاميّة المشرقة التي تسمو بالإنسان إلى مستوى رفيع من الآداب والفضائل.

لقد كانت هذه الوصيّة نفحة من نفحات الإمامة، فقد وضعت المنهاج السليم لما يسعد به الإنسان في هذه الحياة، ولا يصاب بنكد ولا بقلق واضطراب نفسي، فإنّ أغلب هذه المواد التي حذّر منها الإمام عليه السلام نسب المشاكل والمتاعب للإنسان.

وصيّته عليه السلام لأصحابه

١ ـ من وصاياه القيّمة لأصحابه هذه الوصيّة، قال عليه السلام:

«وَإِيّاكُمْ وَالتَّجَبُّرَ عَلَى اللهِ، وَاعْلَموا أَنَّ عَبْداً لَمْ يُبْتَلَ بِالتَّجَبُّرِ عَلَى اللهِ إِلَّا تَجَبَّرَ عَلىٰ دينِ اللهِ، فَاسْتَقيموا لِلهِ، وَلَا تَرْتَدّوا عَلىٰ أَدْبارِكُمْ فَتَنْقَلِبوا خاسرينَ، أَجارَنا اللهُ وَإِيّاكُمْ مِنَ التَّجَبُّرِ عَلَى اللهِ»[1].

إنّ التجبّر على الله مروق من الدين، وتمرّد على الله خالق الكون وواهب الحياة، وأنّ من يبتلى بهذا الداء فلا فكر ولا رأي له.

٢ ـ ومن وصاياه عليه السلام الرفيعة هذه الوصيّة، وقد أتحف بها أصحابه، وفيما يلي بعض بنودها:

«إِيّاكُمْ أَنْ يَبْغي بَعْضُكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ، فَإِنَّها لَيْسَتْ مِنْ خِصالِ الصّالِحينَ، فَإِنَّهُ مَنْ بَغىٰ صَيَّرَ اللهُ بَغْيَهُ عَلىٰ نَفْسِهِ، وَصارَتْ نُصْرَةُ اللهِ لِمَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ، وَمَنْ نَصَرَهُ اللهُ غَلَبَ، وَأَصابَ الظَّفَرَ مِنَ اللهِ»[2].

---

(١) وسائل الشيعة: ١١: ٣٠٣.

(٢) وسائل الشيعة: ١١: ٣٢٣.

إنّ البغي يفرق ويفصم عرى الوحدة ، ويورث الكراهية والبغضاء ، ويلقي الناس في شرّ عظيم ، وقد حذّر الإمام عليه السلام منه ، واعتبره من المواد التخريبيّة في الهيئة الاجتماعيّة التي يحرص الإمام على وحدتها وأصالتها .

٣ ـ وزوّد الإمام عليه السلام جمهرة من أصحابه بهذه الوصيّة القيّمة . قال عليه السلام :

« تَزاوروا ، فَإِنَّ في زِيارَتِكُمْ إِحْياءً لِقُلوبِكُمْ ، وَذِكْراً لأَحاديثِنا ، وَأَحاديثُنا تَعْطِفُ بَعْضَكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ ، فَإِنْ أَخَذْتُمْ بِها رَشَدْتُمْ وَنَجَوْتُمْ ، وَإِنْ تَرَكْتُموها ضَلَلْتُمْ وَهَلَكْتُمْ ، فَخُذوا بِها ، وَأَنا بِنَجاتِكُمْ زَعيمٌ »[1] .

لقد أوصى الإمام عليه السلام شيعته بالتزاور والتآلف لربط بعضهم مع بعض ، ليكونوا يداً واحدة ، وبالإضافة لذلك فإنّ التزاور إحياءٌ لمبادئ أهل البيت عليهم السلام ، وإشاعة لتعاليمهم الهادفة إلى خير الناس .

وصيّته عليه السلام لأبي بصير

وأوصى الإمام عليه السلام تلميذه الفقيه العالم أبا بصير الأسدي الكوفي بهذه الوصيّة القيّمة ، قال عليه السلام له :

« يا أَبا مُحَمَّدٍ ، لَا تُفَتِّشِ النّاسَ عَنْ أَدْيانِهِمْ فَتَبْقىٰ بِلَا صَديقٍ »[2] .

ووضع الإمام عليه السلام المنهج الكامل للصداقة ، فقد نهى عن التفتيش عن دين الصديق ، وأفكاره المذهبيّة لأنّ ذلك يؤدّي إلى النزاع والصراع ممّا يفقد الصداقة ، ويبقي الإنسان بلا صديق .

---

(١) وسائل الشيعة : ١٨ : ٦١.

(٢) تحف العقول : ٣٦٩.

وصيّته عليه السلام لبسطام

ووفد بسطام بن سابور وهو من أهل الجبل على الإمام الصادق عليه السلام ، فقال له :

يا أَخا أَهْلِ الْجَبَلِ ، ما شَيْءٌ أَحَبُّ إِلى اللهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ ، وَما عِنْدَ اللهُ شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنْ عِفَّةِ بَطْنٍ ، أَوْ فَرَجٍ ، وَأَنَّ الدُّعاءَ لَيَرُدُّ الْقَضاءَ وَقَدْ أُبْرِمَ إِبْراماً » .

وفرح بسطام بهذه الوصيّة ، والتقى بمصادف ، فقال له : لقد سمعت من أبي عبدالله عليه السلام اليوم شيئاً لو رحل فيه إلى الشام لكان يسيراً »[١] .

لقد أوصاه الإمام عليه السلام بأثمن وأغلى ما في هذه الحياة ، وأوصاه بعفّة البطن والفرج عمّا حرّم الله تعالى ، وهي من موجبات المغفرة والفوز بالفردوس الأعلى .

وصيّته عليه السلام لجابر بن حيّان

وزوّد الإمام الصادق عليه السلام تلميذه جابر بن حيّان العالم الكيمياوي بهذه الوصيّة القيّمة ، قال عليه السلام :

« يا جابِرُ ، الْمُؤْمِنُ بِاللهِ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَصْرِفَ مالَ اللهِ إِلَّا في اللهِ .

يا جابِرُ ، أَتُفَضِّلُ الظُّلْمَةَ عَلَى النّورِ ؟ أَتَجْعَلُ الْمُؤْمِنينَ وَالْكافِرِينَ سَواءً ؟ أَتُساوي أَصْحابَ النّارِ بِأَصْحابِ الْجَنَّةِ ؟

اعْلَمْ أَنَّ هاهنا ـ وأشار إلى صدره الشريف ـ **عِلْماً لَوْ أَظْهَرْتُهُ لَتَزَوَّدْتَ مِنْهُ إِلىٰ آخِرَتِكَ ، وَعَمِلْتَ مَعَ إِخْوانِكَ الْمُؤْمِنينَ الَّذينَ بِهِمْ نَجاتُكَ وَصَفْوَتُكَ .**

يا جابِرُ ، إِيّاكَ أَنْ تُفَضِّلَ عَلىٰ أَخيكَ الْمُؤْمِنِ أَحَداً فَتَكونَ مِنَ الضّالّينَ »[٢] .

---

(١) الغايات : ٧.

(٢) الجعفريّات : ٢٧ و ٢٨.

وألمح الإمام عليه السلام في المقطع الأوّل من حديثه إلى بند من بنود الاقتصاد الإسلامي ، وهو أنّ مال الله يجب على المؤمن أن ينفقه فيما يرضي الله تعالى ، كتشييد المدارس والمستشفيات وغير ذلك ممّا ينتفع به قطاعات الشعب ، وكالإنفاق على البؤساء والمحرومين ، ولا يجوز بأي حال أن ينفق على ما لا يرضي الله تعالى ، كالإنفاق على الشهوات وما يفسد الناس .

وصيّته للحسن بن راشد

وأوصى الإمام عليه السلام الحسن بن راشد بهذه الوصيّة القيّمة . قال عليه السلام له :

« يا حَسَنُ ، إذا نَزَلَتْ بِكَ نازِلَةٌ ، فَلا تَشْكِها إلىٰ أحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْخِلافِ ، وَلَكِنِ اذْكُرْها لِبَعْضِ إخْوانِكَ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْدِمَ خِصْلَةً مِنْ أَرْبَعِ خِصالٍ : إمّا كِفايَةً ، وَإِمّا مَعونَةً بِجاهٍ ، أَوْ دَعْوَةً تُسْتَجابُ ، وَإِمّا مَشورَةً بِرَأْيٍ »[١] .

لقد أوصاه بالرجوع إلى إخوانه فيما إذا نزلت به كارثة من كوارث الأيّام ، ونهاه من الرجوع إلى الذين لا يشاركونه في عقيدته ، فإنّهم لا يمنحونه الودّ ولا النصيحة .

وصيّته لحفص بن غياث[٢]

١ ـ أوصى الإمام عليه السلام تلميذه حفص بن غياث بهذه الوصيّة القيّمة ، وقد جاء فيها :

« إنْ قَدَرْتُمْ أَنْ لَا تُعْرَفوا فَافْعَلوا ، وَما عَلَيْكَ أَنْ لَا يُثْنِ النّاسُ عَلَيْكَ ، وَما عَلَيْكَ أَنْ تَكونَ مَذْموماً عِنْدَ النّاسِ إذا كُنْتَ عِنْدَ اللهِ مَحْموداً .

---

(١) مجموعة ورّام : ٢ : ٤٩ .

(٢) حفص بن غياث النخعي (المتوفّى ١٩٤هـ) أحد الأعلام . روى عن الإمام الصادق عليه السلام ، خرّج حديثه أصحاب الصحاح الستّة .

إلى أن قال: إنْ قَدَرْتَ علىٰ أَنْ لا تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِكَ فافْعَلْ، فإنَّ عَلَيْكَ في خُروجِكَ أنْ لا تَغْتابَ، ولا تَكْذِبَ، ولا تَحْسِدَ، ولا تُرائِيَ، ولا تَتَصَنَّعَ، ولا تُداهِنَ..».

ثمّ قال: «نِعْمَ صَوْمَعَةُ الْمُسْلِمِ بَيْتُهُ، يَكُفُّ فيهِ بَصَرَهُ، ولِسانَهُ، ونَفْسَهُ، وفَرْجَهُ»(١).

وحفلت هذه الوصيّة بالنصائح القيّمة التي تضمن للإنسان المسلم سلامته في دينه، وتجنّبه من الوقوع فيما حرّم الله تعالى من الموبقات والآثام.

٢ ـ ومن وصايا الإمام عليه السلام القيّمة هذه الوصيّة، وقد وجّهها لحفص بن غياث، وهذا نصّها: «يا حَفْصُ، إنَّ مَنْ صَبَرَ صَبَرَ قَليلاً، وإنَّ مَنْ جَزَعَ جَزَعَ قَليلاً.. عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ في جَميعِ أُمورِكَ، فإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله فَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ وَالرِّفْقِ، فَقالَ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾(٢)، ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ﴾(٣).

وَقالَ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(٤)، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٥)، فَصَبَرَ حَتّىٰ نالوهُ بِالْعَظائِمِ، وَرَمَوْهُ بِها، فَضاقَ صَدْرُهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾(٦).

ثُمَّ كَذَّبوهُ وَرَمَوْهُ فَحَزِنَ لِذلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ

---

(١) وسائل الشيعة: ١١: ٢٨٣.

(٢) المزمّل ٧٣: ١٠.

(٣) المزمّل ٧٣: ١١.

(٤) فصّلت ٤١: ٣٤.

(٥) فصّلت ٤١: ٣٥.

(٦) الحجر ١٥: ٩٧ و ٩٨.

فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾[١]، ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾[٢]، فَأَلْزَمَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله الصَّبْرَ فتعدّوا، فذكروا اللهَ تبارَكَ وَتعالىٰ فكذَّبوهُ، فقالَ: قَدْ صَبَرْتُ في نَفْسي وَأَهْلي وَعِرضي، وَلَا صَبْرَ لي عَلىٰ ذِكْرِ إلهي، فأَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾[٣]، ثُمَّ بُشِّرَ في عِتْرَتِهِ بالأَئمَّةِ عليهم السلام وَوُصِفوا بالصَّبْرِ فقالَ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[٤].

فَعِنْدَ ذلِكَ قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: الصَّبْرُ مِنَ الإيمانِ كالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَشَكَرَ اللهُ ذلِكَ لَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾[٥]، فقالَ: إنَّهُ بُشْرىٰ وَانْتِقامٌ، فَأَباحَ اللهُ لَهُ قِتالَ الْمُشْرِكينَ، فأَنْزَلَ اللهُ ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾[٦].

فَقَتَلَهُمُ اللهُ عَلىٰ يَدَيْ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَأَحِبّائِهِ، وَجَعَلَ لَهُ ثَوابَ صَبْرِهِ مَعَ ما ادَّخَرَ لَهُ في الآخِرَةِ، فَمَنْ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيا حَتّىٰ يُقِرَّ اللهُ عَيْنَهُ في أَعْدائِهِ مَعَ ما يَدَّخِرُ لَهُ في الآخِرَةِ»[٧].

---

(١) الأنعام ٦: ٣٣.

(٢) الأنعام ٦: ٣٤.

(٣) طه ٢٠: ١٣٠. ق ٥٠: ٣٩.

(٤) السجدة ٣٢: ٢٤.

(٥) الأعراف ٧: ١٣٧.

(٦) التوبة ٩: ٥.

(٧) وسائل الشيعة: ١١: ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

وحكى هذا الحديث ما ألمّ بالرسول ﷺ من عظيم المحن والخطوب ، حينما بشّر برسالته الخلّاقة الداعية إلى تحرير إرادة الإنسان وضميره وفكره من خرافات الوثنيّة وعادات الجاهليّة ، فقابلته العصابات المجرمة بصنوف مروّعة من الأذى ، فصبر على ذلك كأعظم ما يكون الصبر ، ولم ينقطع عن أداء رسالته حتّى نصره الله النصر المبين ، وفتح له الدنيا لتستقبل مبادئه ، وتؤمن بأفكاره ، وكان ذلك من ثمرات الصبر ، ومن نتائجه المباشرة .

وصيّته عليه السلام لحمّاد

وأوصى الإمام الصادق عليه السلام تلميذه حمّاد بهذه الوصيّة القيّمة ، قال عليه السلام له :

«كُنْ - يا حَمّادُ - طالِباً لِلْعِلْمِ في آناءِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَقَرَّ عَيْنُكَ ، وَتَنالَ خَيْرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ ، فَاقْطَعِ الطَّمَعَ مِمّا في أَيْدي النّاسِ ، وَعِدَّ نَفْسَكَ في الْمَوْتىٰ ، وَلا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ أَنَّكَ فَوْقَ أَحَدٍ مِنَ النّاسِ ، وَاخْزِنْ لِسانَكَ كَما تَخْزِنُ مالَكَ»(١) .

وحفلت هذه الوصيّة القيّمة بما يلي من النصائح الرفيعة :

١ - الحثّ على طلب العلم ، وأن يشغل نفسه به في جميع أوقاته ، ولا يخلد إلى السكون والراحة .

٢ - التحذير من الطمع ممّا في أيدي النّاس ، فإنّه يسلبه حريّته وإرادته ، ويجعله عبداً لغيره .

٣ - عدم الاستعلاء على أي أحد من الناس ، فإنّ الكبرياء والتكبّر من الآفات النفسيّة التي تورد الإنسان موارد الهلكة .

٤ - قفل اللسان وخزنه ، فإنّه أسلم للإنسان ، وأضمن لحياته من الوقوع في

---

(١) الاثني عشريّة : ٧٠.

الأحداث والمشاكل .

وصيّته لحمران بن أعين

وأوصى الإمام عليه السلام تلميذه حمران بن أعين بهذه الوصيّة القيّمة ، قال عليه السلام :

« يا حُمْرانُ ، انْظُرْ إلىٰ مَنْ هُوَ دونَكَ في الْمَقْدِرَةِ ، وَلَا تَنْظُرْ إلىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ ، فَإنَّ ذٰلِكَ أَقْنَعُ لَكَ بِما قَسَمَ اللهُ لَكَ ، وَأَحْرىٰ أَنْ تَسْتَوْجِبَ الزِّيادَةَ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَمَلَ الدّائِمَ الْقَليلَ عَلَى الْيَقينِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعَمَلِ الْكَثيرِ عَلىٰ غَيْرِ يَقينٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا وَرَعَ أَنْفَعُ مِنْ تَجَنُّبِ مَحارِمِ اللهِ ، وَالْكَفِّ عَنْ أَذَى الْمُؤْمِنينَ وَاغْتِيابِهِمْ ، وَلَا عَيْشَ أَهْنَأُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَلَا مالَ أَنْفَعُ مِنَ الْقَناعَةِ بِالْيَسيرِ الْمُجْزِئَ ، وَلَا جَهْلَ أَضَرَّ مِنَ الْعُجْبِ »[١] .

وحفلت هذه الوصيّة بأثمن وأغلى النصائح التي تضمن للإنسان سعادته ، وتكامل شخصيّته ، فقد أوصاه بالقناعة التي هي كنز لا يفنى ، وأوصاه بالورع عن محارم الله الذي هو أساس التقوى ، وأوصاه بالكفّ عن أذى المؤمنين وغيرهم ، فإنّ عدم ذلك يعود بالأضرار البالغة عليه ،كما أوصاه بحسن الأخلاق الذي يتميّز به الإنسان ويسمو على غيره .

حقّاً لقد كانت هذه الوصيّة من ذخائر وصايا أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، فهي تهدف إلى تهذيب الإنسان واستقامته وحسن سلوكه .

وصاياه لسفيان

وتشرّف سفيان الثوري غير مرّة بمقابلة الإمام الصادق عليه السلام ، وكان يطلب منه

---

(١) تحف العقول : ٣٦٠.

المزيد من نصائحه ووصاياه ، وقد زوّده الإمام بكوكبة من الوصايا ، كان منها ما يلي :

١ ـ التقى سفيان الثوري بالإمام الصادق عليه السلام وطلب من الإمام أن يتفضّل عليه بوصيّة ، فقال عليه السلام له : **ما كَثْرَةُ الْحَديثِ لَكَ بِخَيْرٍ يا سُفْيانُ ، إذا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ بِنِعْمَةٍ فَأَحْبَبْتَ بَقاءَها وَدَوامَها فَأَكْثِرْ مِنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ عَلَيْها ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قالَ في كِتابِهِ الْعَزيزِ : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾**(١) .

وَإِذا اسْتَبْطَأْتَ الرِّزْقَ فَأَكْثِرْ مِنَ الْإِسْتِغْفارِ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ قالَ في كِتابِهِ الْعَزيزِ : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾(٢) .

يا سُفْيانُ ، إذا أَحْزَنَكَ أَمْرٌ مِنْ سُلْطانٍ أَوْ غَيْرِهِ فَأَكْثِرْ مِنْ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، فَإِنَّها مِفْتاحُ الْفَرَجِ ، وَكَنْزٌ مِنْ كُنوزِ الْجَنَّةِ » .

وبهر سفيان وراح يقول : ثلاث ، وأيّ ثلاث .

والتفت إليه الإمام عليه السلام وقال : **عَقَلَها وَاللهِ أَبو عَبْدِاللهِ ، وَلَيَنْفَعَهُ اللهُ بِها »**(٣) .

ومثّلت هذه الوصيّة حقيقة الانقطاع إلى الله ، والاعتصام به ، فهو تعالى مصدر كلّ خير ، فإذا التجأ إليه الإنسان فإنّه تعالى يكشف ما ألمّ به ويفرّج عنه .

٢ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام لسفيان الثوري : **« يا سُفْيانُ ، خِصْلَتانِ مَنْ لَزِمَهُما دَخَلَ الْجَنَّةَ .**

---

(١) إبراهيم ١٤ : ٧.

(٢) نوح ٧١ : ١٠ ـ ١٢.

(٣) جمهرة الأولياء : ٢ : ٧٥. حلية الأولياء : ٣ : ١٩٣. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان : ٥ : ١٦٦ (مصوّر بمكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) . الاتحاف بحبّ الأشراف : ٥٤.

وسارع سفيان قائلاً: وما هما يابن رسول الله ؟

- احْتِمالُ ما تَكْرَهُهُ إذا أَحَبَّهُ اللهُ، وَتَرْكُ ما تُحِبُّ إذا أَبْغَضَهُ اللهُ، فاعْمَلْ بِهِما وَأَنا شَريكُكَ »[١].

ومعنى الخصلة الأُولى من هذا الحديث: أنّ الله تعالى فرض على العباد كثيراً من الواجبات لا تميل إليها النفوس لأنّ فيها كلفة ومشقّة كالجهاد في سبيل الله، وكالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومثل الضرائب الماليّة كالخمس والزكاة، فإذا أرغم العبد نفسه على ذلك، فقد استوجب مغفرة الله.

وأمّا معنى الخصلة الثانية: أنّ الإنسان إذا ترك رغائبه النفسيّة من الشهوات واللذّات التي حرّمها الله، فقد ظفر برضوان الله والفوز بالجنّة.

٣ - التقى سفيان بالإمام الصادق عليه السلام فقال له: يابن رسول الله، أوصني.

فقال عليه السلام: **يا سُفْيانُ، لا مُروءَةَ لِكَذوبٍ، وَلا أَخَ لِمَلولٍ، وَلا راحَةَ لِحَسودٍ، وَلا سُؤْدَدَ لِسَيِّءِ الْخُلُقِ.**

وطلب سفيان المزيد من هذه الدرر التي أدلى بها الإمام قائلاً: يابن رسول الله، زدني.

فقال عليه السلام: **اتَّقِ اللهَ تَكُنْ مُؤْمِناً، وَأَرْضَ بِما قَسَمَ اللهُ تَكُنْ غَنِيّاً، وَأَحْسِنْ مُجاوَرَةَ مَنْ جاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِماً، وَلا تَصْحَبِ الْفاجِرَ يُعَلِّمُكَ مِنْ فُجورِهِ، وَشاوِرْ في أَمْرِكَ الَّذينَ يَخْشَوْنَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ.**

وراح سفيان يتضرّع للإمام طالباً منه المزيد من هذه الجواهر، فقال عليه السلام: **يا سُفْيانُ، مَنْ أَرادَ عِزّاً بِلا عَشيرَةٍ، وَغِنىً بِلا مالٍ، وَهَيْبَةً بِلا سُلْطانٍ فَلْيَنْتَقِلْ مِنْ**

---

(١) الاثني عشريّة في المواعظ العدديّة: ٣٢.

ذُلِّ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلىٰ عِزِّ طاعَتِهِ »[١].

حقّاً أنّ هذه القيم تحفظ الإنسان من السلوك في المنعطفات ، وتضمن له حياة سعيدة حافلة بالشرف والعزّة والكرامة . هذه بعض الوصايا التي زوّد بها الإمام عليه السلام سفيان الثوري .

وصيّته لسماعة

ووقعت مشادّة بين سماعة وجمّاله ، وبلغ ذلك الإمام الصادق عليه السلام وتشرّف سماعة بمقابلة الإمام ، فقال عليه السلام له : « **يا سُماعَةُ ، ما هٰذَا الَّذي كانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ جَمّالِكَ ؟ إِيّاكَ أَنْ تَكونَ فَحّاشاً أَوْ سَخّاباً**[٢] **أَوْ لَعّاناً** .

فقال سماعة بصوت خافت : والله لقد كان ذلك ، إنّه ظلمني .

وراح الإمام عليه السلام يوصيه بمكارم الأخلاق قائلاً: **إِنْ كانَ ظَلَمَكَ لَقَدْ أَرْبَيْتَ عَلَيْهِ ، إِنَّ هٰذا لَيْسَ مِنْ فِعالي ، وَلَا آمُرُ بِهِ شيعَتي ، اسْتَغْفِرْ رَبَّكَ ، وَلَا تَعُدْ** .

ويادر سماعة فاستغفر الله ، وأعلن الندم والتوبة »[٣].

لقد أراد الإمام عليه السلام من شيعته أن يتحلّوا بالصفات الكريمة ، والمثل العليا ، ويجتنبوا كلّ ما يشين بالمرء من الصفات الذميمة .

وصيّته لعبدالرحمن

ومن وصاياه عليه السلام القيّمة هذه الوصيّة التي أتحف بها عبدالرحمن بن الحجّاج ،

---

(١) بحار الأنوار : ٧١ : ١٧٨ ، الحديث ٢٦ و : ٧٨ : ١٩٢ ، الحديث ٦ .

(٢) **السخب** : شدّة الصوت من تصاخب القوم إذا تصايحوا وتضاربوا ـ مجمع البحرين .

(٣) مجموعة ورّام : ٢ : ٢٠٧ .

قال عليه السلام له: «**إِيّاكَ وَخِصْلَتَيْنِ مُهْلِكَتَيْنِ: أَنْ تُفْتِي النّاسَ بِرَأْيِك، وَأَنْ تَقولَ ما لا تَعْلَمُ**»(١).

ولا شكّ أنّ هاتين الخصلتين اللتين حذّر منهما الإمام عليه السلام من موجبات الهلكة ومن المرديات في النار.

وصيّته لعبدالله بن جندب

وطلب المومن الفذّ عبدالله بن جندب من سليل النبوّة الإمام الصادق عليه السلام أن يتفضّل عليه بوصيّة تذكّره الله والدار الآخرة، وتبعده عن شرور الدنيا، فأجابه عليه السلام إلى ذلك، وعهد إليه بهذه الوصيّة القيّمة التي هي من غرر وصايا أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وهذا نصّها:

يا عَبْدَاللهِ، لَقَدْ نَصَبَ إِبْليسُ حَبائِلَهُ في دارِ الْغُرورِ، فَما يَقْصِدُ فيها إِلّا أَوْلياءَنا، وَلَقَدْ جَلَّتِ الْآخِرَةُ في أَعْيُنِهِمْ حَتّىٰ ما يُريدُونَ بِها بَدَلاً.

ثمّ قال: **آهٍ آهٍ عَلىٰ قُلوبٍ حُشِيَتْ نوراً، وَإِنَّما كانَتِ الدُّنْيا عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الشُّجاعِ الْأَرْقَمِ**(٢)**، وَالْعَدوِّ الْأَعْجَمِ، أَنِسُوا بِاللهِ، وَاسْتَوْحَشوا مِمّا بِهِ اسْتَأْنَسَ الْمُتْرَفونَ، أُوْلئِكَ أَوْليائي حَقّاً، وَبِهِمْ تُكْشَفُ كُلُّ فِتْنَةٍ، وَتُرْفَعُ كُلُّ بَلِيَّةٍ.**

يابْنَ جُنْدَبٍ، حَقٌّ عَلىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ يَعْرِفُنا أَنْ يَعْرِضَ عَمَلَهُ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَلىٰ نَفْسِهِ، فَيَكونَ مُحاسِباً نَفْسَهِ، فَإِنْ رَأَىٰ حَسَنَةً اسْتَزادَ مِنْها، وَإِنْ رَأَىٰ سَيِّئَةً اسْتَغْفَرَ مِنْها، لِئَلّا يَخْزىٰ يَوْمَ الْقِيامَةِ.

---

(١) المحاسن: ٥٨.

(٢) **الشجاع**: الحيّة العظيمة. **الأرقم**: الحيّة التي فيها سواد وبياض، وهو من أخبث الحيّات.

طُوبىٰ لِعَبْدٍ لَمْ يَغْبطِ الْخاطِئينَ عَلىٰ ما أُوْتوا مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيا وَزَهْرَتِها . طُوبىٰ لِعَبْدٍ طَلَبَ الآخِرَةَ وَسَعىٰ لَها ، طُوبىٰ لِمَنْ لَمْ تُلْهِهِ الأَمانيُّ الْكاذِبَةِ .

ثمّ قال : رَحِمَ اللهُ قَوْماً كانوا سِراجاً وَمَناراً ، كانوا دُعاةً إِلَيْنا بِأَعْمالِهِمْ وَمَجْهودِ طاقَتِهِمْ ، لَيْسَ كَمَنْ يُذيعُ أَسْرارَنا .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، إِنَّما الْمُؤْمِنونَ الَّذينَ يَخافونَ اللهَ ، وَيُشْفِقونَ أَنْ يُسْلَبوا ما أُعْطُوا مِنَ الْهُدىٰ ، فَإِذا ذَكَروا اللهَ وَنَعْماءَهُ وَجِلوا وَأَشْفَقُوا ، وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً مِمّا أَظْهَرَهُ مِنْ نَفاذِ قُدْرَتِهِ ، وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلونَ .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، قَديماً عَمِرَ الْجَهْلُ ، وَقَوىٰ أَساسُهُ ، وَذلِكَ لاتِّخاذِهِمْ دِينَ اللهِ لَعِباً حَتّىٰ لَقَدْ كانَ الْمُتَقَرِّبُ مِنْهُمْ إِلَى اللهِ بِعِلْمِهِ يريدُ سِواهُ ، أُوْلئِكَ هُمُ الظّالِمونَ .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، لَوْ أَنَّ شيعَتَنا اسْتَقاموا لَصافَحَتْهُمُ الْمَلائِكَةُ ، وَلَأَظَلَّهُمْ الْغَمامَ ، وَلَأَشْرَقوا نَهاراً ، وَلَأَكَلوا مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ، وَلَما سَأَلوا اللهَ شَيْئاً إِلّا أَعْطاهُمْ .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، لا تَقُلْ في الْمُذْنِبينَ مِنْ أَهْلِ دَعْوَتِكُمْ إِلّا خَيْراً ، وَاسْتَكينوا إِلَى اللهِ في تَوْفِيقِهِمْ ، وَسَلُوا التَّوْبَةَ لَهُمْ ، فَكُلُّ مَنْ قَصَدَنا وَوالانا ، وَلَمْ يُوالِ عَدُوَّنا ، وَقالَ ما يَعْلَمُ وَسَكَتَ عَمّا لا يَعْلَمُ أَوْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ فَهوَ في الْجَنَّةِ .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، يَهْلِكُ الْمُتَّكِلُ عَلىٰ عَمَلِهِ ، وَلا يَنْجو الْمُجْتَرِئُ عَلَى الذُّنوبِ ، الْواثِقُ بِرَحْمَةِ اللهِ .

فقال ابن جندب للإمام عليه السلام : فمن ينجو ؟

فقال عليه السلام : الَّذينَ هُمْ بَيْنَ الرَّجاءِ وَالْخَوْفِ ، كَأَنَّ قُلوبَهُمْ في مِخْلَبِ طائِرٍ شَوْقاً

إِلَى الثَّوابِ وَخَوْفاً مِنَ الْعَذابِ .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُزَوِّجَهُ اللهُ الْحُورَ الْعِينِ ، وَيُتَوِّجَهُ بِالنُّورِ فَلْيُدْخِلْ عَلىٰ أَخيهِ الْمُؤْمِنِ السُّرورَ .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، أَقِلَّ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ ، وَالْكَلامَ بِالنَّهارِ ، فَما في الْجَسَدِ شَيْءٌ أَقَلُّ شُكْراً مِنَ الْعَينِ وَاللِّسانِ ، فَإِنَّ أُمَّ سُلَيْمانَ قالَتْ لِسُلَيْمانَ عليه السلام : يا بُنَيَّ ، إِيّاكَ وَالنَّوْمَ فَإِنَّهُ يُفْقِرُكَ يَوْمَ يَحْتاجُ النّاسُ إِلىٰ أَعْمالِهِمْ .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، إِنَّ لِلشَّيْطانِ مَصائِدَ يَصْطادُ بِها ، فَتَحاموا شِباكَهُ وَمَصائِدَهُ .

فالتفت ابن جندب إلى الإمام عليه السلام فقال له : وما هي مصائده ؟

فقال عليه السلام : أَمّا مَصائِدُهُ فَصَدٌّ عَنْ بِرِّ الإِخْوانِ ، وَأَمّا شِباكُهُ فَنَوْمٌ عَن قَضاءِ الصَّلواتِ الَّتي فَرَضَها اللهُ ، أَما إِنَّهُ ما يُعْبَدُ اللهُ بِمِثْلِ نَقْلِ الْأَقْدامِ إِلىٰ بِرِّ الإِخْوانِ وَزِيارَتِهِمْ . وَيْلٌ لِلسّاهينَ عَنِ الصَّلَواتِ ، النّائِمينَ فِي الْخَلَواتِ ، الْمُسْتَهْزِئينَ بِاللهِ وَآياتِهِ فِي الْفَتَراتِ(١) ، أُوْلئِكَ الَّذينَ لا خَلاقَ لَهُمْ في الآخِرَةِ ، وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ ، وَلا يُزَكّيهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، مَنْ أَصْبَحَ مَهْموماً لِسِوىٰ فِكاكِ رَقَبَتِهِ ، فَقَدْ هَوَّنَ عَلَيْهِ الْجَليلَ ، وَرَغِبَ مِنْ رَبِّهِ فِي الرِّبْحِ الْحَقيرِ ، وَمَنْ غَشَّ أَخاهُ وَحَقَّرَهُ وَناواهُ(٢) جَعَلَ اللهُ النّارَ مَأْواهُ ، وَمَنْ حَسَدَ مُؤْمِناً انْماثَ الإيمانُ في قَلْبِهِ كَما يَنْماثُ الْمِلْحُ فِي الْماءِ .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، الْماشي في حاجَةِ أَخيهِ كَالسّاعِي بَيْنَ الصَّفا وَالْمَرْوَةِ ، وَقاضي

---

(١) في الفترات : أراد عليه السلام به زمان ضعف الدين ، وانهيار الأخلاق .

(٢) ناواه : عاداه .

حاجَتِهِ كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ في سَبيلِ اللهِ يَوْمَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ، وَما عَذَّبَ اللهُ أُمَّةً إِلَّا عِنْدَ اسْتِهانَتِهِمْ بِحُقوقِ فُقَراءِ إِخْوانِهِمْ.

يابْنَ جُنْدَبٍ، بَلِّغْ مَعاشِرَ شِيعَتِنا، وَقُلْ لَهُمْ: لَا تَذْهَبَنَّ بِكُمُ الْمَذاهِبُ، فَوَاللهِ لَا تُنالُ وِلايَتُنا إِلَّا بِالْوَرَعِ وَالْإجْتِهادِ في الدُّنْيا، وَمُواساةِ الْإِخْوانِ في اللهِ، وَلَيْسَ مِنْ شِيعَتِنا مَنْ يَظْلِمُ النّاسَ.

يابْنَ جُنْدَبٍ، إِنَّما شِيعَتُنا يُعْرَفونَ بِخِصالٍ شَتّىٰ: بِالسَّخاءِ، وَالْبَذْلِ لِلْإِخْوانِ، وَبِأَنْ يُصَلّوا الْخَمْسينَ لَيْلاً وَنَهاراً. شِيعَتُنا لَا يَهِرُّونَ هَريرَ الْكَلْبِ، وَلَا يَطْمَعونَ طَمَعَ الْغُرابِ، وَلَا يُجاوِرونَ لَنا عَدُوّاً، وَلَا يَسْأَلونَ لَنا مُبْغِضاً وَلَوْ ماتوا جوعاً. شِيعَتُنا لَا يَأْكُلونَ الْجِرِّي[1]، وَلَا يَمْسَحونَ عَلَى الْخُفَّيْنِ، وَيُحافِظونَ عَلَى الزَّوالِ، وَلَا يَشْرَبونَ مُسْكِراً.

ويهر ابن جندب من كلام الإمام، وراح يقول له: جعلت فداك، فأين أطلبهم؟

فقال عليه السلام: عَلىٰ رُؤوسِ الْجِبالِ، وَأَطْرافِ الْمُدُنِ، وَإِذا دَخَلْتَ مَدينَةً فَسَلْ عَمَّنْ لَا يُجاوِرُهُمْ وَلَا يُجاوِرونَهُ، فَذٰلِكَ مُؤْمِنٌ، كَما قالَ اللهُ: ﴿ وَجاءَ رَجُلٌ مِن اقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾[2]، وَاللهِ لَقَدْ كانَ حَبيبَ النَّجّارِ وَحْدَهُ.

يابْنَ جُنْدَبٍ، كُلُّ الذُّنوبِ مَغْفورَةٌ سِوى عُقوقِ أَهْلِ دَعْوَتِكَ، وَكُلُّ الْبِرِّ مَقْبولٌ إِلَّا ما كانَ رِياءً.

يابْنَ جُنْدَبٍ، أَحْبِبْ في اللهِ، وَاسْتَمْسِكْ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقىٰ، وَاعْتَصِمْ بِالْهُدىٰ يُقْبَلْ

---

(١) **الجري**: نوع من أنواع السمك ليست على فلوس، ومن الغريب أنّ الكلاب تعاف أكله.

(٢) يس ٣٦: ٢٠.

عَمَلَك ، فَإِنَّ اللهَ يَقولُ : « إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ »(١) ، فَلا يُقبَلُ إِلَّا الإِيمانُ ، وَلا إِيمانَ إِلَّا بِعَمَلٍ ، وَلا عَمَلَ إِلَّا بِيَقينٍ ، وَلا يَقينَ إِلَّا بِالْخُشوعِ ، وَمِلاكُها كُلِّها الْهُدىٰ ، فَمَنْ اهْتَدىٰ يُقْبَلُ عَمَلُهُ ، وَصَعِدَ إِلَى الْمَلَكُوتِ مُتَقَبَّلاً ﴿ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢) .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُجاوِرَ الْجَليلَ في دارِهِ ، وَتَسْكُنَ الْفِرْدوسَ في جِوارِهِ ، فَلْتَهُنْ عَلَيْكَ الدُّنْيا ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ نُصبَ عَيْنِك ، وَلا تَدَّخِرْ شَيْئاً لِغَدٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لَك ما قَدَّمْتَ ، وَعَلَيْك ما أَخَّرْتَ .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، مَنْ حَرَمَ نَفْسَهُ كَسْبَهُ فَإِنَّما يَجْمَعُ لِغَيْرِهِ ، وَمَنْ أَطاعَ هَواهُ فَقَدْ أَطاعَ عَدُوَّهُ . مَنْ يَثِقْ بِاللهِ يَكْفِهِ ما أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ دُنْياهُ وَآخِرَتِهِ ، وَيَحْفَظْ لَهُ ما غابَ عَنْهُ ، وَقَدْ عَجَزَ مَنْ لَمْ يُعِدَّ لِكُلِّ بَلاءٍ صَبْراً وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ شُكْراً ، وَلِكُلِّ عُسْرٍ يُسْراً .

صَبِّرْ نَفْسَك عِنْدَ كُلِّ بَلِيَّةٍ في وَلَدٍ أَوْ مالٍ أَوْ رَزِيَّةٍ ، فَإِنَّما يَقْبِضُ عارِيَتَهُ ، وَيَأْخُذُ هِبَتَهُ لِيَبْلو فيهِما صَبْرَك وَشُكْرَك ، وَارْجُ اللهَ رَجاءً لا يُجَرِّيك عَلىٰ مَعْصِيَتِهِ ، وَخِفْهُ خَوْفاً لا يُؤْيِسُك مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلا تَغْتَرَّ بِقَوْلِ الْجاهِلِ ، وَلا بِمَدْحِهِ فَتَكَبَّرَ وَتَجَبَّرَ وَتُعْجَبَ بِعَمَلِك ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الْعَمَلِ الْعِبادَةُ وَالتَّواضُعُ ، فَلا تُضَيِّعْ مالَك ، وَتُصْلِحَ مالَ غَيْرِك ما خَلَّفْتَهُ وَراءَ ظَهْرِك ، وَاقْنَعْ بِما قَسَمَهُ اللهُ لَك ، وَلا تَنْظُرْ إِلَّا إِلىٰ ما عِنْدَك ، وَلا تَتَمَنَّ ما لَسْتَ تَنالُهُ ، فَإِنَّ مَنْ قَنِعَ شَبِعَ ، وَمَنْ لَمْ يَقْنَعْ لَمْ يَشْبَعْ ، وَخُذْ حَظَّك مِنْ آخِرَتِك ، وَلا تَكُنْ بَطِراً في الْغِنىٰ ، وَلا جَزِعاً في الْفَقْرِ ، وَلا تَكُنْ فَظّاً غَليظاً يَكْرَهُ النّاسُ قُرْبَك ،

---

(١) الآية هكذا : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ طه ٢٠ : ٨٢.

(٢) البقرة ٢ : ٢١٣ . النور ٢٤ : ٤٦.

وَلَا تَكُنْ واهِناً يُحَقِّرُكَ مَنْ عَرَفَكَ ، وَلَا تُشارَّ[١] مَنْ فَوْقَكَ ، وَلَا تَسْخَرْ بِمَنْ هُوَ دُونَكَ ، وَلَا تُنازِعِ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ، وَلَا تُطِعِ السُّفَهاءَ ، وَلَا تَكُنْ مَهِيناً تَحْتَ كُلِّ أَحَدٍ ، وَلَا تَتَّكِلَنَّ عَلىٰ كِفايَةِ أَحَدٍ ، وَقِفْ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ حَتّىٰ تَعْرِفَ مَدْخَلَهُ مِنْ مَخْرَجِهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فيهِ فَتَنْدَمَ ، وَاجْعَلْ قَلْبَكَ قَرِيباً تُشارِكُهُ ، وَاجْعَلْ عَمَلَكَ والِداً تَتَّبِعُهُ ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ عَدُوّاً تُجاهِدُهُ ، وَعارِيَةً تَرُدُّها ، فَإِنَّكَ قَدْ جُعِلْتَ طَبِيبَ نَفْسِكَ وَعُرِّفْتَ آيَةَ الصِّحَّةِ ، وَبُيِّنَ لَكَ الدّاءُ ، وَدُلِلْتَ عَلَى الدَّواءِ ، فَانْظُرْ قِيامَكَ عَلىٰ نَفْسِكَ ، وَإِنْ كانَتْ لَكَ يَدٌ عِنْدَ إِنْسانٍ فَلَا تُفْسِدْها بِكَثْرَةِ الْمَنِّ وَالذِّكْرِ لَها ، وَلٰكِنِ اتْبِعْها بِأَفْضَلِ مِنْها ، فَإِنَّ ذٰلِكَ أَجْمَلُ بِكَ في أَخْلاقِكَ ، وَأَوْجَبُ لِلثَّوابِ في آخِرَتِكَ ، وَعَلَيْكَ بِالصَّمْتِ تُعَدَّ حَلِيماً - جاهِلاً كُنْتَ أَوْ عالِماً - فَإِنَّ الصَّمْتَ زَيْنٌ لَكَ عِنْدَ الْعُلَماءِ ، وَسِتْرٌ لَكَ عِنْدَ الْجُهّالِ .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، إِنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عليه السلام قالَ لِأَصْحابِهِ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِأَخِيهِ فَرَأىٰ ثَوْبَهُ قَدِ انْكَشَفَ عَنْ بَعْضِ عَوْرَتِهِ أَكانَ كاشِفاً عَنْها كُلَّها أَمْ يَرُدُّ عَلَيْها ما انْكَشَفَ مِنْها ؟

قالوا : بَلْ نَرُدُّ عَلَيْها .

قالَ : كَلّا بَلْ تَكْشِفونَ عَنْها كُلَّها ، فَعَرَفوا أَنَّهُ مَثَلٌ ضَرَبَهُ لَهُمْ ، فَقِيلَ : يا رُوحَ اللهِ ، وَكَيْفَ ذٰلِكَ ؟

فَقالَ : الرَّجُلُ مِنْكُمْ يَطَّلِعُ عَلَى الْعَوْرَةِ مِنْ أَخيهِ فَلَا يَسْتُرُها .

بِحَقٍّ أَقولُ لَكُمْ : إِنَّكُمْ لَا تُصيبونَ ما تُريدونَ إِلَّا بِتَرْكِ ما تَشْتَهونَ ، وَلَا تَنالونَ ما تَأْمَلونَ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلىٰ ما تَكْرَهونَ . إِيّاكُمْ وَالنَّظْرَةَ فَإِنَّها تَزْرَعُ فِي الْقَلْبِ الشَّهْوَةَ ،

---

(١) لا تشارّ : أي لا تخاصم ولا تنازع .

وَكَفىٰ بِها لِصاحِبِها فِتْنَةً . طُوبىٰ لِمَنْ جُعِلَ بَصَرُهُ في قَلْبِهِ ، وَلَمْ يُجْعَلْ بَصَرُهُ في عَيْنِهِ . لَا تَنْظروا في عيوبِ النّاسِ كَالْأَرْبابِ ، وَانْظُروا في عُيوبِكم كَهَيْئَةِ الْعَبيدِ . إِنَّما النّاسُ رَجُلانِ : مُبْتَلىٰ وَمُعافىً ، فارْحَموا الْمُبْتَلىٰ ، وَاحْمَدوا اللهَ عَلَى الْعافِيَةِ .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ ، وَأَحْسِنْ إِلىٰ مَنْ أَساءَ إِلَيْكَ ، وَسَلِّمْ عَلىٰ مَنْ سَبَّكَ ، وَأَنْصِفْ مَنْ خاصَمَكَ ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، كَما أَنَّكَ تُحِبُّ أَن يُعْفىٰ عَنْكَ ، فاعْتَبِرْ بِعَفْوِ اللهِ عَنْكَ ، أَلَا تَرىٰ أَنَّ شَمْسَهُ أَشْرَقَتْ عَلَى الْأَبْرارِ وَالْفُجّارِ ، وَأَنَّ مَطَرَهُ يَنْزِلُ عَلَى الصّالِحِينَ وَالْخاطِئينَ .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، لَا تَتَصَدَّقْ عَلىٰ أَعْيُنِ النّاسِ لِيُزَكّوكَ ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذٰلِكَ فَقَدِ اسْتَوْفَيْتَ أَجْرَكَ ، وَلٰكِن إِذا أَعْطَيْتَ بِيَمينِكَ فَلا تُطلِعْ عَلَيها شِمالَكَ ، فَإِنَّ الَّذي تَتَصَدَّقْ لَهُ سِرّاً يُجْزِيكَ عَلانِيَةً عَلىٰ رُؤوسِ الْأَشْهادِ في الْيَوْمِ الَّذي لَا يَضرّكَ أَنْ لَا يُطْلِعَ النّاسَ عَلىٰ صَدَقَتِكَ . وَاخْفِضِ الصَّوْتَ إِنَّ رَبَّكَ الَّذي يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَما تُعْلِنونَ ، قَدْ عَلِمَ ما تُريدونَ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ ، وَإِذا صُمْتَ فَلا تَغْتَبْ أَحَداً ، وَلَا تَلْبِسوا صِيامَكم بِظُلْمٍ . وَلَا تَكُنْ كَالَّذي يَصومُ رِئاءَ النّاسِ ، مُغْبَرَّةً وُجُوهُهُمْ ، شَعِثَةً رُؤوسُهُمْ ، يابِسَةً أَفْواهُهُمْ لِكَيْ يَعْلَمَ النّاسُ أَنَّهُمْ صِيامىٰ .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، الْخَيْرُ كُلّهُ أَمامَكَ ، وَإِنَّ الشَّرَّ كُلَّهُ أَمامَكَ ، وَلَنْ تَرَى الْخَيْرَ وَالشَّرَّ إِلَّا بَعْدَ الْآخِرَةِ ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ جَعَلَ الْخَيْرَ كُلَّهُ في الْجَنَّةِ ، وَالشَّرَّ كُلَّهُ في النّارِ ؛ لِأَنَّهُما الْباقِيانِ ، وَالْواجِبُ عَلىٰ مَنْ وَهَبَ اللهُ لَهُ الْهُدىٰ ، وَأَكْرَمَهُ بِالْإِيمانِ ، وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ ، وَرَكَّبَ فيهِ عَقْلاً يَتَعَرَّفُ بِهِ نِعَمَهُ ، وَآتاهُ عِلْماً وَحُكْماً يُدَبِّرُ بِهِ أَمْرَ دينِهِ وَدُنْياهُ ، أَنْ يوجِبَ عَلىٰ نَفْسِهِ أَنْ يَشْكُرَ اللهَ وَلَا يَكْفُرَهُ ، وَأَنْ يَذْكُرَ اللهَ وَلَا يَنْساهُ ، وَأَن يُطيعَ اللهَ وَلَا يَعْصيهِ ، لِلْقَديمِ الَّذي تَفَرَّدَ لَهُ بِحُسْنِ النَّظَرِ ، وَلِلْحَديثِ الَّذي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بَعْدَ إِذْ أَنْشَأَهُ مَخْلوقاً ،

وَلِلْجَزيلِ الَّذي وَعَدَهُ ، وَالْفَضْلِ الَّذي لَمْ يُكَلِّفْهُ مِنْ طاعَتِه فَوْقَ طاقَتِهِ ، وَما يَعْجِزُ عَنِ الْقيامِ بِهِ ، وَضَمِنَ لَهُ الْعَوْنَ عَلىٰ تَيْسيرِ ما حَمَلَهُ مِنْ ذٰلِكَ ، وَنَدَبَهُ إِلَى الْإِسْتِعانَةِ عَلىٰ قَليلِ ما كَلَّفَهُ وَهُوَ مُعْرِضٌ عَمّا أَمَرَهُ ، وَعاجِزٌ عَنْهُ ، قَدْ لَبِسَ ثَوْبَ الْإِسْتِهانَةِ فيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ، مُتَقَلِّداً لِهَواهُ ، ماضِياً في شَهَواتِهِ ، مُؤْثِراً لِدُنْياهُ عَلىٰ آخِرَتِهِ ، وَهُوَ في ذٰلِكَ يَتَمَنّىٰ جِنانَ الْفِرْدَوْسِ وَما يَنْبَغي لِأَحَدٍ أَنْ يَطْمَعَ أَنْ يَنْزِلَ بِعَمَلِ الْفُجّارِ مَنازِلَ الْأَبْرارِ . أَما إِنَّهُ لَوْ وَقَعَتِ الْواقِعَةُ ، وَقامَتِ الْقِيامَةُ ، وَجاءَتِ الطّامَّةُ ، وَنَصَبَ الْجَبّارُ الْمَوازِينَ لِفَصْلِ الْقَضاءِ ، وَبَرَزَ الْخَلائِقُ لِيَوْمِ الْحِسابِ أَيْقَنْتَ عِنْدَ ذٰلِكَ لِمَنْ تَكونُ الرِّفْعَةُ وَالْكَرامَةُ ، وَبِمَنْ تَحِلُّ الْحَسْرَةُ وَالنَّدامَةُ ، فَاعْمَلِ الْيَوْمَ في الدُّنْيا بِما تَرْجو بِهِ الْفَوْزَ في الْآخِرَةِ .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، قالَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ في بَعْضِ ما أَوْحىٰ : إِنَّما أَقْبَلُ الصَّلاةَ مِمَّنْ يَتَواضَعُ لِعَظَمَتي ، وَيَكُفُّ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَواتِ مِنْ أَجْلي ، وَيَقْطَعُ نَهارَهُ بِذِكْري ، وَلا يَتَعَظَّمُ عَلىٰ خَلْقي ، وَيُطْعِمُ الْجائِعَ ، وَيَكْسو الْعاري ، وَيَرْحَمُ الْمُصابَ ، وَيُؤْوي الْغَريبَ ، فَذٰلِكَ يُشْرِقُ نورُهُ مِثْلَ الشَّمْسِ ، أَجْعَلُ لَهُ في الظُّلْمَةِ نوراً ، وَفي الْجَهالَةِ حِلْماً ، أَكْلَأُهُ بِعِزَّتي ، وَأَسْتَحْفِظُهُ مَلائِكَتي ، يَدْعوني فَأُلَبِّيهِ ، وَيَسْأَلُني فَأُعْطيهِ ، فَمَثَلُ ذٰلِكَ الْعَبْدِ عِنْدي كَمَثَلِ جَنّاتِ الْفِرْدوسِ ، لا يُسْبَقُ أَثْمارُها ، وَلا تَتَغَيَّرُ عَنْ حالِها .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، الْإِسْلامُ عُرْيانٌ فَلِباسُهُ الْحَياءُ ، وَزينَتُهُ الْوَقارُ ، وَمُروءَتُهُ الْعَمَلُ الصّالِحُ ، وَعِمادُهُ الْوَرَعُ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ أَساسٌ ، وَأَساسُ الْإِسْلامِ حُبُّنا أَهْلَ الْبَيْتِ .

يابْنَ جُنْدَبٍ ، إِنَّ لِلّهِ تَبارَكَ وَتَعالىٰ سُوراً مِنْ نورٍ ، مَحْفوفاً بِالزَّبَرْجَدِ وَالْحَريرِ ، مُنَجَّداً[1] بِالسُّنْدُسِ وَالدِّيباجِ ، يُضْرَبُ هٰذا السّورُ بَيْنَ أَوْلِيائِنا وَبَيْنَ أَعْدائِنا ، فَإِذا غَلَى الدِّماغُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلوبُ الْحَناجِرَ ، وَنَضِجَتِ الْأَكْبادُ مِنْ طولِ الْمَوْقِفِ أُدْخِلَ في هٰذا

---

(١) منجداً : أي مزيناً .

السُّورِ أَوْلِياءُ اللهِ ، فَكانوا في أَمْنِ اللهِ وَحِرْزِهِ ، لَهُمْ فيها ما تَشْتَهي الْأَنْفُسُ ، وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ، وَأَعْداءُ اللهِ قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ ، وَقَطَعَهُمُ الْفَرَقُ ، وَهُمْ يَنْظرونَ إِلىٰ ما أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ فَيَقولونَ : ﴿ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِنَ الْأَشْرَارِ ﴾[١] ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ أَوْلياءُ اللهِ فَيَضْحَكونَ مِنْهُمْ ، فَذلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴾[٢] ، وَقَوْلُهُ : ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۞ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾[٣] ، فَلا يَبْقىٰ أَحَدٌ مِمَّنْ أَعانَ مُؤْمِناً مِنْ أَوْلِيائِنا بِكَلِمَةٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ »[٤].

وفي هذه الوصيّة دعوة إلى الفلاح والنجاح ، ودعوة لكلّ ما يسمو به الإنسان من المثل العليا ، والتطوّر القائم على سمو الروح ، وتهذيب النفس . إنّ هذه الوصيّة نفحة من نفحات الإمامة التي أضاءت سماء الدنيا بما بثّته من المثل الكريمة الهادفة إلى إقامة مجتمع فاضل تسوده المحبّة والكرامة ، ونعمة المودّة والتعاون .

لقد حفلت هذه الوصيّة بجميع مقوّمات الارتقاء والنهوض ، ومن بين ما حفلت به ما يلي :

١ ـ التحذير من حبائل الشيطان الرجيم الذي نصب شباكه لإغواء المؤمنين ، وصدّهم عن السبيل القويم .

٢ ـ دعوة الإنسان في أن يعرض في كلّ يوم على شاشة فكره أعماله التي اكتسبها ، فإن رأى حسنة استزاد منها ، وإن رأى سيّئة استغفر منها ، وفي ذلك دعوة

---

(١) ص ٣٨ : ٦٢.

(٢) السورة السابقة : ٦٣.

(٣) المطفّفين ٨٣ : ٣٤ و ٣٥.

(٤) تحف العقول : ٣٠١ ـ ٣٠٧.

شاملة إلى الخير بجميع رحابه ومفاهيمه .

٣ ـ التحريض على الخوف من الله تعالى ، وذلك بالابتعاد عمّا حرّمه والإتيان بما أمر به ، فإنّه سبيل النجاة ، والخلاص من عذابه وعقابه .

٤ ـ ذمّ الجهل الذي هو السبب في هلاك الأُمم والشعوب ، وأنّ دعاته وحزبه بعيدون كلّ البعد عن القيم الإنسانيّة ، التي أقامها الإسلام .

٥ ـ دعوة الشيعة إلى الاستقامة في سلوكهم ، وتطبيق تعاليم أئمّة أهل البيت عليهم السلام على واقع حياتهم ، ولو فعلوا ذلك لكانوا أقرب الخلق إلى الله تعالى .

٦ ـ إنّ سبل النجاة في الآخرة هو عدم الاتّكال على العمل الصالح وحده ، بل لا بدّ من ضمّ الرجاء لرحمة الله إليه ، فإنّه سبيل النجاة .

٧ ـ الحثّ على البرّ بالإخوان وصلتهم ، فإنّه ممّا يوجب تماسك المجتمع ووحدته ، وتضامن أفراده ، الأمر الذي يدعو إليه الإسلام .

٨ ـ النهي عن الرذائل ، كالغشّ والإساءة إلى الغير والحسد ، وغير ذلك من الصفات الذميمة التي تهبط بالإنسان إلى مستوى سحيق ما له من قرار .

٩ ـ حثّ الشيعة على التحلّي بمكارم الأخلاق ، ومحاسن الصفات ، كالورع والاجتهاد في مرضاة الله ، ومواساة الإخوان ، وغير ذلك من معالي الأُمور .

١٠ ـ الحبّ في الله ، والتمسّك بالعروة الوثقى ، والاعتصام بالهدى ، والزهد في الدنيا ، فإنّ حبّها رأس كلّ خطيئة .

١١ ـ النهي عن إطاعة الهوى الذي هو أساس كلّ ذنب وإثم ، ولزوم الثقة بالله والاعتماد عليه ، فإنّ بيده جميع مجريات الأحداث ، ويكفي من اعتمد عليه واتّصل به جميع شؤونه في الدنيا والآخرة .

١٢ ـ ورسمت هذه الوصيّة آداب السلوك ، وما تزدهر به الشخصيّة من محاسن

الأعمال ، وكريم الصفات ، فقد أمرت بالصبر عند كلّ كارثة وبليّة ، ونهت عن التكبّر والتجبّر والعجب ، وغير ذلك من مساوئ الصفات .

هذه بعض بنود هذه الوصيّة المشرقة الحافلة بمنهج كامل متميّز للحياة الإسلاميّة الكريمة .

وصيّته لعمّار بن مروان

ومن وصايا الإمام عليه السلام القيّمة وصيّة لعمّار بن مروان ، وهذا نصّها :

« أُوْصيكَ بِتَقْوَى اللهِ ، وَأَداءِ الْأَمانَةِ ، وَصِدْقِ الْحَديثِ ، وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ لِمَنْ صَحِبْتَ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ »(١) .

وهذه الوصيّة على إيجازها قد حفلت بمعالي الأُمور التي يوصي بها سليل النبوّة ومعدن الكرامة والحكمة .

وصيّته لعمّار بن موسى

ومن وصاياه عليه السلام الرفيعة هذه الوصيّة ، وقد أوصى بها عمّار بن موسى :

« يا عَمّارُ ، إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تَسْتَتِبَّ لَكَ النِّعْمَةُ ، وَتَكْمُلَ لَكَ الْمُروءَةُ ، وَتَصْلُحَ لَكَ الْمَعيشَةُ فَلا تُشارِكِ الْعَبيدَ وَالسَّفَلَةَ في أَمْرِكَ ، فَإِنَّكَ إِنِ ائْتَمَنْتَهُمْ خانوكَ ، وَإِنْ حَدَّثوكَ كَذَّبوكَ ، وَإِنْ نُكِبْتَ خَذَلوكَ ، وَإِنْ وَعَدوكَ أَخْلَفوكَ »(٢) .

وحفلت هذه الوصيّة بالتحذير عن معاملة العبيد والسفلة ، والاشتراك معهم بأي أمر من الأُمور ، وذلك لانعدام الثقة منهم ، وعدم تحاشيهم من الغدر والكذب .

---

(١) وسائل الشيعة : ٨ : ٤٠٣ .

(٢) أُصول الكافي : ٢ : ٦٤٠ .

وصيّته لعمر بن سعيد

ووفد عمر بن سعيد بن هلال الثقفي على الإمام الصادق عليه السلام، فقال له: إنّي لا ألقاك إلّا في السنين، فأخبرني بشيء آخذ به. فقال عليه السلام له:

«أُوْصيكَ بِتَقْوَى اللهِ، وَالْوَرَعِ وَالْإِجْتهادِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ اجْتِهادٌ لَا وَرَعَ فيهِ»(١).

لقد أوصاه عليه السلام بما يقرّبه إلى الله زلفى، فقد أوصاه بتقوى الله، والورع عن محارمه، والاجتهاد في طاعته، وهذه الأُمور من موجبات المغفرة والفوز بالجنّة.

وصيّته لعنبسة العابد

وتشرّف عنبسة العابد بمقابلة الإمام الصادق عليه السلام، وطلب منه أن يوصيه بما ينفعه، فقال عليه السلام له:

«أَعِدَّ جَهازَكَ، وَقَدِّمْ زادَكَ لِطولِ سَفَرِكَ، وَكُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ، وَلَا تَأْمَنْ غَيْرَكَ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْكَ بِما يُصْلِحُكَ»(٢).

لقد أوصاه الإمام عليه السلام بما ينفعه في أمر آخرته، فقد أوصاه بالأعمال الصالحة التي هي ذخيرة المؤمن يوم يلقى الله تعالى.

وصيّته لعنوان البصري

ومن وصاياه عليه السلام القيّمة هذه الوصيّة التي أتحف بها عنوان البصري، وكان قد قدم ليثرب لطلب العلم، فاتّصل بمالك بن أنس، ثمّ اتّصل بالإمام عليه السلام فقال له الإمام:

«إذا أَرَدْتَ الْعِلْمَ فاطْلُبْ أَوّلاً في نَفْسِكَ حَقيقَةَ الْعُبودِيَّةِ».

---

(١) مجموعة ورّام: ٢: ١٨٦. أُصول الكافي: ٢: ٧٨.

(٢) مجموعة ورّام: ٢: ١٦٦.

وبهر البصري من كلام الإمام وراح يقول: ما حقيقة العبوديّة ؟

فأرشده الإمام عليه السلام إلى حقيقتها قائلاً:

« ثَلاثَةُ أَشْياءٍ: أَنْ لا يَرى الْعَبْدَ لِنَفْسِهِ فيما خَوَّلَهُ اللهُ مِلْكاً، لأَنَّ الْعَبيدَ لا يَكونُ لَهُمْ مِلْكٌ، بَلْ يَرَوْنَ الْمالَ مالَ اللهِ يَضَعونَهُ حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللهُ، وَلا يُدَبِّرُ الْعَبْدَ لِنَفْسِهِ تَدْبيراً، وَجُمْلَةُ اشْتِغالِهِ هي فِيما أَمَرَهُ اللهُ بِهِ وَنَهاهُ عَنْهُ، وَإِذا لَمْ يَرَ الْعَبْدُ فيما خَوَّلَهُ اللهُ مِلْكاً هانَ عَلَيْهِ الإِنْفاقُ فيما أَمَرَهُ اللهُ، وَإِذا فَرَضَ تَدْبيرَ نَفْسِهِ إِلىٰ مُدَبِّرِهِ هانَتْ عَلَيْهِ مَصائِبُ الدُّنْيا، وَإِذا اشْتَغَلَ بِما أَمَرَهُ اللهُ بِهِ وَنَهاهُ عَنْهُ، لا يَتَفَرَّغُ إِلَى الْمِراءِ وَالْمُباهاةِ مَعَ النّاسِ، فَإِذا أَكْرَمَ اللهُ الْعَبْدَ بِهٰذِهِ الثَّلاثَ هانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيا، فَلا يَطْلُبُها تَفاخُراً وَتَكاثُراً، وَلا يَطْلُبُ ما عِنْدَ النّاسِ عِزّاً وَعُلُوّاً، وَلا يَدَعُ أَيّامَهُ باطِلَةً، فَهذا أَوَّلُ دَرَجَةِ الْمُتَّقينَ.

قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] »[2].

وبعدما أرشده الإمام عليه السلام إلى حقيقة العبوديّة، طلب منه أن يزوّده بوصيّته.

فقال عليه السلام له: « أُوصيكَ بِتِسْعَةِ أَشْياءٍ فَإِنَّها وَصِيَّتي لِمُريدي الطَّريقِ إِلَى اللهِ، وَاللهُ أَسْأَلُ أَنْ يُوَفِّقَكَ لاسْتِعْمالِها: ثَلاثَةٌ مِنْها في رِياضَةِ النَّفْسِ، وَثَلاثَةٌ مِنْها في الْحِلْمِ، وَثَلاثَةٌ مِنْها في الْعِلْمِ، فَاحْفَظْها وَإِيّاكَ وَالتَّهاوُنَ بِها.

أَمّا اللَّواتي في الرِّياضَةِ، فَإِيّاكَ أَنْ تَأْكُلَ ما لا تَشْتَهيهِ، فَإِنَّهُ يُورِثُ الْحُمْقَ وَالْبَلَهَ، وَلا تَأْكُلْ إِلّا عِنْدَ الْجوعِ، فَإِذا أَكَلْتَ فَكُلْ حَلالاً، وَسَمِّ اللهَ تَعالىٰ، وَاذْكُرْ حَديثَ

---

(١) القصص ٢٨: ٨٣.

(٢) بحار الأنوار: ١: ٢٢٥.

النَّبيِّ ﷺ : ما مَلأَ آدَمِيٌّ وِعاءً أَشَدَّ شَرّاً مِنْ بَطْنِهِ ، فَإنْ كانَ وَلَا بُدَّ فَثُلُثٌ لِطَعامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرابِهِ ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ .

وَأَمّا اللَّواتي في الْحِلْمِ فَمَنْ قالَ لَكَ إنْ قُلْتَ واحِدَةً سَمِعْتَ عَشْراً ، فَقُلْ لَهُ : إنْ قُلْتَ عَشْراً لَمْ تَسْمَعْ واحِدَةً ، وَمَنْ شَتَمَكَ فَقُلْ لَهُ : إنْ كُنْتَ صادِقاً فيما تَقولُهُ : فَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لي ، وَإنْ كُنْتَ كاذِباً فَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لَكَ ، وَمَنْ وَعَدَكَ بِالْخِيانَةِ فَعِدْهُ بِالنَّصيحَةِ وَالْوَفاءِ .

وَأَمّا اللَّواتي في الْعِلْمِ فَأَسْأَلِ الْعُلَماءَ ما جَهِلْتَ ، وَإيّاكَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ تَعَنُّتاً وَتَجْرِبَةً ، وَإيّاكَ أَنْ تَعْمَلَ بِرَأْيِكَ شَيْئاً ، وَخُذْ بِالْإِحْتياطِ في جَميعِ أُمورِكَ ما تَجِدُ إِلَيْهِ سَبيلاً ، وَاهْرَبْ مِنَ الْفُتْيا فِرارَكَ مِنَ الْأَسَدِ ، وَلَا تَجْعَلْ رَقَبَتَكَ لِلنّاسِ جِسْراً »(١) .

وهذه الوصيّة من ذخائر التراث الإسلامي ، فقد حفلت بأهمّ الوصايا والنصائح في دنيا الطب والأخلاق والتربية ، والتي كان منها ما يلي :

أوّلاً : إنّ الإمام عليه السلام نظر بعمق وشمول إلى أهمّ العناصر الحسّاسة في بناء الصحّة العامّة ، فرأى أنّه الغذاء الذي هو من أهمّ المقوّمات لجسم الإنسان ، فأوصى بتنظيمه ، وكان من بين ما أوصى به :

١ ـ المنع من أكل ما لا تشتهيه النفس ، ولا تميل إليه ، وأنّه ينبغي أن يكون برغبة إليه .

٢ ـ إنّ تناول الطعام ينبغي أن يكون عند الحاجة الماسّة إليه .

٣ ـ عدم الإسراف في الأكل ، ولا يملأ الإنسان بطنه من الطعام .

ومن المؤكّد انّ هذه الأمور الثلاثة تضمن للإنسان صحّته ، ولا يحتاج إلى عيادة

---

(١) وسائل الشيعة : ١ : ١٨ .

الأطباء ومراجعة المستشفيات ، فإنّ الأغلبيّة الساحقة من الأمراض الخطيرة ، كضغط الدم والسكر والسمنة وبعض أمراض القلب ، كلّها ناجمة من الإسراف في الأكل وعدم تنظيمه .

ثانياً : إنّ الإمام عليه السلام أوصى بالحلم ، وهو من أهمّ الركائز في دنيا الفضائل والأخلاق ، فمن اتّصف به فقد ظفر بجميع الصفات الخيّرة ، والنزعات الكريمة ، ومن المؤكّد أنّه يضمن للإنسان حياة كريمة بعيدة عن المشاكل والمصاعب .

ثالثاً : إنّه وضع منهجاً رفيعاً للتعليم ، فقد ألزم الطالب بالسؤال عمّا جهله لتنمية أفكاره ، كما ألزمه بأن يكون سؤاله طلباً للمعرفة ، وإزاحة للجهل ، وليس له أن يسأل تعنّتاً وحبّاً للظهور ، الأمر الذي يتنافى مع واقع العلم .

وصيّته لمحمّد وإسحاق

ومن وصاياه عليه السلام لمحمّد بن العلاء وإسحاق بن عمّار ، أنّه أوصاهما بخصلتين : بصدق الحديث ، وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر ، فإنّهما مفتاح الرزق(١) .

لقد أوصى الإمام عليه السلام هذين العلمين من شيعته بكلّ ما يتميّز به الإنسان المسلم من الصفات الكريمة ، والخصال الشريفة ، أوصاهما بالصدق ، وأداء الأمانة ، وهما مصدران لكلّ فضيلة وكمال .

وصيّته لمعاوية بن عمّار

ومن وصاياه عليه السلام العظيمة هذه الوصيّة ، وقد أتحف بها تلميذه العالم معاوية بن عمّار ، فقد قال له :

« وَطِّنْ نَفْسَكَ عَلىٰ حُسْنِ الصُّحْبَةِ لِمَنْ صَحِبْتَ ، وَحَسِّنْ خُلُقَكَ ، وَكُفَّ لِسانَكَ ،

---

(١) الاثني عشريّة في المواعظ العدديّة : ٣٢.

وَاكْظِمْ غَيْظَكَ ، وَأَقِلَّ لَغْوَكَ ، وَتَغْرِسُ عَفْوَكَ ، وَتَسْخو نَفْسُكَ »(١).

وحفلت هذه الوصيّة بكلّ ما يشرف به الإنسان من المثل العليا ، والصفات الكريمة التي يسمو بها هذا الكائن الحيّ من بني الإنسان.

وصيّته للمعلّى بن خنيس

١ ـ من وصايا الإمام عليه السلام هذه الوصيّة ، وقد أوصى بها مولاه المعلّى بن خنيس ، وقد ألزمه بالتقيّة . قال عليه السلام :

« يا مُعَلّىٰ ، اكْتُمْ أَمْرَنا وَلا تُذِعْهُ ، فَإِنَّهُ مَنْ كَتَمَ أَمْرَنا وَلَمْ يُذِعْهُ أَعَزَّهُ اللهُ في الدُّنْيا وَجَعَلَ لَهُ نوراً بَيْنَ عَيْنَيْهِ في الْآخِرَةِ يَقودُهُ إِلَى الْجَنَّةِ .

يا مُعَلّىٰ ، مَنْ أَذاعَ حَديثَنا وَأَمْرَنا وَلَمْ يَكْتُمْهُما أَذَلَّهُ اللهُ في الدُّنْيا ، وَنَزَعَ النّورَ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ في الْآخِرَةِ ، وَجَعَلَ لَهُ ظُلْمَةً تَقودُهُ إِلَى النّارِ .

يا مُعَلّىٰ ، إِنَّ التَّقِيَّةَ ديني ، وَدينُ آبائي ، وَلا دينَ لِمَنْ لا تَقِيَّةَ لَهُ .

يا مُعَلّىٰ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُعْبَدَ في السِّرِّ كَما يُحِبُّ أَنْ يُعْبَدَ في الْعَلانِيَةِ .

يا مُعَلّىٰ ، إِنَّ الْمُذيعَ لِأَمْرِنا كَالْجاحِدِ بِهِ »(٢).

إنّ الضغط الهائل الذي عانته الشيعة من الحكومات القائمة في تلك العصور ، هو الذي دعا الإمام عليه السلام أن يلزم شيعته بالتقيّة وكتمان أمرهم ، خوفاً عليهم .

٢ ـ وأوصى الإمام عليه السلام المعلّى بن خنيس بوصيّة ثانية ، وهذا نصّها :

« يا مُعَلّىٰ ، تَحَبَّبْ إِلىٰ إِخْوانِكَ بِصِلَتِهِمْ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ جَعَلَ الْعَطاءَ مَحَبَّةً ، وَالْمَنْعَ

---

(١) وسائل الشيعة : ٨ : ٤٠٢ .

(٢) المحاسن : ٢٠١ .

مَبْغَضَةً ، فَأَنْتُمْ وَاللهِ إِنْ تَسْأَلوني وَأُعْطيكُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ لَا تَسْأَلوني فَلا أُعْطيكُمْ فَتَبْغَضوني»(١).

لقد أوصاه الإمام عليه السلام بالبرّ والإحسان إلى إخوانه ، لأنّه ممّا يوجب شيوع المودّة والمحبّة بينهم ، كما أنّه من أهمّ الأسباب لتماسكهم وترابطهم .

وصيّته للمفضّل بن زيد

وأوصى الإمام الصادق عليه السلام تلميذه المفضّل بن زيد بهذه الوصيّة .

قال عليه السلام : «**أَنْهاكَ عَنْ خِصْلَتَيْنِ فيهِما هَلَكَ الرِّجالُ : أَنْ تَدينَ للهِ بِالْباطِلِ ، وَتُفْتِي النّاسَ بِما لَا تَعْلَمْ**»(٢).

ومن أثمن الوصايا الوصيّة باجتناب هاتين الخصلتين التي بهما هلاك الإنسان في آخرته ، وفساد دينه .. ومثل هذه الوصيّة أوصى بها عبدالرحمن بن الحجّاج(٣).

وصيّته للمفضّل بن عمر

١ ـ أوصى الإمام عليه السلام تلميذه الفقيه العالم الجليل المفضّل بن عمر الجعفي بهذه الوصيّة القيّمة .

قال عليه السلام : «**أُوْصيكَ بِستِّ خِصالٍ تُبَلِّغُهُنَّ شيعَتي .**

فقال له المفضّل : وما هنّ ؟

(١) أمالي الطوسي : ٣٠٤ ، الحديث ٦٠٨.

(٢) الإثني عشريّة في المواعظ العدديّة : ٣٠. المحاسن : ٥٧.

(٣) ضياء العالمين : الجزء الأوّل ، من مخطوطات مكتبة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ، تسلسل ٤٧٩.

قال عليه السلام: **أداءُ الأَمانَةِ إِلىٰ مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَأَنْ تَرْضىٰ لأَخيكَ ما تَرْضىٰ لِنَفْسِكَ.**

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلأُمورِ أَواخِراً فَاحْذَرِ الْعَواقِبَ، وَأَنَّ لِلأُمورِ بَغَتاتٍ، فَكُنْ عَلىٰ حَذَرٍ، وَإِيّاكَ وَمُرْتَقىٰ جَهْلٍ سَهْلٍ، إِذا كانَ الْمُنْحَدَرُ وَعْراً، وَلا تَعِدَنَّ أَخاكَ وَعْداً لَيْسَ في يَدِكَ وَفاؤُهُ»[1].

وحفلت هذه الوصيّة بجميع القيم الإنسانيّة ومعاني الشرف والكرامة، فقد أوصى بأداء الأمانة، وأن يرضى لأخيه المسلم ما يرضاه لنفسه من الخير، وأن يلاحظ بدقّة عواقب الأمور، فلايقدم على عمل شيء حتّى يعرف عواقبه، كما أوصاه بأن لا يرتقي الإنسان جبلاً إذا كان المنحدر منه وعراً، فإنّه يسبّب الهلاك له، وختم وصيّته بالوفاء بالوعد، وأنّه لا ينبغي للإنسان الشريف أن يعد شخصاً بما لا يتمكّن من وفائه، فإنّ ذلك يوجب سقوطه وانهيار شخصيّته.

١ ـ أوصى الإمام عليه السلام المفضّل بن عمر بهذه الوصيّة القيّمة، وعهد إليه أن يوصي بها شيعته:

«يا مُفَضَّلُ، إِيّاكَ وَالذُّنوبَ، وَحَذِّرْها شيعَتَنا، فَوَاللهِ ما هِيَ إِلىٰ أَحَدٍ أَسْرَعُ مِنْها إِلَيْكُمْ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَتُصيبُهُ الْمَعَرَّةُ[2] **مِنَ السُّلْطانِ، وَما ذلِكَ إِلَّا بِذنوبِهِ، وَأَنَّهُ لَيُصيبُهُ السُّقْمُ، وَما ذلِكَ إِلَّا بِذنوبِهِ، وَأَنَّهُ لَيُحْبَسُ عَنْهُ الرِّزْقَ، وَما هُوَ إِلَّا بِذُنوبِهِ، وَأَنَّهُ لَيُشَدَّدُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَما ذاكَ إِلَّا بِذنوبِهِ حَتّىٰ يَقولَ مَنْ حَضَرَهُ لَقَدْ غُمَّ بِالْمَوْتِ، فَلَمّا رَأىٰ ما قَدْ دَخَلَني قالَ: أَتَدْري لِمَ ذاكَ؟**

قُلْتَ: لا.

---

(١) تحف العقول: ٣٦٧.

(٢) المعرّة: الغضب.

قالَ: ذاكَ وَاللهِ إِنَّكُمْ لا تُؤاخَذونَ بِها في الْآخِرَةِ، وَعُجِّلَتْ لَكُمْ في الدُّنْيا»[١].

وحذّر الإمام عليه السلام في هذه الوصيّة من اقتراف الذنوب، وعزا ما يصيب الإنسان من صنوف البلاء إلى ارتكاب المعاصي التي يعجّل الله عقوبتها على عبده في دار الدنيا قبل دار الآخرة.

وصيّته للمنصور الدوانيقي

وطلب المنصور الدوانيقي، وهو من ألدّ أعداء الإمام عليه السلام، ومن أخبثهم أن يزوّده بحديث ينتفع به، ويكون له زاجراً عن الموبقات.

فقال عليه السلام: «**عَلَيْكَ بِالْحِلْمِ فَإِنَّهُ رُكْنُ الْعِلْمِ، وَامْلِكْ نَفْسَكَ عِنْدَ أَسْبابِ الْقُدْرَةِ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْعَلْ ما تَقْدِرُ عَلَيْهِ كُنْتَ كَمَنْ شَفِيَ غَيْظاً، وَتَداوىٰ حِقْداً، وَيُحِبُّ أَنْ يُذْكَرَ بِالصَّوْلَةِ.**

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ عاقَبْتَ مُسْتَحِقّاً لَمْ تَكُنْ غايَةُ ما توصَفُ بِهِ إِلَّا الْعَدْلَ، وَالْحالَ الَّتي توجِبُ الشُّكْرَ أَفْضَلُ مِنَ الْحالِ الَّتي توجِبُ الصَّبْرَ»[٢].

لقد أوصاه بالإحسان إلى الرعيّة، وعدم الاستجابة لدواعي الانتقام التي أُترعت بها نفس هذا الإنسان الفاقد لجميع صفات النبل والكرامة.. ولما سمع هذه الوصيّة طفق يقول: «وعظت فأحسنت، وقلت فأوجزت».

وصيّته لمؤمن الطاق

ومؤمن الطاق فذّ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وعلم من أعلام الفكر والفضل في العصر العبّاسي، وكان متكلّماً متمرّساً في البحوث الكلاميّة، خصوصاً فيما

---

(١) وسائل الشيعة: ١١: ٢٤١.

(٢) أمالي الصدوق: ٧١١. بحار الأنوار: ١٠: ٢١٨.

يتعلّق بالإمامة ، ولم يتمكّن أحد من مجاراته ومناظرته فيها ، وقد أوصاه الإمام عليه السلام بالوصيّة التالية بالالتزام بالتقيّة ، وعدم إذاعة وإشاعة أفكار أهل البيت عليهم السلام خوفاً عليه من السلطة العبّاسيّة ، التي تنكّرت كأشدّ ما يكون التنكّر لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ، وفيما يلي نصّ الوصيّة .

قال أبو جعفر مؤمن الطاق : « قال لي الإمام الصادق عليه السلام :

إنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ عَيَّرَ أَقْواماً في الْقُرآنِ بِالْإِذاعَةِ .

فقلت له : جعلت فداك ، أين قال ؟

قال : **قَوْلُهُ : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾**(١) .

ثمّ قال : **الْمُذيعُ عَلَيْنا سِرَّنا كَالشّاهِرِ بِسَيْفِهِ عَلَيْنا ، رَحِمَ اللهُ عَبْداً سَمِعَ بِمَكْنونِ عِلْمِنا فَدَفَنَهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، وَاللهِ إِنّي لَأَعْلَمُ بِشِرارِكُمْ مِنَ الْبَيْطارِ بِالدَّوابِّ ، شِرارُكُمُ الَّذينَ لا يَقْرَأونَ الْقُرآنَ إِلَّا هُجْراً ، وَلا يَأْتونَ الصَّلاةَ إِلَّا دُبْراً ، وَلا يَحْفَظونَ أَلْسِنَتَهُمْ .**

اِعْلَمْ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام لَمّا طُعِنَ ، وَاخْتَلَفَ النّاسُ عَلَيْهِ ، سَلَّمَ الْأَمْرَ لِمُعاوِيَةَ ، فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ الشّيعَةُ : عَلَيْكَ السَّلامُ يا مُذِلَّ الْمُؤْمِنينَ .

فَقالَ عليه السلام : ما أَنا بِمُذِلِّ الْمُؤْمِنينَ ، وَلكِنّي مُعِزُّ الْمُؤْمِنينَ ، إِنّي لَمّا رَأَيْتُكُمْ لَيْسَ بِكُمْ عَلَيْهِمْ قُوَّةٌ سَلَّمْتُ الْأَمْرَ لِأَبْقى أَنا وَأَنْتُمْ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، كَما عابَ الْعالِمُ السَّفينَةَ لِتَبْقى لِأَصْحابِها ، وَكَذلِكَ نَفْسي وَأَنْتُمْ لِنَبْقى بَيْنَهُمْ .

يابْنَ النُّعْمانِ ، إِنّي لَأُحَدِّثُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ بِحَديثٍ ، فَيَتَحَدَّثُ بِهِ عَنّي ، فَأَسْتَحِلُّ بِذلِكَ لَعْنَتَهُ وَالْبَراءَةَ مِنْهُ ، فَإِنَّ أَبي كانَ يَقولُ : وَأَيُّ شَيْءٍ أَقَرُّ لِلْعَيْنِ مِنَ التَّقِيَّةِ ، إِنَّ التَّقِيَّةَ جُنَّةُ الْمُؤْمِنِ ، وَلَوْلا التَّقِيَّةُ ما عُبِدَ اللهُ . وَقالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنونَ

---

(١) النساء ٤ : ٨٣.

الْكافِرينَ أَوْلِياءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾(١).

يابْنَ النُّعمانِ، إيّاكَ وَالْمِراءَ فَإِنَّهُ يُحْبِطُ عَمَلَكَ. وَإِيّاكَ وَالْجِدالَ، فَإِنَّهُ يُوبِقُكَ. وَإِيّاكَ وَكَثْرَةَ الْخُصوماتِ فَإِنَّها تُبَعِّدُكَ مِنَ اللهِ.

ثمّ قال: إِنَّ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ كانوا يَتَعَلَّمونَ الصَّمْتَ، وَأَنْتُم تَتَعَلَّمونَ الْكَلامَ، كانَ أَحَدُهُمْ إِذا أَرادَ التَّعَبُّدَ يَتَعَلَّمُ الصَّمْتَ قَبْلَ ذلِكَ بِعَشْرِ سِنينَ، فَإِنْ كانَ يُحْسِنُهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهِ تَعَبَّدَ وَإِلّا قالَ: ما أَنا لِما أَرومُ بِأَهْلٍ، إِنَّما يَنْجو مَنْ أَطالَ الصَّمْتَ عَنِ الْفَحْشاءِ، وَصَبَرَ في دَوْلَةِ الْباطِلِ عَلَى الْأَذىٰ، أُولَئِكَ النُّجباءُ الْأَصْفياءُ الْأَوْلياءُ حَقّاً، وَهُمُ الْمُؤْمِنونَ. إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الْمُتَرَئِّسونَ، الْمَشّاؤونَ بِالنَّمائِمِ، الْحَسَدَةُ لِإِخْوانِهِمْ، لَيْسوا مِنّي وَلا أَنا مِنْهُمْ، إِنَّما أَوْليائي الَّذينَ سَلَّموا لِأَمْرِنا، وَاتَّبَعوا آثارَنا، وَاقْتَدوا بِنا في كُلِّ أُمورِنا.

ثمّ قال: وَاللهِ لَوْ قَدَّمَ أَحَدُكُمْ مِلءَ الْأَرْضِ ذَهَباً عَلَى اللهِ ثُمَّ حَسَدَ مُؤْمِناً لَكانَ ذلِكَ الذَّهَبُ مِمّا يُكْوىٰ بِهِ في النّارِ.

يابْنَ النُّعْمانِ، إِنَّ الْمُذيعَ لَيْسَ كَقاتِلِنا بِسَيْفِهِ، بَلْ هُوَ أَعْظَمُ وِزْراً، بَلْ هُوَ أَعْظَمُ وِزْراً، بَلْ هُوَ أَعْظَمُ وِزْراً.

يابْنَ النُّعْمانِ، إِنَّهُ مَنْ رَوىٰ عَلَيْنا حَديثاً فَهُوَ مِمَّنْ قَتَلَنا عَمْداً وَلَمْ يَقْتُلْنا خَطَأً.

يابْنَ النُّعْمانِ، إِذا كانَتْ دَوْلَةُ الظُّلْمِ فَامْشِ وَاسْتَقْبِلْ مَنْ تَتَّقيهِ بِالتَّحِيَّةِ، فَإِنَّ الْمُتَعَرِّضَ لِلدَّوْلَةِ قاتِلُ نَفْسِهِ وَمُوبِقُها، إِنَّ اللهَ يَقولُ: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾(٢).

---

(١) آل عمران ٣: ٢٨.

(٢) البقرة ٢: ١٩٥.

يابْنَ النُّعْمانِ ، إنّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا يَزالُ الشَّيْطانُ يُدْخِلُ فينا مَنْ لَيْسَ مِنّا وَلَا مِنْ أَهْلِ دِينِنا ، فإذا رَفَعَهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ الناسُ أَمَرَهُ الشَّيْطانُ فَيُكَذِّبَ عَلَيْنا ، وَكُلَّما ذَهَبَ واحِدٌ جاءَ آخَرُ .

يابْنَ النُّعْمانِ ، مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَقالَ : لَا أَدْري فَقَدْ ناصَفَ الْعِلْمَ ، وَالْمُؤْمِنُ يَحْقِدُ ما دامَ في مَجْلِسِهِ ، فإذا قامَ ذَهَبَ عَنْهُ الْحِقْدَ .

يابْنَ النُّعْمانِ ، إنَّ الْعالِمَ لا يَقْدِرُ أَنْ يُخْبِرَكَ بِكُلِّ ما يَعْلَمُ(١) لأَنَّهُ سِرُّ اللهِ الَّذي أَسَرَّهُ إِلىٰ جَبْرَئيلَ عليه السلام ، وَأَسَرَّهُ جَبْرَئيلُ عليه السلام إِلىٰ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ، وَأَسَرَّهُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله إِلىٰ عَلِيٍّ عليه السلام ، وَأَسَرَّهُ عَلِيٌّ إِلَى الْحَسَنِ عليه السلام ، وَأَسَرَّهُ الْحَسَنُ عليه السلام إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام ، وَأَسَرَّهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام إِلىٰ عَلِيٍّ عليه السلام ، وَأَسَرَّهُ عَلِيٌّ عليه السلام إِلىٰ مُحَمَّدٍ عليه السلام ، وَأَسَرَّهُ مُحَمَّدٌ إِلىٰ مَنْ أَسَرَّهُ(٢) ، فَلا تَعْجَلوا فَوَاللهِ لَقَدْ قَرُبَ هذَا الْأَمْرُ ثَلاثَ مَرّاتٍ ، فَأَذَعْتُموهُ فَأَخَّرَهُ اللهُ ، وَاللهِ ما لَكُمْ سِرٌّ إِلَّا وَعَدُوُّكُمْ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكُمْ .

يابْنَ النُّعْمانِ ، ابْقِ عَلىٰ نَفْسِكَ فَقَدْ عَصَيْتَني . لَا تُذِعْ سِرّي ، فَإِنَّ الْمُغيرَةَ بْنَ سَعيدٍ كَذَبَ عَلىٰ أَبي وَأَذاعَ سِرَّهُ ، فَأَذاقَهُ اللهُ حَرَّ الْحَديدِ ، وَإِنَّ أَبا الْخَطّابِ كَذَبَ عَلَيَّ وَأَذاعَ سِرّي ، فَأَذاقَهُ اللهُ حَرَّ الْحَديدِ ، وَمَنْ كَتَمَ أَمْرَنا زَيَّنَهُ اللهُ بِهِ في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ ، وَأَعْطاهُ حَظَّهُ ، وَوَقاهُ حَرَّ الْحَديدِ ، وَضيقَ الْمَحابِسِ .

إِنَّ بَني إِسْرائيلَ قَحَطوا حَتّىٰ هَلَكَتِ الْمَواشي وَالنَّسْلُ ، فَدَعا اللهُ موسى بْنُ عِمْرانَ عليه السلام ، فَقالَ : يا موسىٰ ، إِنَّهُمْ أَظْهَروا الزِّنا وَالرِّبا ، وَعَمَروا الْكَنائِسَ ، وَأَضاعوا

---

(١) أراد العالم بالإمام المعصوم عليه السلام .

(٢) أراد عليه السلام نفسه فهو الذي أسرّ إليه أبوه عليه السلام بالإمامة ، وأورثه خزائن الحكمة وفصل الخطاب .

الزَّكاةَ ، فَقالَ : إلهي تَحنَّنْ بِرَحْمَتِكَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ لا يَعْقِلونَ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ : أَنِّي مُرْسِلٌ قَطْرَ السَّماءِ وَ مُخْتَبِرُهُمْ بَعْدَ أَرْبَعينَ يَوْماً ، فَأَذاعوا ذلِكَ وَأَفْشَوْهُ ، فَحُبِسَ عَنْهُمُ الْقَطْرُ أَرْبَعينَ سَنَةً ، وَأَنْتُمْ قَدْ قَرُبَ أَمْرُكُمْ فَأَذَعْتُموهُ في مَجالِسِكُمْ .

يا أَبا جَعْفَرٍ ، ما لَكُمْ وَلِلنّاسِ ، كُفّوا عَنِ النّاسِ ، وَلا تَدْعو أَحَداً إِلى هذَا الأَمْرِ(١) ، فَوَاللهِ لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ اجْتَمَعوا عَلىٰ أَنْ يُضِلّوا عَبْداً يُريدُ اللهُ هُداهُ ما اسْتَطاعوا أَنْ يُضِلّوهُ .

كُفّوا عَنِ النّاسِ ، وَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : أَخي وَعَمّي وَجاري ، فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ إِذا أَرادَ بِعَبْدٍ خَيْراً طَيَّبَ رُوحَهُ فَلا يَسْمَعُ مَعْروفاً إِلّا عَرَفَهُ ، وَلا مُنْكَراً إِلّا أَنْكَرَهُ ، ثُمَّ قَذَفَ اللهُ في قَلْبِهِ كَلِمَةً يَجْمَعُ بِها أَمْرَهُ .

يابْنَ النُّعْمانِ ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَصْفو لَكَ وُدُّ أَخيكَ فَلا تُمازِحَنَّهُ وَلا تُمارِيَنَّهُ ، وَلا تُباهِيَنَّهُ(٢) ، وَلا تُشارَنَّهُ(٣) ، وَلا تَطَّلِعْ صَديقَكَ مِنْ سِرِّكَ إِلّا عَلىٰ ما لَوِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ عَدُوُّكَ لَمْ يَضُرَّكَ ، فَإِنَّ الصَّديقَ قَدْ يَكونُ عَدُوَّكَ يَوْماً .

يابْنَ النُّعْمانِ ، لا يَكونُ الْعَبْدُ مُؤْمِناً حَتّىٰ يَكونَ فيهِ ثَلاثُ سُنَنٍ : سُنَّةٌ مِنَ اللهِ ، وَسُنَّةٌ مِنْ رَسولِهِ ، وَسُنَّةٌ مِنَ الإِمامِ .

فَأَمّا السُّنَّةُ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ فَهُوَ أَنْ يَكونَ كَتوماً لِلأَسْرارِ ، يَقولُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً ﴾(٤) .

---

(١) إلى هذا الأمر : أي إلى الإمامة التي تمثّل جوهر الإسلام ودافعه.

(٢) **المباهاة** : المفاخرة.

(٣) **لا تشارنه** : أي لا تخاصمه.

(٤) الجنّ ٧٢ : ٢٦.

وَأَمّا الَّتي مِنْ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَهُوَ أَنْ يُداريَ النّاسَ وَيُعامِلَهُمْ بِالْأَخْلاقِ الْحَنيفيَّةِ .

وَأَمّا الَّتي مِنَ الْإِمامِ عليه السلام فالصَّبْرُ في الْبَأْساءِ وَالضَّرّاءِ حَتّىٰ يَأْتِيَهُ اللهُ بِالْفَرَجِ .

يابْنَ النُّعْمانِ ، لَيْسَتِ الْبَلاغَةُ بِحِدَّةِ اللِّسانِ ، وَلا بِكَثْرَةِ الْهَذيانِ ، وَلكِنَّها إِصابَةُ الْمَعْنى وَقَصْدُ الْحُجَّةِ .

يابْنَ النُّعْمانِ ، مَنْ قَعَدَ إِلى سابِّ أَوْلياءِ اللهِ فَقَدْ عَصَى اللهَ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظاً فينا لَا يَقْدِرُ عَلىٰ إِمْضائِهِ كانَ مَعَنا في السَّنامِ الْأَعْلىٰ ، وَمَنِ اسْتَفْتَحَ نَهارَهُ بِإِذاعَةِ سِرِّنا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ حَرَّ الْحَديدِ وَضيقَ الْمَحابِسِ .

يابْنَ النُّعْمانِ ، لا تَطْلُبِ الْعِلْمَ لِثَلاثٍ : لِتُرائِيَ بِهِ ، وَلا لِتُباهِيَ بِهِ ، وَلا لِتُمارِيَ ، وَلا تَدَعْهُ لِثَلاثٍ : رَغْبَةٍ في الْجَهْلِ ، وَزَهادَةٍ في الْعِلْمِ ، وَاسْتِحْياءٍ مِنَ النّاسِ ، وَالْعِلْمُ الْمَصونُ كالسِّراجِ الْمُطْبَقِ عَلَيْهِ .

يابْنَ النُّعْمانِ ، إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ إِذا أَرادَ بِعَبْدٍ خَيْراً نَكَتَ في قَلْبِهِ نُكْتَةً بَيْضاءَ فَجالَ الْقَلْبُ يَطْلُبُ الْحَقَّ ، ثُمَّ هُوَ إِلىٰ أَمْرِكُمْ أَسْرَعُ مِنَ الطَّيْرِ إِلىٰ وَكْرِهِ .

يابْنَ النُّعْمانِ ، إِنَّ حُبَّنا ـ أَهْلَ الْبَيْتِ ـ يُنَزِّلُهُ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ خَزائِنَ تَحْتَ الْعَرْشِ كَخَزائِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَلا يُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ ، وَلا يُعْطيهِ إِلَّا خَيْرَ الْخَلْقِ ، وَإِنَّ لَهُ غَمامَةً كَغَمامَةِ الْقَطْرِ ، فَإِذا أَرادَ اللهُ أَنْ يَخُصَّ بِهِ مَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ ، أَذِنَ لِتِلْكَ الْغَمامَةِ فَتَهَطَّلَتْ كَما تَهَطَّلَتِ السَّحابُ فَتُصيبُ الْجَنينَ في بَطْنِ أُمِّهِ »[1] .

وأعلن الإمام عليه السلام في هذه الرسالة عن منعه المطلق لمؤمن الطاق من أن يذيع مبادئ أئمة أهل البيت عليهم السلام ، ويشيع أحكامهم ومعارفهم الهادفة لتحرير إرادة

(١) تحف العقول : ٣٠٧ ـ ٣١٣.

الإنسان ، وإعلاء كلمة الحقّ ، ونشر العدالة الاجتماعيّة بين الناس ، وكانت مبادؤهم تشكّل خطراً على تلك الحكومات القائمة في عصرهم ، والتي لا تتّفق تعرفتها الإداريّة والسياسيّة مع مبادئ الشريعة الإسلاميّة المقدّسة ، وقد سخّرت تلك الدول جميع أجهزتها ضدّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ، فملأت بهم السجون ، وسملت منهم العيون ، ورفعت أعلامهم على المشانق ، وساقت الكثيرين منهم إلى ساحات الإعدام ، وقد خاف الإمام الصادق عليه السلام على مؤمن الطاق من أن تخطفه الأيدي الآثمة من عملاء تلك الدول ، ويخسر المسلمون بذلك علماً من أعلام الفكر ، وعبقرياً من عباقرة الإسلام .

وصيّته لبعض أصحابه

١ - أوصى سليل النبوّة الإمام عليه السلام بعض أصحابه بوصيّة قيّمة كان منها ما يلي :

«إذا رَأَيْتَ السُّلْطانَ يَحْتَكِرُ الطَّعامَ ، وَرَأَيْتَ أَمْوالَ ذَوي الْقُرْبىٰ تُقْسَمُ في الزّورِ ، وَيُتَقامَرُ بِها ، وَيُشْرَبُ بِها الْخُمورُ ، وَرَأَيْتَ الْخَمْرَ يُتَداوىٰ بِها ، وَتوصَفُ لِلْمَريضِ يُسْتَشْفىٰ بِها ، وَرَأَيْتَ النّاسَ قَدِ اسْتَوَوا في تَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْروفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتَرْكِ التَّدَيُّنِ بِهِ ، وَرَأَيْتَ الْمَنابِرَ يُؤْمَرُ عَلَيْها بِالتَّقْوىٰ وَلَا يَعْمَلُ الْقائِلُ بِما يأْمُر ، وَرَأَيْتَ الصَّلاةَ قَدِ اسْتُخِفَّ بِأَوْقاتِها ، وَرَأَيْتَ الصَّدَقَةَ بِالشَّفاعَةِ لَا يُراد بِها وَجْهَ اللهِ ، وَتُعْطىٰ لِطَلَبِ النّاسِ ، وَرَأَيْتَ النّاسَ هَمُّهُمْ بُطونُهُمْ وَفُروجُهُمْ ، لَا يُبالونَ بِما أَكَلوا وَما نَكَحوا ، وَرَأَيْتَ الدُّنْيا مُقْبِلَةً عَلَيْهِمْ ، وَرَأَيْتَ أَعْلامَ الْحَقِّ قَدْ دَرَسَتْ ، فَكُنْ عَلىٰ حَذَرٍ وَاطْلُبْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّجاةَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ النّاسَ في سَخَطِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنَّما يُمْهِلُ لَهُمْ لِأَمْرٍ يُرادُ بِهِمْ ، فَكُنْ مُتَرَقِّباً ، وَاجْتَهِدْ لِيَراكَ اللهُ في خِلَافِ ما هُمْ عَلَيْهِ ، فَإِنْ نَزَلَ بِهِمُ الْعَذابُ عَجلتَ إِلىٰ رَحْمَةِ اللهِ ، وَإِنْ أُخِّرتَ ابْتُلوا ، وَكُنْتَ قَدْ خَرَجْتَ مِمّا هُمْ فيهِ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى اللهِ

عَزَّ وَجَلَّ ، واعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ لا يُضيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنينَ ، وَأَنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَريبٌ مِنَ الْمُحْسِنينَ »(١) .

وحذّرت هذه الوصيّة من مغبّة انتشار بعض المفاسد الاجتماعيّة التي حرّمها الله تعالى ، وما ينجم منها من صنوف البلاء والعذاب الذي يعمّ العباد ، فإنّ الله تعالى لا يترك العصاة من عباده من دون عقاب ، وإنّما يمهلهم لوقت ثمّ يأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

٢ ـ وتشرّف رجل من أصحاب الإمام بمقابلته ، وطلب منه عليه السلام أن يزوّده بوصيّة .

فقال عليه السلام له : « **لا يَفْقِدُكَ اللهُ حَيْثُ أَمَرَكَ ، وَلا يَراكَ حَيْثُ نَهاكَ** » .

فقال الرجل : زدني .

فقال عليه السلام : « **لا أَجِد** »(٢) .

لا أكاد أعرف وصيّة أبلغ ، ولا أوجز ، ولا أسمى من هذه الوصيّة ، فقد حفلت بالأمر بكلّ ما يقرّب الإنسان إلى ربّه زلفى ، وليس للإنسان أن يتهاون في أداء واجب فرضه الله عليه ، كما أنّه ليس له أن يقترف أي معصية نهاه الله عنها .

٣ ـ وأوصى الإمام عليه السلام بعض أصحابه بهذه الوصيّة القيّمة ، فقال عليه السلام :

« **عَلَيْكُمْ بِالْوَرَعِ فَإِنَّهُ الدِّينُ الَّذي نُلازِمُهُ ، وَنَدينُ اللهَ تَعالىٰ بِهِ ، وَنُريدُهُ مِمَّنْ يُوالينا ، وَلا تَتْعِبونا بِالشَّفاعَةِ** »(٣) .

إنّ الورع عن محارم الله ، وكفّ النفس عن معاصيه هو من أهمّ وصايا الإمام عليه السلام ،

---

(١) مجموعة ورّام : ٢ : ٤١ .

(٢) وسائل الشيعة : ١١ : ١٨٩ .

(٣) وسائل الشيعة : ١١ : ١٩٨ .

فقد كان دوماً يوصي أصحابه بذلك ليكونوا قدوة في سلوكهم إلى المسلمين.

٤ ـ ومن وصاياه عليه السلام الرائعة هذه الوصيّة، وقد أتحف بها كوكبة من أصحابه، وقد جاء فيها: «**إِيّاكُمْ وَالْعَظَمَةَ وَالْكِبْرِ، فَإِنَّ الْكِبْرَ رِداءُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ نازَعَ اللهَ رِداءَهُ قَصَمَهُ اللهُ، وَأَذَلَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ**»[١].

إنّ التكبّر والعظمة على خلق الله تعالى ناشئان من خبث النفس وسقوطها، ومن فكّر وعرف أنّ نهايته إلى قبر مظلم، وأنّه لا يدفن معه سوى عمله، فلابدّ أن ينصاع إلى الواقع، ويتخلّى عن هذه الصفة الذميمة.

وبهذا ينتهي بنا المطاف عن بعض رسائله ووصاياه عليه السلام وهي تمثّل التربية الروحيّة التي تنمّي الفكر، وتهذّب النفس، وتغرس فيها النزعات الخيّرة، وتنزع عنها النزعات الشريرة.

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطاهرين

---

(١) وسائل الشيعة: ١١: ٣٠٠.

المحتويات

الإهداء 7

تقديم 9

مَشرِقُ النُّور

١٩ ـ ٤٠

الأُسرة الكريمة ٢١

الأب ٢٢

الأمّ ٢٣

مشرق النور ٢٣

تسميته عليه السلام ٢٤

ألقابه عليه السلام ٢٤

كنيته عليه السلام ٢٦

أوصافه وملامحه عليه السلام ٢٦

سنة الولادة ٢٧

بيته عليه السلام ٢٧

نبوغه وذكاؤه عليه السلام ٢٨

معرفته عليه السلام بجميع اللغات ٣٠

عمله عليه السلام في الجامع النبوي ٣٢

مرض أمّه عليه السلام ٣٣
هيبته ووقاره عليه السلام ٣٤

في ظلال جدّه وأبيه عليهما السلام

٣٥ ـ ٦٠

في ظلال جدّه عليه السلام ٣٧
دعاؤه عليه السلام لولده ٤٠
في ذمّة الخلود ٤٣
إلى جنّة المأوى ٤٤
تجهيز الإمام عليه السلام ٤٥
في مقرّه الأخير ٤٦
في ظلال أبيه عليه السلام ٤٧
في جامعة أبيه عليه السلام ٤٧
محبّة وثناء ٤٨
وصاياه عليه السلام للإمام الصادق عليه السلام ٤٨
برّ الإمام الصادق بأبيه عليهما السلام ٤٩
مع أبيه عليه السلام في الشام ٥٠
إغلاق الحوانيت بوجه الإمام عليه السلام ٥٤
في ذمّة الخلود ٥٥
نصّه عليه السلام على الإمام الصادق عليه السلام ٥٥
وصاياه عليه السلام للإمام الصادق عليه السلام ٥٦
وصيّته عليه السلام الأخيرة ٥٧
إلى جنّة المأوى ٥٨

تجهيزه عليه السلام ٥٨
في مقرّه الأخير ٥٨
تعازي المسلمين للإمام عليه السلام ٥٩

عناصره النفسية

٦١ ـ ٨٢

الإمامة ٦٣
١ ـ ضرورة الإمامة ٦٤
٢ ـ الأئمّة عليهم السلام خلفاء الله تعالى ٦٤
٣ ـ الأئمّة عليهم السلام شجرة النبوّة ٦٤
٤ ـ الأئمّة عليهم السلام ولاة الله تعالى ٦٥
٥ ـ طاعة الأئمّة عليهم السلام ومعرفتهم ٦٥
٦ ـ سموّ منزلتهم عليهم السلام ٦٧
٧ ـ علم الأئمّة عليهم السلام ٧٠
٨ ـ العصمة ٧٢
كرمه وجوده عليه السلام ٧٣
صدقاته عليه السلام في السرّ ٧٥
تكريمه عليه السلام للضيوف ٧٦
التواضع ٧٦
سموّ أخلاقه عليه السلام ٧٧
الصبر ٧٨
إقباله عليه السلام على العبادة ٧٩
صلاته عليه السلام ٧٩

صومه عليه السلام ٨٠

حجّه عليه السلام ٨١

انطباعات عن شخصيته عليه السلام

٨٣ ـ ١٤٠

١ ـ الإمام الباقر عليه السلام ٨٥

٢ ـ زيد بن عليّ عليه السلام ٨٦

٣ ـ يحيى بن زيد ٨٧

٤ ـ مالك بن أنس ٨٧

٥ ـ أبو حنيفة ٨٨

٦ ـ ابن أبي ليلى ٩٠

٧ ـ عمرو بن ثابت ٩١

٨ ـ الدوانيقي ٩١

٩ ـ ابن أبي العوجاء ٩٢

١٠ ـ عبدالله بن المبارك ٩٣

١١ ـ السيّد الحميري ٩٤

١٢ ـ العوني ٩٧

١٣ ـ صالح الجعفري ٩٨

١٤ ـ الحسن بن محمّد ٩٨

١٥ ـ الإربلي ٩٩

١٦ ـ مؤيّد الدين ١٠٠

١٧ ـ أبو حاتم الرازي ١٠٠

١٨ ـ ابن حِبّان ١٠١

١٩ ـ الجاحظ ١٠١
٢٠ ـ محمّد بن طلحة ١٠٢
٢١ ـ الهيثمي ١٠٣
٢٢ ـ الشهرستاني ١٠٣
٢٣ ـ ابن الصبّاغ ١٠٤
٢٤ ـ أبو نعيم ١٠٥
٢٥ ـ محمّد بن حمزة ١٠٥
٢٦ ـ اليافعي ١٠٥
٢٧ ـ محمود الخالدي ١٠٦
٢٨ ـ السيّد الهندي ١٠٧
٢٩ ـ أحمد أمين ١٠٧
٣٠ ـ بطرس البستاني ١٠٨
٣١ ـ محمّد فريد وجدي ١٠٨
٣٢ ـ أحمد عطيّة الله ١٠٩
٣٣ ـ الزركلي ١٠٩
٣٤ ـ السيّد عبّاس المكّي ١١٠
٣٥ ـ عمر رضا كحّالة ١١٠
٣٦ ـ مصطفى غالب ١١١
٣٧ ـ عارف تامر ١١٢
٣٨ ـ محمود بن وهيب ١١٣
٣٩ ـ الشبراوي ١١٤
٤٠ ـ الذهبي ١١٤
٤١ ـ ابن أبي حاتم ١١٤

٤٢ ـ الخزرجي ١١٥
٤٣ ـ أحمد محمود صبحي ١١٥
٤٤ ـ السويدي ١١٧
٤٥ ـ القرماني ١١٧
٤٦ ـ ابن خلّكان ١١٨
٤٧ ـ الإربلي ١١٨
٤٨ ـ سيّد الأهل ١١٩
٤٩ ـ الشيخ أبو زهرة ١١٩
٥٠ ـ محمّد الخفاجي ١٢٠
٥١ ـ محمّدجواد فضل الله ١٢٢
٥٢ ـ السلمي ١٢٣
٥٣ ـ أسد حيدر ١٢٣
٥٤ ـ الشيخ المفيد ١٢٤
٥٥ ـ عمر بن شاهين ١٢٥
٥٦ ـ فاروق عمر ١٢٥
٥٧ ـ ابن واضح ١٢٦
٥٨ ـ الصاحب بن عبّاد ١٢٦
٥٩ ـ آدم هودجسون ١٢٧
٦٠ ـ الديصاني ١٢٧
٦١ ـ رمضان لاوند ١٢٧
٦٢ ـ حسن الأمين ١٢٨
٦٣ ـ عبدالرحمن الحنفي ١٢٩
٦٤ ـ محمّد الخضري ١٢٩

٦٥ ـ الزرقاني ١٢٩
٦٦ ـ محمّد صادق ١٣٠
٦٧ ـ ابن الجوزي ١٣٠
٦٨ ـ الرفاعي ١٣١
٦٩ ـ جمال الدين ١٣١
٧٠ ـ عليّ القاري ١٣١
٧١ ـ مصطفى الشكعة ١٣٢
٧٢ ـ عبدالله اليماني ١٣٢
٧٣ ـ الساجي ١٣٣
٧٤ ـ أبو الفداء ١٣٣
النقاط المهمّة ١٣٣
حاقدون ١٣٦
١ ـ ابن سعد ١٣٦
٢ ـ ابن عيّاش ١٣٦
٣ ـ يحيى بن سعيد القطّان ١٣٧
٤ ـ البخاري ١٣٨
٥ ـ عمران بن حطّان ١٣٩
٦ ـ أبو العبّاس الأعمى ١٣٩
٧ ـ جرير بن عثمان ١٤٠
٨ ـ إسحاق بن سويد ١٤٠
٩ ـ عبدالله بن سالم ١٤٠

احتجاجاته ومناظراته عليه السلام

١٤١ ـ ٢١٤

إبطاله عليه السلام لشبه الزنادقة ١٤٤

الجعد بن درهم ١٤٤

عبدالملك المصري ١٤٥

بعض الملحدين ١٤٨

الديصاني ١٤٨

ابن أبي العوجاء ١٥٠

زنديق ١٥٩

مع القدريّة ٢٠١

مناظراته عليه السلام ٢٠٢

مع أبي حنيفة ٢٠٢

مع ابن أبي ليلى ٢٠٧

مع المعتزلة ٢٠٨

مع النصارى ٢١٣

رسائله ووصاياه عليه السلام

٢١٥ ـ ٣٠٠

رسائله عليه السلام ٢١٧

١ ـ في التوحيد ٢١٧

٢ ـ في الغنائم والخمس ٢١٩

٣ ـ إلى أهل الآفاق ٢٢٧

٤ ـ إلى أهل الرأي ٢٢٩
٥ ـ إلى بعض شيعته عليه السلام ٢٣١
٦ ـ إلى أصحابه عليه السلام ٢٣٥
٧ ـ إلى بعض أصحابه عليه السلام ٢٣٦
٨ ـ لبعض الناس ٢٣٦
٩ ـ رسالة شفهيّة إلى زرارة ٢٣٧
١٠ ـ رسالة النجاشي للإمام عليه السلام ٢٤٢
جواب الإمام ٢٤٣
النقاط المهمّة في الرسالة ٢٥٠
١١ ـ رسالته عليه السلام للنجاشي ٢٥٢
١٢ ـ رسالته عليه السلام إلى عبدالله ٢٥٤
وصاياه عليه السلام ٢٥٥
وصيّة عامّة ٢٥٥
وصاياه عليه السلام لشيعته ٢٥٦
وصيّته عليه السلام لولده الكاظم عليه السلام ٢٦١
وصيّته عليه السلام لأصحابه ٢٦٣
وصيّته عليه السلام لأبي بصير ٢٦٤
وصيّته عليه السلام لبسطام ٢٦٥
وصيّته عليه السلام لجابر بن حيّان ٢٦٥
وصيّته عليه السلام للحسن بن راشد ٢٦٦
وصيّته عليه السلام لحفص بن غياث ٢٦٦
وصيّته عليه السلام لحمّاد ٢٦٩
وصيّته عليه السلام لحمران بن أعين ٢٧٠

وصاياه عليه السلام لسفيان ... ٢٧٠
وصيته عليه السلام لسماعة ... ٢٧٣
وصيته عليه السلام لعبدالرحمن ... ٢٧٣
وصيته عليه السلام لعبدالله بن جندب ... ٢٧٤
وصيته عليه السلام لعمّار بن مروان ... ٢٨٤
وصيته عليه السلام لعمّار بن موسى ... ٢٨٤
وصيته عليه السلام لعمر بن سعيد ... ٢٨٥
وصيته عليه السلام لعنبسة العابد ... ٢٨٥
وصيته عليه السلام لعنوان البصري ... ٢٨٥
وصيته عليه السلام لمحمّد وإسحاق ... ٢٨٨
وصيته عليه السلام لمعاوية بن عمّار ... ٢٨٨
وصيته عليه السلام للمعلّى بن خنيس ... ٢٨٩
وصيته عليه السلام للمفضّل بن زيد ... ٢٩٠
وصيته عليه السلام للمفضّل بن عمر ... ٢٩٠
وصيته عليه السلام للمنصور الدوانيقي ... ٢٩٢
وصيته عليه السلام لمؤمن الطاق ... ٢٩٢
وصيته عليه السلام لبعض أصحابه ... ٢٩٨

محتويات الكتاب ... ٣٠١